

روايت الشيخ الرئيس

محمد

كُتِبَ وَرَسَائِلُ الْأِمَامِ الْمُؤْتَصِفِ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى الْهَادِي
تَأْلِيفَ دَاهِيَةِ الْأَرْغِفِيِّ مُحَمَّدِ بْنِ الْهَادِي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

الجزء الثاني



منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صنعاء

ت: ٥١٣١٥٠ - ٥١٣٣٣٣

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م



منشورات

مكتبة التراث الإسلامي

الجمهورية اليمنية - صنعاء

ت: ٥١٣٣٣٣ - ٥١٣١٥٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٨٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَهُدَّ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿أَسْلَمَ﴾ فهو: استسلم لأمره، وإنفاذا لما قضى به من حكمه. ومعنى ﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، فقد يخرج على ثلاثة وجوه:

أحدها: أن يكونوا أطاعوا أمره مسرعين، كطاعة الملائكة المقربين، الذين ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النجم: ٦]، واطاعة الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وقد يكون معنى ﴿كَرْهًا﴾، كمثل من كان لله عاصيا، ولطاعته مجانبًا، فيرجع إلى طاعته بما حكم الله به عليه، وأمر به أولياءه فيه، من قتله وقتاله حتى يفىء إلى حكم الله صاغراً، وينقاد إلى ما أمر به راغماً.

وقد يمكن أن يكون معنى قوله: ﴿أَسْلَمَ ... طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، يخرج على ما أراد الله سبحانه من خلق الأشياء، وهو الوجه الثالث، إذ كان لا يمتنع على الله شيء، مما فطر من السماء والأرض وما بينهما، وما خلق وجعل فيهما، فإذا أراد الله سبحانه إيجاد شيء أوجده وكونه، وعلى أي صورة شاء جعله وركبه، لا يمتنع عليه من مفطوراتها ممتنع، فهو الموجد سبحانه للخلق من بعد العدم، الفاطر لهم المكون الجاعل لأرواحهم، المركبة في أجسادهم، المقدر الخالق لألوانهم، الجابر لهم على ذلك سبحانه وتعالى، فعلى هذا المعنى: يخرج ما سألت عنه.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه في كتابه: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]. والأرض فليس تكلم ولا السماء، وإنما أخبر الله عز وجل بكون ما أراد من إنفاذ أمره، وأنه لا يمتنع عليه شيء من خلقه، لأن العرب تعرف في لغتها أن كل ما لا بد من إتيانه طوعاً أو كرهاً، أنه شيء لا حيلة فيه ولا مرد له، وهو

حتم نافذ، فجاز أن يقول: ﴿طَوَّعًا أَوْ كَرْهًا﴾^(١)، إذ هو جائز في اللغة، موجود في الكلام والمخاطبة، والمعنيان الأولان جواب مسألتك، إلا أنا نجب إذا وقع للمسألة وجوه تخرج عليها أن^(٢) نشرحها جميعا، يكون ذلك إشفاء لقلب السائل، ولو اجترينا بالوجه الذي يؤدي جواب المسألة لكان ذلك مغنيا، وحسبنا الله ذو القوة المتين.

٨٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي

إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [آل عمران: ٩٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد ذكر أن إسرائيل أصابته علة من عرق النساء، وقد قيل: إنها عروق خرجت به، فحرم على نفسه ألا يأكل عرقا، ولا يأكل لحوم الإبل^(٣)، فهذا الذي حرم إسرائيل، فكانوا إذا ذبحوا الذبيحة أخرجوا عروقها جميعا، فهذا تفسير الآية معناها.

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) في (أ) و (ج): أن.

(٣) أخرج عبد بن حميد، والفريابي، والبيهقي في سننه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه من طريق سعد بن جبير عن ابن عباس ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه﴾ قال: العرق. أخذه عرق الناس، فكانت يبيت له زرقاء يعني صياح، فجعل الله عليه أن شفاه أن لا يأكل لحكما فيه عروق، فحرمة اليهود.

وأخرج سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن جرير من طريق يوسف بن ماهك عن ابن عباس قال: حرم على نفسه العروق. وذلك أنه كان يشتكي عرق الناس، فكان لا ينام الليل فقال: والله لئن عافاني الله منه لا يأكله لي ولد، وليس مكتوبا في التوراة ((وسأل محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفرا من أهل الكتاب فقال: ما شأن هذا حراما؟ فقالوا: هو حرام علينا من قبل الكتاب، فقال الله: ﴿كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل ... إن كنتم صادقين﴾.

وأخرج ابن جرير من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله: ﴿إلا ما إسرائيل على نفسه﴾، قال: حرم

٨٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية محكمة، لا تحتاج إلى تفسير في نفس الحج، وهو من الله فرض على جميع الخلق، وأما السبيل فهو: وجود الراحلة والزاد والأمن، فإذا كان ذلك وجب على كل مسلم الحج، فإن تركه تارك استخفافاً وإطراحاً له، فقد ترك فريضة من فرائض الله، ولزمه اسم الكفر، وإن كان تأخره لعللة مانعة، أو فقر محض، أو خوف متلف، فهو عند الله معذور، فمضى استراح من علله، وجب عليه أن يخرج إلى طاعة ربه، وينهض حاجاً إلى بيته.

وقلت: إن كان رجل عازماً على الحج ثم نزلت به نازلة منعه عما أمل من قصده، فأوصى بثلث ماله يحج به عنه، هل يجوز أن يدفع إلى من يحج به عنه من المدينة، أو الكوفة^(١)، إذا كان لا يكفيه للحج من بلده؟

ولم تشرح المعنى جيداً في هذه الوصية، فإن كانت النازلة التي نزلت به عند قصده للحج نازلة موت، فأوصى بثلث ماله يُحج به عنه، فلا بأس^(٢) أن يدفع بالمدينة أو بالكوفة، ليحج منها عنه، إذا كان لا يبلغ من يخرج من بلده، وإن كانت النازلة بالرجل من مرض فهو على نيته، وما أمل في أداء حجه، فإذا أراح الله ما به من علته خرج بنفسه، ولم يكل ذلك إلى غيره.

العسوق، ولحم ابل، كان به عرق الناس فأكل من لحومها، فبات بليلة يزقوا، فحلف أن لا يأكله أبداً. الدر المنثور ٢/٢٦٣ - ٢٦٤.

(١) في (أ): والكوفة.

(٢) في (ب): بأن.

وقلت: إن جعلنا الحج من الثلث، إذا أوصى به الميت، وكذلك فعلنا لأن كل وصية عند الوفاة ^(١) فإنما تخرج من الثلث.
ولم يجعل الله للموصي ^(٢) عند الموت أن يوصي بأكثر من ثلثه، فأجزنا ما أجازته ^(٣) له خالقه، ومنعناه مما لم يجزه سبحانه له، والحج فإنما هو فرض على الرجل في رقبته يؤديه بنفسه، بحركاته وبسفره، وحطه ورحله، وأما ^(٤) إذا حضرت الوفاة فليس له في ^(٥) المال إلا الثلث.

وقلت: هل يُخرج من سائر المال للحج إذا لم يكفه الثلث؟
وليس ذلك يوجب ^(٦) على الورثة، ولا يلزمهم من حكم الله، فإن تبرعوا بشيء وأجازوه، فذلك بر منهم وإحسان، وليس يلزم لهم، ولا واجب عليهم.
٨٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٨]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الآيات فهي: ما أنزل الله سبحانه من كتابه، وما جعل الله ^(٧) فيه من آياته ودلائله، التي توجب الطاعة، وتذهب المعصية، ويتم بها من الله على عباده النعمة، آيات حق، ومثبتات لصدق، مع ^(٨) رسول أمين، مقرب

(١) في (ب): الموت.

(٢) في (ب): سبحانه لموصي.

(٣) في (ب): ما جازته.

(٤) في (ب): ورحيله فأما.

(٥) في (أ): من.

(٦) سقط من (أ): يوجب.

(٧) في (ب): جعل عز وجل.

(٨) سقط من (أ): مع.

عند ذي العرش مكين، مستودع من أخبار الأولين والآخرين^(١)، مع علم ما سيكون في يوم الدين.

والآيات التي جاء بها محمد صلى الله عليه، تشهد على نبوته، وتفلج خصمه، وتقيم الحجة له.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه في أول العشر: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُنَلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]. فكل هذه آيات وتبصرة، وهداية للحق وتذكرة.

٨٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا آية قائمة بنفسها، مستغنية عن التفسير لها. ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾. وهو بيت آدم صلى الله عليه، الذي ابتناه عند خروجه من الجنة التي كان في ظلها^(٢)، فاحتاج عند ذلك إلى الظل والكنان، فدلّه الله على بنيانه^(٣)، فكان أول بيت بني في الدنيا، وكان فيه صلى الله عليه ساكناً، وحوله قاطناً وهو البيت الذي أقسم الله به في قوله: ﴿وَالْبَيْتَ الْمَعْمُورَ﴾ [الطور: ٤]. وهو قبلة إبراهيم، وقبلة محمد صلى الله عليهما، وقبلة الخلق إلى منقطع الدنيا. وذكر أن بيت آدم رفع إلى السماء؟

(١) سقط من (ب): الآخرين.

(٢) في (أ): فيها وفي ظلها. وفي (ب): فيها وظلها.

(٣) في (ب): بنايه.

وليس من ذلك شيء، بل هو البيت الحرام^(١)، المتعبد به جميع الأنام، الذي يطاف به الآن، ويقصده جميع أهل الإيمان.

٩٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ... إلى قوله: ﴿يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [آل عمران: ١١٨-١٢٠]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله سبحانه^(٢): ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، هياً منه عز وجل للمؤمنين أن يتخذوا بطانة، والبطانة فهي^(٣): الخاصة الموثوق بهم، المحبون المكرمون، فنهاهم الله سبحانه أن يتخذوا الكافرين بطانة وأولياء، ثم قال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾، فأخبرهم^(٤) أن هؤلاء الذين اتخذوهم بطانة لا يألوهم خبالاً، والخبال، فهو: الإفساد والمكيدة والاحتتيال.

ثم قال عز وجل: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، فأخبر أنهم يودون ما عنت به المؤمنون، والعنت فهو: الهلاك، فأخبرهم^(٥) أنهم يودون ذلك، ويحبونه ويشتهونه.

(١) أخرج ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبد بن حميد، والبخاري، ومسلم، وابن جرير، والبيهقي في الشعب عن أبي ذكر قال: ((قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة)). الدر المنثور ٢/٢٦٥.

(٢) سقط من (ب): معنى قوله سبحانه.

(٣) في (ب): فهم.

(٤) في (ب): فأخبر.

(٥) في (أ): فأخبره. وفي (ب): فأخبر.

ثم قال: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾، بقبح اللفظ والكلام، والطعن على المؤمنين، والإفساد على الصالحين، والمساعدة لمن حاربهم من الكافرين.

ثم أخبر عز وجل أن ما تخفي صدورهم أكبر مما هم مضمرون، وله معتقدون في المؤمنين، من التحسر عليهم والطلب لهلاكهم، والتغيظ ^(١) عليهم في جميع أحوالهم، فقلوبهم على المؤمنين وغيرة، وأنفسهم عليهم حنقة، يطلبون لهم ^(٢) الغوائل، ويؤلبون عليهم القبائل.

ثم أخبرهم سبحانه تبينا بذلك للمؤمنين، وإيقافا على مكائد الفاسقين، فقال: ﴿بَيِّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ^(٣)، يقول: إن كنتم تفهمون.

ثم قال عز وجل: ﴿هَاتِئُنَّكُمْ أَوْلَاءَ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾. إعلاما منه سبحانه للمؤمنين، إنكم تعاملوهم بالصحة، وليس في محبتكم لهم غش ولا مكيدة، وهم يعاملونكم بالبغض ^(٤) والخيانة، ووغر الصدور، والانطواء على أقبح الأمور.

ثم قال سبحانه: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾، ولا تكذبون شيئا من حكمه ^(٥)، ﴿وَإِذَا لَقُّوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾ ^(٦) [آل عمران: ١١٩]. يقول عز وجل: إذا لقوا المؤمنين أعطوهم ^(٥) ظاهرا من القول، ومحالا من الكلام، ﴿وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا﴾ - كما ذكر الله سبحانه - عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ، و ﴿الْأَنَامِلَ﴾ فهي: الأصابع، وهذا يفعله ^(٦) كل من اشتد غيظه، وعظم حنقه، تأسفا وتحسرا، إذا قصرت يده عما لا يقدر أن يناله،

(١) في (ج): والتغيظ.

(٢) في (أ): هم. وفي (ب): يطلبونهم.

(٣) في (ب): بالبغضة.

(٤) سقط من (أ): ولا تكذبون شيئا من حكمه.

(٥) في (أ): لقوكم أعطوكم.

(٦) في (ب): فعل يفعله.

فإذا كان ذلك عض أنامله، فقال الله عز وجل أمرا منه لنبيه وللمؤمنين، أن يقولوا للكافرين عندما أخرهم به سبحانه من غيظ الظالمين عليهم: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾، يريد: إنكم لن تبلغوا ما تأملون، ولا تقدرون عليه، ولا تلحقونه أو تفتنون.

ومعنى: ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١)، فهو: عليم بما استجن في الصدور، واستتر (٢) في القلوب، وعلمه بغامض السر والخفيات، كعلمه بما بان وظهر من الأفعال العلنات، الواضحات البينات، لا يخفى عليه شيء وهو السميع العليم. ثم قال عز وجل: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُوهُمْ﴾. فأخبر سبحانه أنه إذا مس المؤمنين من الله حسنة، وأنعم عليهم نعمة (٣)، أو فتح عليهم فتحا، ساء هؤلاء الكفرة المذكورين وغمهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾. ومعنى ﴿يَفْرَحُوا﴾ فهو (٤): يسروا ويستبشروا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٥). فأخبر سبحانه أنه محيط بأعمالهم، مجازي لهم على جميع أفعالهم، حافظ للمؤمنين من كيدهم، إذ هو سبحانه ذو الفضل والإحسان، على جميع أهل الطاعة والإيمان، فهذا (٦) معنى الآيات، وما يخرج تفسيرهن عليه، والله ولي التوفيق.

٩١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] ؟

(١) في (ب): وما استتر.

(٢) في (ب): بنعمة.

(٣) في (ب): فهم.

(٤) في (أ): وهذا.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: سئل ^(١) عن هذه المسألة أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، فقال: هما بنو سلمة، وبنو حارثة، فكانت بنو سلمة نحو سلع، وبنو حارثة نحو أحد، حين عبأ النبي صلى الله عليه الناس، وذلك يوم الخندق ^(٢).

٩٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١] ؟

وقد مضى تفسير هذه الآية ^(٣) في مسائلكم الأولى.

٩٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨]. فقلت: ما هذه السماء والأرض ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هي سماء الآخرة وأرضها الباقيتان، المحكوم ^(٤) لهما من الله بالدوام.

٩٤- وسألت عن ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٢٢، الغاشية: ١٠] ؟

والعالية فهي: المرتفعة الخطيرة الشريفة التي علا ما فيها على غيره.

٩٥- وسألت عن الآخرة فقلت: هما داران جنة ونار، فقلت: فأين يكون الموقف إذا لم يكن إلا جنة ونار ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: كذلك الآخرة ليس فيها لساكن مثنوى ولا قرار، إلا جنة ونار، ^(٥).

(١) في (ب): قد سئل.

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن مجاهد ﴿إذ همت طائفتان﴾ قال: بنو حارثة كانوا نحو أحد، وبنو سلمة نحو سلع. الدر المنثور ٣٠٦/٢.

(٣) في (أ): تفسيرها في. وسقط هذا السؤال والجواب من: (ب).

(٤) في (أ): والمحكوم.

(٥) سقط من (ب): ما بين القوسين.

والحشر فإنما يكون قبل الموقف والقضاء، والمحاسبة على جميع الأشياء، والحساب فإنما يقع من قبل المكافأة والجزاء، وعند مصيرهم إلى منازلهم^(١) ودارهم، لا يسكنون غيرها، ولا يكونون أبداً إلا فيها، فلما أن حكم الله عز وجل للمؤمنين بالجنة ثواباً، وبالنار لأهل المعصية جزاءً وعقاباً، لم يكن الموقف لهم بقرار، ولو كان لهم قراراً، لكان مسكناً وداراً، وما حالهم في الموقف إلا كحالهم عند خروجهم من قبورهم، لأنه لا بد لهم من الخروج منها، والمسير إلى غيرها.

فإن قلت: الموقف من الجنة أو من النار؟

ف قيل لك: من الجنة.

فقلت^(٢): فقد دخل أهل النار الجنة.

وإن قيل لك: من النار؟

قلت: فقد دخل أهل الجنة النار.

قلنا لك: رأيت القبور التي خرج الناس منها^(٣)، أليس كان خروجهم منها في الآخرة عند قيام الساعة؟ أفرأيت المواضع التي خرجوا منها، وصاروا إلى المحشر فيها؟ أمن الجنة أم من النار؟ فإن كان^(٤) من النار كان ذلك فاسداً، لأن أهل النار لا يزالون فيها^(٥)، وليسوا بزائلين من النار، وأهل الجنة واقفون فيها^(٦)، وليسوا ممن يدخل النار.

(١) في (ب): منزلهم.

(٢) في (أ)، (ب): قلت.

(٣) في (ج): منها الناس.

(٤) في (ب): فإن قلت.

(٥) في (ب): منه. وفي (ج): منها.

(٦) في (أ)، (ب): فيه.

ومما يحتج به عليك أن يقال لك: رأيت الآخرة هل ذكر الله فيها مسكناً ؟ إلا جنة أو ناراً، وليس ما زيل عنه وخرج منه ^(١)، وخرج من قراره بجنة، ولا بنار، ولن يخلو هذا المقام من أن يكون على أحد ثلاثة وجوه:

إما أن يكون يرد في ^(٢) النار فيدخل فيها، فليس ما يكون فيها منها، حتى يكون فيها، كما لا يقال لمن كان من أهل النار: قد دخل النار حتى يدخلها، أو يكون من الجنة، فليس يقال لما لم يدخل في الجنة: إنه من الجنة، وإنما يسمى بها إذا دخل في حدودها، وعند دخوله في حدودها يخلق سوى خلقه، ويغير كتغير غيره من السماء الأولى والأرض عند تغيره، فليس هو بعينه.

وقد يمكن أن يكون الله عز وجل يجعل موقفاً للخلق يحاسبون فيه، ويحشرون إليه، كما ذكر سبحانه، المحشر والوقوف بين يديه، ثم يبديه كما أباد السماء الدنيا وأرضها، ونسف جبالها، ويصير أهل الجنة وأهل النار إلى قرارهما، ولا يبقى شيء غيرهما، ولا منزل سواهما.

وأى ذلك كان ^(٣) فحسن جميل، لا يلحق الله سبحانه فيه ذم، ولا لقائل مقال. وليس هذا مما تعبد الله به الخلق، أن يعرفوه، وإنما عليهم أن يصدقوا بالجنة والنار، وليس عليهم أن يصفوها، فما مثل مسألتك هذه إلا كمثّل إنسان قال: كم طول النار ^(٤)، وكم عرضها، وما فيها من عدة عذابها، وهذا شيء قد وضعه الله عن

(١) سقط من (ب): وخرج منه.

(٢) في (ب): إلى.

(٣) سقط من (أ): كان.

(٤) في (ب): طول الدنيا.

الخلق، لا يحتاجون إليه، ولا يسألون عنه، والترك للجواب فيه واسع^(١)، إلا أنا أحيينا أن نجيبك ببعض الجواب، ولو أردنا التفرع فيه^(٢) والتطويل لأمكن ذلك.

٩٦- وأما ما سألت عنه من اطلاع أهل الجنة على أهل النار، وما قال فيه الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وما أجابنا به فيه^(٣) فليس بيننا اختلاف، بل نحن - والله الحمد - على غاية الائتلاف، لأن الإطلاع يكون إطلاعا بخبر، وإطلاعا بنظر، فقلنا ما قال الله: ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٥٥]. وسواؤها: وسطها^(٤). فلما أن قال: ﴿سَوَاءٍ﴾، قلنا: ننظر^(٥) إذ قال في ﴿سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾، والعرب تقول: اطلعت على خبرك، تريد بالاطلاع أي: بالإخبار، لا بالنظر، ويقول القائل: اطلعت على ما كنت تفعل، بالإشراف والبصر^(٦)، وقد صار الإطلاع بالنظر والإطلاع بالخبر كلاهما غير خارج من المعنى، ولا مفسد لصفة الإطلاع، ولا يقع بهذا تحليل حرام، ولا تحريم حلال، تُعنف على اختلافنا فيه، ولا كان في قولي إن أهل الجنة يدخلون النار، ولا أن أهل النار يدخلون الجنة، فتكون هذه المخالفة التي أحلت وحرمت.

فأما في اللغة المتسعة فجائز الإطلاع بالخبر، والإطلاع بالنظر، وكلاهما جائز في اللغة ثابت في العربية، غير مفسد ولا مدخل ضدا، وإنما يقع التضاد فيما أحل وحرم، أو ممن أدخل في الوعد من كان من أهل الوعيد، أو أدخل في الوعيد من

(١) في (ب): أوسع.

(٢) سقط من (أ): فيه.

(٣) سقط من (ب): فيه.

(٤) في (ب): فهو وسطها.

(٥) في (ب): نظير. وفي (ج): نظر.

(٦) في (ب): يريد بالإشراف. وفي (ج): والنظر.

كان من أهل الوعد. ففي هذا تكون المخالفة. فأما ما جاء في اللغة وخرج في الكلام، فإنما حاله كحال من قال: يا رجل، وقال: يا إنسان، أو قال: يا غلام، وكلهم يجمعه اسم الإنسان.

وإنما يقع الاختلاف لو سمي الإنسان يحيى أو فرس فيكون أحدهما مخالفاً لصاحبه، خارجاً من حده ووقته، وجنسه وصفته، لأن من سمي الإنسان باسم الفرس فلم يعرف الإنسان، وكان هذا خطأ من المقال، وتناقضاً في كل حال^(١)، فأما من قال: يا رجل، أو قال^(٢): يا إنسان، فهما جميعاً مؤتلفان، لا فرق بينهما، ولا اختلاف فيهما، وكل اسم يجوز أن يُدعا به صاحبه، فافهم - هديت - المعنى الذي يقع فيه الاختلاف، بين لك فيه الصواب، وتخرج بعون الله من الارتياب، والهادي إلى الحق صلوات الله عليه فمصيب في جميع أحواله، فما قال فهو صواب، ولم^(٣) نخالفه في شيء من الأشياء، بل نحن تابعون له، مقتدون بفعله، ممثلون لرسومه، فجمعنا الله معه^(٤) في مستقر رحمته، بمنه ورأفته.

٩٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. فقلت: ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد قيل في ذلك: إنها مداولة بينهم في الملك والغلبة، وقد قيل: إن الله عز وجل جعل بينهم الدولة^(٥)، وهذا عندي فقول مدخول ليس

(١) في (ب): كل ما سأن.

(٢) في (أ): وقال.

(٣) في (ب): ولا.

(٤) سقط من (ب): معه.

(٥) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ فإنه كان يوم أحد بيوم بدر. قتل المؤمنون يوم أحد أتخذ الله منهم شهداء، وغلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المشركين يوم بدر، فجعل له الدولة عليهم.

هو بصواب، ولكن أقول والله الموفق: إن معنى قوله سبحانه: ﴿ نُدَاوِلْهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾. فهو: إفناء قرون وإحداث قرون، وأمور بعد أمور، ومداولتهم فيها، فهو ما جعل الله لهم من البقاء في مدتها، فقوم يموتون وخلق يحدثون إلى انقطاع الأيام، وآخر الآية يشهد على ما قلنا به ^(١)، ليجزي الله سبحانه كلا بفعله، ويعطيه على إحسانه، ويعاقبه على سيئته.

٩٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ أَلَمَوتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ [آل عمران: ١٤٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه نزلت في يوم أحد، فيما امتحن به المؤمنون، ونالهم به المشركون ^(٢)، ومعنى: قوله سبحانه ﴿ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، من طريق ابن جريج، عن ابن عباس ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾، قال: فإنه أдал المشركين علي النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد، وبلغني أن لامشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد بضعة وسبعين رجلاً، عدد الأسارى الذين أسروا يوم بدر من المشركين، وكان عدد الأسارى ثلاثة وسبعين رجلاً.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن الحسن ﴿ وتلك الأيام نداؤها بين الناس ﴾، قال: جعل الله الأيام دولا مرة هؤلاء. أдал الكفار يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٣٣١/٢ - ٣٣٢.

(١) في (ب): به قلنا.

(٢) أخرج ابن أبي حاتم، من طريق العوفي، عن ابن عباس. أن رجلاً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قتل أصحاب بدر ونستشهد. أو ليت لنا يوماً كيوم بدر نقاتل فيه المشركين، ونبلي فيه خيراً، ونلتبس الشهادة والجنة والحياة والرزق. فاشهدهم الله أحداً، فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم، فقال الله: ﴿ ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون ﴾.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن مجاهد في الآية قال: غاب رجال عن بدر، فكانوا يتمنون مثل بدر أن يلقوه فيصيبوا من الأجر والخير ما أصاب أهل بدر، فلما كان يوم أحد ولّى من ولّى، فعاتبهم الله على ذلك.

يقول: عاينتم من الشدة والهول، وحضور ما يقع به القتل^(١) والموت، وأنتم تنظرون، والعرب تسمي كل شيء أفظعها وهالها، وأيقنت فيه بالهلكة والموت، تقول إذا وقعت في خطر، وأمر^(٢) شديد: رأينا اليوم الموت عيانا، ووقعنا في الموت. وهذا جائز في لغتهم، حسن من كلامهم، وإنما خاطبهم الله بما يعرفون، وناجاهم بما لا ينكرون.

٩٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: بعلمه، وكذلك فلا يموت أحد إلا بعلم الله، والكتاب المؤجل فهو: الوقت الذي قد علمه الله، وقدر فيه العمر والمدة.

وقلت: فإذا قتل الرجل هل يكون ذلك بإذن الله وبأمره؟

فنقول - أكرم الله عن النار وجهك -: إن قتل الرجل بعلم الله، وليس علم الله الذي كان به قتله، وإنما علم الله بما كان^(٣) من التعدي عليه، وأما بأمر الله وقضائه، فمعاذ الله ما أمر الله به!! وكيف يأمر به وهو يقول عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفِتْنَةَ لَا يُبَالِغُ فِي الْأَمْرِ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ويقول سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٢٨]. ويقول: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٣٣].

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الربيع وقتادة قالا: إن أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل، فكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا، فسبق إليهم القتال حتى إذا كان بناحية المدينة يوم أحد. فأنزل الله ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ ...﴾ الآية. الدر المنثور ٢/ ٣٣٣ - ٣٣٤.

(١) في (أ): حصول. وفي (ب): به الهلاك.

(٢) في (أ): أو أمر.

(٣) في (أ): ما كان. وسقط من (ب): ما كان.

٩٣] الآية ١١؟ فنهى عن قتل النفس، وذم فيها وأوجب العقوبة على قاتلها، وكيف يجوز أن ينسب إليه ما تبرأ منه، وأوجب العقاب عليه؟! تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا!!!

وهل يمكن في عدل الحكيم، أن يقضي بقتل عبد على عبد؟! ^(١) وقضاؤه لا حيلة فيه، ولا مخرج منه، ثم يعذب القاتل ويأمر بقتله، وهذا بعيد من العدل، والله بريء من ذلك، بل قد أمر خلقه بترك التعدي والظلم، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ آلَتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الإسراء: ٣٣]. وقال: ﴿الْأَنْفُسُ بِالْأَنْفُسِ﴾ [المائدة: ٤٢]. وقال: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣]. فكيف يُنسب إليه ما هو بريء منه سبحانه؟! ويأمر بخلافه، ويحكم بالتعير على فاعله؟! فاعله؟!

وإن كنت أردت بقولك: إن قتل المقتول بأمر الله من طريق ما حكم الله به على الظالمين، حيث يقول: ﴿فَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]. وقوله عز وجل: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾ [محمد: ٤]. وما أطلق للأولياء من القتل للقاتل الظالم لهم، المعتدي عليهم، فهذا لعمري من فعل الله تبارك وتعالى وأمره، وحكمه على ظلمة خلقه، مكافأة لهم على فعلهم، ومجازاة على قبيح عملهم، من بعد إقامة الحجة عليهم، وتبيين الحق لهم، وفي هذا من الحجج كثير لو شرحناه واحتججنا به، وفيه، لكان متسعا كثيرا، والقليل المجزي الموافق في الديانة، أنفع من الكثير عند من يخالف في المقالة، نسأل الله التوفيق لما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه.

١٠٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى﴾ [آل عمران: ١٥٦]. فقلت: لِمَ قَالَ: ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾، وهل يحتمل أن يطرح الألف من ﴿إِذَا﴾؟

(١) سقط من (ج): على عبد.

وهذا - يرحمك الله - كلام فصيح، جائر مستقيم، لو كان على غيره لدخله نقصان، لأن الله سبحانه إنما أخبر عن قول الظالمين، فقال: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦]. فأخبر الله عز وجل أنهم إنما يقولون هذا الكلام لإخوانهم إذا خرجوا بأمر نبيهم، وغزوا في طاعة ربه، وليسوا إذا قعدوا يقولون لهم من ذلك شيئاً، فلما أن كانوا يمسكون عن هذا الكلام في حال قعود إخوانهم، ويتكلمون به عند خروجهم في جهاد أعداء الله وعدوهم، كانت ^(١)، هذه حالان ^(٢)، فأخبر الله عز وجل بكلامهم في حال الغزو والضرب في الأرض، وبسكوهم في حال التخلف والحفض، فلم يحسن ولم يئز في صحيح اللغة إلا أن يقول: ﴿إِذَا﴾ لأن ﴿إِذَا﴾ إخبار عن كلام هؤلاء القوم لإخوانهم في كل مرة غزوا أو ضربوا في الأرض، قالوا لهم هذا الكلام ^(٣) وخاطبهم بهذه المخاطبة، لا يعطونها عنهم أصلاً، وإذا كان قولهم: ﴿إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ كانوا كأنهم إنما خاطبهم في فعلة واحدة، وسفر منفرد وحده، فهذا الفرق بين بين: إذا وإذا.

١٠١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ﴾ [آل عمران: ١٦١]. فقلت: كيف يقرأ بضم الياء وفتح الغين، أم بنصب الياء ورفع الغين؟

وليس القراءة تجوز في هذا إلا برفع الياء ونصب الغين، وقد عندكم في القراءة مصحف أنفذناه إليكم، فيه جميع ما يحتاج إلى معرفته من القراءة الصحيحة.

(١) في (ب): كان هذه هي التامة.

(٢) في (ج): حالتان.

(٣) سقط من (أ): الكلام.

١٠٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١٦٣] ؟

وقد مضى تفسيرها إليكم وشرحها مبيناً، بتفضيل الله لأوليائه في عطائه لهم على قدر أعمالهم، وشدة اجتهادهم، وصدق قولهم، وفي ذلك لكم كفاية إن شاء الله.

١٠٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم عليه السلام فقال: الإملاء منه: الإبقاء، ومنه تأخير العذاب والنقم، فيما ارتكبوا من الإثم والجرم، وبهذا ^(١) كله وعنه، وبما تولى الله منه، أتوا من الإثم والإساءة ما ^(٢) أتوا، وعصوا الله بما عصوا. فاعلم إن الإملاء من الله نعمة وإحسان، وازدياد الإثم منهم فإساءة وعصيان، فمن الله سبحانه الإملاء، ومنهم الاعتداء، وتأخير سببانه لإنزال العذاب بهم، إنما هو ليزدادوا إثماً بكسبهم، ليس لما يجنون من سرورهم، ولا لما يريدون من أمورهم، ولكن ليزدادوا بالإبقاء والإثماً، ولأنفسهم بما ارتكبوا من الظلم هلكتة وإحزاء ^(٣)، وإن كان ما تركوا من الهدى وإن لم يفعلوه لهم ممكناً، وكان ما تركوا من الهدى في نفسه حسناً، ولهم لو صاروا إليه ولن يصيروا محيياً ^(٤)، وكان كلهم بإتيانه له مهتدياً.

والإملاء والإبقاء فهو من فعل الله بهم، وازدياد الإثم فهو من فعلهم وكسبهم، وما يمكن ويكون بالإملاء من الأمور، فسواء في المكنة من البر والفجور، فلما آثروا

(١) في (ج): وهذا.

(٢) في (ب): بما.

(٣) في (ج): من الظلم إثماً.

(٤) في (ج): مجتنباً. مصحفة.

اعتداهم، على ما يمكنهم من هداهم، حاز أن يقال: أملوا ليزدادوا إثمًا وردى، كما يجوز لو اهتدوا أن يقال: أملوا ليزدادوا برًا وهدى، ومثل ﴿لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾، قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦). وهم وإن خلقوا ليعبدوه فيحتملون لغير العبادة^(١)، وخلافها إنما هو فعل منهم، نسب إليهم ولم يزل عنهم، وكل ذلك ففعل لهم وصنع، والله تعالى هو الصانع لهم المبتدع، ففعل الله بريء من فعلهم، فيما كان من الإملاء لهم، ففعل الله تأخير وإملاء، وفعلهم ازدياد واعتداء، وبين ذلك فرق لا يجهله إلا جاهل.

١٠٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]. فقلت: ما معنى هذا، وهل تقرأ بين^(٢) الخبيث من الطيب؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه الآية نزلت في المؤمنين والمنافقين، من قبل فرض الجهاد، فكان المؤمنون الصادق قولهم، الخالصة نياتهم، الصحيحة عزائمهم، يقولون: يا رسول الله لو فرض الله الجهاد عليك، كما فرضه على من كان قبلك، أو امتحننا بما كان يمتحن به الأمم من قبلنا، لسلمنا ولقمنا^(٣) واجتهدنا، وابتلينا في الله، ونصحنا.

وكان المنافقون يقولون مثل قول المؤمنين سواء، ويصفون عن أنفسهم ما يصفه المؤمنون، من نياتهم، فاستووا في الظاهر، واختلفوا في الضمائر، فلم يفرق بينهم في الضمائر بشيء من الأمور، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾.

(١) في (أ): العبادة، وإن أرادوه والعبادة. وفي (ب) العبادة، والعبادة وخلافها.

(٢) في (أ) و (ج): يميز.

(٣) في (ج): ولقاتلنا.

ففرض الله على نبيه صلى الله عليه وعلى من معه الجهاد، فأماز^(١) أهل الشرك والإرتياب، وبانوا لجميع أهل الدين في الأبواب، فعرفوا بكذبهم، واستدل عليهم بغشهم، ونفذ المؤمنون لطاعة ربهم، مصممون في جهاد عدوهم، باذلون أنفسهم،^(٢) مرضاة خالقهم، لم يشكوا في دينهم، ولم يرتابوا في بصائرهم، ولم ينكلوا عما عقد الله سبحانه في رقابهم،^(٣) بل زادهم ذلك إيمانا و يقينا، وهدى وعزما، فميز الله أوليائه^(٤) بما افترض من جهاد أعدائه وقد كانوا عند الله من المميزين، وهو بهم عالم، وعلى سرائرهم مطلع، ولكن أبانهم لنبيه صلى الله عليه، وميزهم للمؤمنين، ولجميع الصالحين، فكان من المنافقين ما قد بلغك في خروج النبي صلى الله عليه إلى بدر، ورجوعهم عنه، وما كان من عبد الله بن أبي سلول، المنافق من الرجوع بكثير من الناس، عن رسول الله عليه السلام، فلم^(٥) يضر بذلك إلا نفسه، وتولى الله النصر لنبيه صلى الله عليه، وأظهر كلمته ولو كره المشركون، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

١٠٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [آل عمران: ١٨١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله عز وجل، بقول الفاسقين الظلمة المتمردين، وما يقولون به في رب العالمين، والقاتل لذلك فهم المشركون الجاحدون

(١) في (ب): فأبان.

(٢) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٤) في (أ) و (ج): أوليائه.

(٥) في (ب): فلن.

لله، المنكرون لنبية صلى الله عليه، من أهل الكتاب اليهود^(١)، ومن ساعدتهم من الأشرار وأهل الكفر والإرتياب^(٢)، ثم قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾. والكتاب فهو: الحفظ من الله تبارك وتعالى لقولهم، وما كان من سيئ لفظهم^(٣)، ومعنى ﴿قَتَلَهُمُ الْآلِيبَاءُ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾. فهو: الرضى منهم بقتل آبائهم لمن سلف من النبيين، فلما أن رضوا بذلك كانوا من القاتلين، ولفعل من سلف من المصوبين، وفي ذلك لا محالة من الداخلين.

ثم قال: ﴿وَنَقُولُ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾. يخبر عز وجل بما يصيرون إليه، ويجازون به في الآخرة من عذاب الحرّيق، والبلاء الشديد، جزاء على فعلهم، ومكافأة على أعمالهم.

١٠٦- وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّسَارُ﴾ [آل عمران: ١٨٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا قول أهل الكتاب كذبوا فيه على الله عز وجل، وقالوا زوراً وهتاناً عظيماً، فأكذبهم الله سبحانه في آخر الآية، فقال لنبية عليه السلام: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٣] في قولكم إن الله عهد إليكم فيما سألتهم، فلم تقتلهم من جاءكم بالبينات وبالقرآن الذي طلبتم؟! فأوقفهم الله سبحانه على كذبهم، وقرعهم بما كان من فعلهم.

وقلت: ما القران ؟

(١) سقط من (أ)، (ب): اليهود.

(٢) في (أ) و (ج): والإرتياب، وأمثالهم.

(٣) في (ب): ألفاظهم.

فهو شيء كان يقربه الأولون، من طريق البر والطاعة لله سبحانه، مثل الكباش وغيرها من الأطعمة، فتخرج نار فتأخذ قربان أزكا هم عملاً، وأقربهم عند الله عز وجل محلاً، وتدع^(١) ما ليس بزكي، ولا مُقَرَّبَةً إلا للمؤمن^(٢) رضي، كما فعل ابنا آدم في قربانيهما، فتقبل الله من أحدهما، ولم يتقبل من الآخر^(٣).

وقد قيل: إن الكبش الذي فدى الله به إسماعيل عليه السلام، هو قربان ابن آدم، أنزله الله على إبراهيم صلى الله عليه^(٤). والله أعلم كيف كان ذلك.

فسبحان العادل في حكمه، المنصف لخلقه، المتعطف عليهم، المنعم بالإحسان إليهم، ولكن الخلق في فعلهم كما ذكر عنهم، حين يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ [سبأ: ١٣].

١٠٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. فقلت: هل في ذلك متعلق لمن يزعم أن أهل النار يخرجون منها ثم يدخلون الجنة؟

(١) في (ب): وجل وعلا، وتدع.

(٢) في (أ)، (ب): ولا مقرب به بمؤمن.

(٣) أخرج ابن المنذر، عن ابن جريج قال: كان من قبلنا من الأمم يقرب أحدهم القربان، فتخرج الناس فينظرون أيتقبل منهم أم لا، فإن تقبل منهم جاءت نار بيضاء من السماء فأكلت ما قرب، وإن لم يتقبل لم تأت تلك النار فعرف الناس أن لم يقبل منهم. الدر المنثور ٣٩٨/٢.

(٤) أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الصخرة التي بمعنى بأصل ثبير هي التي ذبح عليها إبراهيم عليه السلام فدى ابنه إسحاق، هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقرن، له ثغاء، وهو الكبش الذي قرب به ابن آدم، فتقبل منه، وكان مخزوناً في الجنة حتى فدى به إسحاق عليه السلام. الدر المنثور ١١٣/٧.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: وأي تعلق - يرحمك الله - في ذلك لأحد؟! أو ما فيه من الدليل على خروجهم من النار إلى الجنة؟! وكيف يزحزح منها من كان من أهلها؟! فصار بحكم الله فيها، ووصل بقبیح فعله إليها، ووقع في أليم العذاب، وصار بذلك إلى شر مآب.

وإنما المعنى: في قوله: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾. فهو أبعد من النار وأزيع عنها، وأزلف الجنة وأدخل فيها، فأصبح من المؤمنين، وعند الله سبحانه من المقربين، ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَعُ الْعُرُورِ﴾، بعد من الراحة والسرور، والنعمة والحبور، أهل الآثام والشرور، المتفحمون في المعصية، التاركون للطاعة، الكفرة الأشرار، المصيرون إلى شر^(١) دار، ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنُفْسُ الْمَهَادُ﴾ [ص: ٥٦]، قال سبحانه: ﴿لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ [النبا: ٢٣]. وقال: ﴿خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧، ١٠٨]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. وقال: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

فأين - يرحمك الله - ما ذكرت من خلاصهم؟ مع ما ذكر الله سبحانه وأخبر من دوام حسرتهم وطول مقامهم، في طبقات النيران، ماكنون في الخزي والهوان، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ [فاطر: ٣٦]، غير خارجين من أليم العذاب، ماكنون فيه طول الأبد، إلى غاية لا تبيد ولا تنفد.

١٠٨ - وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ

الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا

تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾. فهو: فرحهم بما ارتكبوا وأتوه من الجرأة على خاتم النبيين، والطعن على المؤمنين، مع قبیح فعلهم،

(١) في (أ)، (ب): أسوأ.

ومستسمح سيرهم، فكانوا يستحسنون ذلك من أنفسهم، ويرونه جائزا عندهم، لشرارتهم وشدة كفرهم، وبعدهم من الله وعنادهم.

والفرح منهم فهو: أشير وأزدها، وتبع ^(١) للمعصية والهوى، كفرح قارون إذا يقول له قومه: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [التقصص: ٧٦]. وإنما كان فرحه جرأة وأشراً، ومعصية لله وتمرداً، وهذه الآية نزلت في اليهود، ذماً لهم فيما كانوا يأتون من الجرأة على الله سبحانه وعلى أوليائه ^(٢).

ثم قال عز وجل: ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾. فهو ما كانوا يتوسمون به ويذكرونه عن أنفسهم، من الفضل والطاعة لله والمدح، لأمرهم ^(٣)، فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، وبيّن للمسلمين كفرهم، ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا

(١) في (أ): وقبح.

(٢) أخرج البخاري، ومسلم، وأحمد، والترمذي، والنسائي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، والبيهقي في الشعب من طريق حميد بن عبد لارحكمن بن عوف أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذباً لتعذبن أجمعين. فقال ابن عباس: ما لكم وهذه الآية؟! إنما أنزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ...﴾ [آل عمران: ١٨٧] الآية، وتلا ﴿لَا تَحْسِنَ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ الآية. فقال ابن عباس: سألمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألمن عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألمن عنه.

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق عكرمة عن ابن عباس في الآية قال: يعني فنخاص، وأشيع، وأشباههما من الأخبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ أن يقول لهم الناس: علماء وليسوا بأهل علم، لم يحملوهم على هدى ولا خير، ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا. الدر المنثور ٤٠٣/٢ - ٤٠٤.

(٣) في (أ)، (ج): لأمرهم.

بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا ﴿﴾، فأخبر أنهم غير فاعلين لما ذكروا، ولا صادقين فيما انتحلوا، بل هم كاذبون، وعند الله معذبون.

ثم قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ﴾. والمفاضة فهي: البعد، فذكر سبحانه أنهم من العذاب قريب، غير بعيد، فحكم عليه باليم العذاب، وأوجب عليهم الحزني والعقاب، وصاروا بذلك إلى شر مآب، جهنم يصلونها فبئس المهاد.

تم الجزء الثالث من سورة النساء

١٠٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

فقلت: هل خلقت حواء من نفس آدم من الطين الذين خلق منه آدم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك - أن الناس قد اختلفوا في هذه الآية، وتفسير خلق حواء من آدم، فقال فيها قوم: خلقها الله من ضلعه الأصغر، وهو الأسفل من الأضلاع^(١).

وقال آخرون: خلقت من بعض لحمه^(٢)، وتكلموا في ذلك ورووا روايات قد سمعتها إن كانت وصلت بك، ووقفت على شرحهم فيها ونظرتها، وكل عندي لم يصب المعنى، ولم يقع فيه على باب حق ولا هدى.

والقول فيها - والله أعلم وهو الموفق للصواب - أن الله سبحانه لما أن خلق آدم من الطين، أقام مطروحا من طين على هيئة إنسان^(٣) في الذراع والعضد والرأس

(١) أخرج ابن أبي خاتم عن الضحاك ﴿وخلق منها زوجها﴾ قال: خلق حواء من آدم من ضلع الخلف وهو أسفل الأضلاع. الدر المنثور ٤٢٣/٢.

(٢) أخرج ابن المنذر، وابن أبي خاتم، والبيهقي في الشعب، عن ابن عباس قال: خلقت المرأة من الرجل فجعلت نهمتها في الرجال، فاحسوا نساءكم. وخلق الرجل من الأرض، فجعل نهمته في الأرض. الدر المنثور ٤٢٣/٢.

والأنف والأصابع، فكان على ذلك تبصره الملائكة لا روح فيه، فخلق الله سبحانه حواء من تلك الطينة من قبل أن ينفخ فيها الروح، ثم نفخ فيه الروح صلى الله عليه فإذا هو يسمع ويصير ويتحرك وينطق، ويقوم ويقعد^(١). فهذا معنى: ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾. وهو صواب إن شاء الله.

وقد قيل: إن معنى ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾. أي: خلقها من جنسه، وأنشأها مما أنشأه منه، وليس ذلك عندي بقول، والقول الأول أحب إلينا، هو إن شاء الله الصواب.

١١٠- وسألت من قراءة آخر الآية فقد أجتزيت بما صار إليك من القراءة الصحيحة.

(١) في (ب): الإنسان.

(٢) أخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خلق آدم من أدم الأرض فألقي على الأرض حتى صار طينا لازبا، وهو الطين الملتزق، ثم ترك حتى صار حمأ مسنونا وهو المتن، ثم خلقه الله بيده فكان أربعين يوما مصورا، حتى يبس فصار صلصالا كالفخار إذا ضرب عليه صلصل. الدر المنثور ٧٧/٥.

وقال في مروج الذهب: وسمي آدم، لأنه أخذ من أدم الأرض، وقيل غير ذلك. ووكل الله ملك الموت بالموت، وجبله الله تعالى، [وتركه] حتى صار طينا لازبا يلزق بعضه ببعض، أربعين سنة، ثم تركه حتى أتت وتغير أربعين سنة، وذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ حَمَأٍ مَسْنُونٍ﴾ أي: متغير متن، ثم صورته وتركه بلا روح من صلصال كالفخار حتى أتى عليه مائة وعشرون سنة، وقيل: أربعون سنة، وهو قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنْ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾، فكانت الملائكة تمرُّ به فيفزعون منه، وكان أشدهم فرعا إبليس، كان يمر به فيضربه برجله، فيظهر له صوت كظهوره من الفخار وتكون له صلصلة، وذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾، وقد قيل: إن الصلصال غير ما ذكرناه، وكان إبليس يدخل من فيه ويخرج من دبره، ويقول: لأمر ما خلقت. مروج الذهب ٣٠/١ - ٣١.

وقلت: هل يجوز لو وصي اليتيم إذا خاف ألا يقسط ^(١) في مال اليتيم، ولا يقوم بما يجب فيه عليه، وخاف تضييعه، أن يدفعه إلى اليتيم وإن كان صغيراً؟

واعلم - حاطك الله - أنه لا يحل للوصي نضييع مال اليتيم المؤمن عليه، الموثوق به فيه، بل يجب عليه القيام به، والإيثار له، والعمارة لخراجه، والاجتهاد في صلاحه، فهو أمانة في رقبته، يجب عليه القيام بها، والتخلص إلى الله من تضييعها، فأما دفعه إلى الصبي فلا يجوز، لأنه إذا دفعه إليه، فقد أذهب كله عليه، إذ الصبي لا يميز فعله، ولا يعقل فيعمر ماله ويقوم لشأنه، ويحرص في جميع أموره، ولكن يجب على وصيه القيام بأمره.

فإن أيقن بإتلاف ماله، وتضييعه فيه لأمانته، ولم يكن عنده من ^(٢) الخير ما أمثل منه، ورجى فيه وظن به الوصي إليه ^(٣)، أطلع ذلك على الإمام إن كان ظاهراً، ليقيم الإمام له رجلاً مسلماً يقوم بماله ويحوطه فيه، لأن الإمام والد الأيتام، متعطف على ضعفة الأنام، حافظ لما أمر به فيهم وفي جميع المسلمين، وما حوت يده من ضعفة المؤمنين، فيكون إذاً ^(٤) ذلك المتولي لأمره، والقائم بشأنه، إلى بلوغ أشده، أو الاستيناس لرشده. والرشد فهو: العقل والفهم والدين، فإذا رأى ذلك ولي اليتيم من بعد بلوغه، سلم إليه ما في يده من ماله، وأشهد على ذلك، ولا يجوز له دفعه إليه حتى يرى الرشد فيه، ويوقن ^(٥) بالصلاح لديه.

(١) في (ج): يستقص.

(٢) في (ب): يكن فيه من.

(٣) سقط من (أ)، (ب): إليه.

(٤) في المخطوطات: إذ. وما أثبت اجتهاد.

(٥) في (أ): ويوقن. وفي (ب): وتوثق. مصحفتان.

وأما ما سألت عنه من المعروف الذي أبيح للوصي الفقير أن يأكله، فقد تقدم تفسير ذلك إليكم.

١١١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم صلوات الله عليه، فقال ^(١): معنى ﴿لَا تُؤْتُوا﴾: هؤلاء تعطوا السفهاء أموالكم، فإن كانوا لكم أبناء وآباء، يجب عليكم رزقهم وكسوتهم فيها، وأمرهم أن ينفقوا عليهم ويكسوهم منها ^(٢). ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ من القول معروفه وحسنه، وسهل القول ولينه، ونهاهم أن يعطوا سفهاءهم أموالهم التي جعل الله لهم قياماً، والقيم هو: المعاش واللباس، الذي به يبقى ويقوم الناس، فيهبوها لهم أو يأمنوهم فيها، ويجعلوا لهم سبيلاً إليها، فيفسدوا معاشهم منها عليهم، ونهاهم أن يعطوهم إياها ويسلموها إليهم، وأمرهم أن لا يؤتوا الأبناء من أموالهم إلا أن يؤنسوا، ومعنى أن يؤنسوا: أن يروا منهم رشداً، فيدفعوها إليهم، وكيف يجوز أن يؤتي أحد ماله أحداً؟ إذا كان في أرض الله ولنفسه مفسداً. وقد نهي الله عن ذلك نظراً منه للعباد ^(٣)، وحيطة منه برحمته لأرضه، وخلقه من الفساد ^(٤).

وقلت: هل يجوز لرجل أن يقيم امرأته مقام الوصي فيوصي إليها؟

(١) سقط من (أ): فقال.

(٢) في (أ): منهم. مصحفة.

(٣) في (أ) و (ج): لعباده.

(٤) في (ب): لأرضهم. وسقط: وخلقه من الفساد.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا وثق بدينها، وأيقن بأمانتها، ورصانة عقلها، فحائزة الوصية ^(١) إليها.

١١٢- وسألت عن رجل حلف بصدقة ماله فحنث، ثم حلف فحنث، حتى فعل ذلك مراراً ولم يكفر، فقلت: ما يلزمه؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يلزم في ذلك إذا حلف في شيء بصدقة ماله ثم حنث فيه، أن يخرج ثلث ماله للمساكين كما حلف، وهذا ما كان يقول به القاسم بن إبراهيم، ثم الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما، ثم نحن بعدهما. وقلت: فإنه اكتسب مالا (من بعد الحنث في المال الأول، فهل يدخل المال المكتسب فيما حنث فيه؟

قال: أعلم أن كل ما حنث فيه الحالف ^(٢) فلازم له تنفيذ ما لزمه الحنث فيه، وكل ما اكتسب من بعد الحنث فليس بداخل فيه، ما حاله في اكتسابه من بعد الحنث إلا كحال من حنث ثم كفر ثم اكتسب مالا، فلا يلزمه فيه شيء، وإنما يلزمه في ما ملك يوم حنث.

١١٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ ﴿النساء: ٢١﴾؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تأديب من الله عز وجل لمن عرفه من المؤمنين، وسلم لحكمه من الصالحين، ألا يأخذوا مما آتوا النساء من مهورهن شيئا، وهذا فعل يفعله من لا معرفة له ولا تمييز، وهم الآن كثير، إذا أبغض الرجل المرأة ضيق عليها، وأقبح في المعاشرة ^(٣) لها وأضرها، واضطرها بسوء فعله، وشدة تعنته إلى أن

(١) سقط من (أ): الوصية.

(٢) سقط سهوا من (ج): ما بين القوسين.

(٣) في (ب)، (ج): وأقبح معاشرته.

تفتدي منه بمهرها، فيأخذه ظلماً وتعدياً، ثم يتزوج به النساء، فيأكله حراماً وسحتاً، فنهى الله عز وجل من استبدل^(١) زوجة مكان زوجة، ألا يضر بالأولى ويسيء إليها، ولا يتجرم بظلم عليها، حتى يأخذ ما أعطاها.

ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾. والإفضاء فهو: الدخول عليها، والكشف لمحاسنها، ولما استتر من غيره من بدنها، مع الدنو منها، فقد أفضى منها إلى أشياء أوجبت عليه مهرها، وحظرت عليه بحكم الله أخذه منها، فنهاهم الله من بعد ذلك عن الظلم والاعتداء، والتحيل بالباطل^(٢) لطلب الفداء منهن، أو الأخذ لمهورهن، وما أوجبه الله سبحانه بحكمه لهن.

ولا يجوز ولا يحل في حكم الله ذي الطول والإحسان، أن يأخذ المسلم مهر مرتة، إلا أن تكون كما قال الله سبحانه: ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. فإذا كان منهما جميعاً الظلم والتعدي ولم يكونا متناصفين، ولا بما فرض الله عليهما في الصحبة بعاملين، جاز حينئذ الفداء والقبول.

١١٤- وسألت عن^(٣) رجل عنين دخل بمرءة وأقام معها مدة لم يمسه، هل لها نصف المهر أم المهر كاملاً عند طلاقها؟
ولها - يرحمك الله - المهر كاملاً، لأنه قد دخل بها وأرخى سترة، وأغلق بابها عليها، وقلّبها ونظر إلى المستتر منها، فالعجز كان منه، والمهر عليه بحكم الله سبحانه لها به.

(١) في (ب): من أراد أن يستبدل.

(٢) في (ب): بالباطل عليهن.

(٣) في (أ)، (ب): وقلت: في.

وقلت: فإن رجلاً دخل بكرة وأرخى^(١) الستر وأغلق الباب، ولم يمسه ثم طلقها. فقلت: هل لها نصف الصداق أم الصداق كله؟ وقلت: إن كان الرجل ثقة في قوله مأمونا، هل يصدق في كلامه؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - حاطك الله وهداك - أن كل مرة دخل بها زوجها، عنياء، أو غير ذلك، وأرخى الستر عليها، وأغلق الباب، وخل بها^(٢)، أن لها الصداق كاملاً، وعليها العدة كاملة، لأنه قد خلا بها^(٣)، ولعل أن يكون دنا منها دون فرجها، ولصق بدنه ببدنها، وربما وقع الحمل من ذلك والمرأة عاتق^(٤)، فلا بد لها من العدة إذا دخل بها، وإذا لزم العدة وجب المهر، فاعلم ذلك وقس عليه ما أتاك من هذا الباب، فهو بعون الله الحق والصواب.

١١٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوَهُمْ فَتُصَيِّبُهُمْ﴾ [النساء: ٣٣]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام^(٥): الموالى فهم القرابة والعصبة، ألا تسمع كيف يخبر الله عز وجل عن زكريا عليه السلام حين يقول: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأْيِ﴾ [مريم: ٥]، يعني: العصبة. وقوله: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَأَتَوَهُمْ فَتُصَيِّبُهُمْ﴾. فقلت: فما نصيبهم؟

(١) في (ج): وأرخاها. مصحفة.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (ب): ما بين القوسين.

(٤) في (أ): عاتق. وهي الجارية التي قد أدركت وبلغت. لسان العرب مادة: عتق.

(٥) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى عليه السلام.

وهذه آية منسوخة، وذلك أن قريشاً والعرب في جاهليتهم كان يتعاقد الرجال منهنم والقبيلتان^(١)، ويتحالفون على المؤازرة والمنصرة والمحابة ما بقوا، وعلى أن من مات منهم ورثه الآخرون مع ورثته، وربما لا يكون له قريب لاصق فيرثه حليفه دون عصبته، فكانوا يتعاملون بذلك، فلما أنزل الله عز وجل ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥، الأحزاب: ٦]، ثم أنزل الله سبحانه فرض المواريث وقسمها، فراح ما كان بينهم، ورد المال إلى أهله، وقسمت^(٢) على ما حكم الله بها له، وأمضاها فيه.

١١٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [النساء: ٣٦] ؟
وقد مضى تفسيرها بشرح بين إليكم، في مسائلكم التي سألتكم عنها، وفيما قد وصل بكم كفاية، والجواب واحد.

١١٧- وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُوا الرُّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هو: يوم القيامة، يوم الدين، وحشر العالمين، والموقف بين يدي أحكم الحاكمين، يود الكفرة يومئذ عند معاينة العذاب، والإيقان بشر مآب، أن الأرض تسوى بهم، وتسويتها فهو: الخسافها، وذهاهم فيها من شدة ما يرون، ثم قال: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾، فهو يوم القيامة لا يكتُمون حديثاً من أفعالهم، ولا شيئاً مما سلف من زمان حياتهم، وأيام لهوهم، ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ

(١) في (أ)، (ب): والقبيلان.

(٢) في (ب): وقسمت السهام على.

وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمَا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ [يس: ٦٥]. فأي حشمة ^(١) أو فضيحة أو عزيمة أشد من كلام الجوارح وشهادتها على العبد؟ بما كان من فعله، وما ارتكب من معصيته، في أيام مهلته، وأوان غفلته، فنعوذ بالله من شر المنقلب، وموقف الخزاء، وقبح الهول والخزاء، إنه ولينا، وغاية قصدنا.

١١٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣]؟

وقد مضى تفسيرها إليكم، وقلت: في آخر كلامك دليل على أن الله عز وجل قد أجاز شرب الخمر، ومعاذ الله ما في هذا دليل على ترخيص في المسكر، وكيف يرخص في ذلك؟ وهو يقول تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. مع ما نزل ^(٢) فيه من الحد وشد في الرسول عليه السلام.

ولكن السكر الذي نهى الله عن الصلاة فيه، سكر النوم ^(٣)، وذلك أن المسلمين كانوا يأتون من أعمالهم وهم تعبون، فيحضرون الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإذا صلوا المغرب وانتظروا العشاء مالت بهم أعينهم، فإذا نهض

(١) في (ج): خشية.

(٢) في (ب): مما أنزل.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبیر ﴿لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى﴾ قال: نشاوى من الشراب ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ يعني: ما تقرأون في صلاتكم.

وأخرج الفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن الضحال في الآية قال: لم يعن بها الخمر، إنما عني بها سكر النوم.

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس في قوله: ﴿وأنتم سكارى﴾ قال: النعاس.

وأخرج البخاري عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إذا نعت أحدكم وهو يصلي فلينعرف، فليعلم ما يقول)). الدر المنثور ٥٤٦/٢.

النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة قاموا بسنح^(١) النوم ووسنه وشدته يصلون، فلا يسمعون قراءة^(٢)، ويختلط عليهم كثير من حدود صلاتهم لغلبه النوم، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك.

ولو كان هذا السكر سكر الخمر كما قلت لكان مطلقاً لهم ترك الصلاة، لأنه نهاهم ألا يقربوا الصلاة وهم سُكَّارَى، فقد أحل الخمر لهم، فإذا كان ذلك^(٣) كذلك فقد جاز لهم ترك الصلاة أبداً حتى يصحوا، لأنه أمرهم لا^(٤) يقربوها وهم سُكَّارَى، فصار تركهم لها عند سكرهم فرضاً من الله عز وجل عليهم، بأمره سبحانه لهم بذلك، وإطلاقه لهم، فهم غير معذيين ولا مأثومين في تركها، والله بريء من ذلك متعالي عنه، بل حظره عليهم ومنعهم أشد المنع منه، وعذبهم على فعله^(٥)، وإنما السكر الذي نهاهم الله عنه سكر النوم، وأمرهم عند الصلاة بالتيقظ والانتباه وإعادة الوضوء، فهذا تفسير الآية ومعناها.

١١٩ - وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ﴾ [النساء: ٤٦]. فقلت: كيف يحرفون الكلم عن مواضعه^(٦)، وما معنى تحريفهم له؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هل يكون - يرحمك الله - تحريف هو أشد من تحريفهم لما أنزل الله في التوراة من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟! وما

(١) السنح: العارض.

(٢) سقط من (ج): قراءة.

(٣) سقط من (أ): ذلك.

(٤) في (ب): ألا.

(٥) في (ج): وعذبهم عليه.

(٦) سقط من (أ)، (ب): فقلت كيف يحرفون الكلم عن مواضعه.

كان فيها من صفته، والأمر بطاعته، والدلالة عليه، فحرفوا كلام الله فيه، وبدلوه وغيروه ^(١) وكتموه، فهذا أشد تحريف، وأوضح ^(٢) ما يعرف من الحيف.

ومن التحريف أيضاً الكذب على المؤمنين، وتغيير كلامهم، وإدخال الفساد في ذلك بالظلم لهم، ومن التحريف ألا يسمعوها شيئاً من ذكر الله سبحانه، ولا من كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم إلا حرفوه وخرجوه ^(٣) على غير معناه، وأوهموا الناس فيه غير ما أنزله، لأن اليهود أشرار الخلق، وأعداهم لله ولرسوله، وأقساهم قلوباً، وأشدهم كفراً وحقداً على المؤمنين، لا تخشع قلوبهم لذكر الله، إلا اليسير من الكثير، وذلك قول الله سبحانه: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

١٢٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ [النساء: ٤٧] ؟ قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى قوله ^(٤) ﴿ءَامِنُونَ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾، أراد سبحانه من أهل الكتاب: الإيمان به وبكتابه ورسوله.

(١) في (أ): وبدلوا وغيروا.

(٢) في (أ) و (ج): وأصح.

(٣) سقط من (أ): وخرجوه.

(٤) في (أ): فقال: ﴿آمنوا ...﴾. وفي (ج): معنى ﴿بما نزلنا ...﴾.

ومعنى ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾: لما في توراتكم من ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم وصفته، والأمر بطاعته، لأن الله عز وجل قد ذكره لهم في كتابه، وأخبرهم أنه سيرسله، وأمرهم بطاعته، وبأن لهم صفته، فإذا لم يؤمنوا بما قد ذكر لهم في كتابهم، فلم يصدقوا بشيء مما في توراتهم، وكذلك لو لم يرسل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على ما أخبرهم ووعدهم، لكان ذلك خلفاً لوعده، فكان إرساله لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم تصديقاً لما ذكر في التوراة من نبوته.

وكذلك يلزمهم إذا كذبوا بما في التوراة من بعد إثباته^(١) وتبيينه، فقد كذبوا بكل ما في التوراة من وحي وأمر ونهي ووعد ووعيد، وإذا كذبوا بذلك فقد باينوا بالكفر وجاهروا به، وسواء جحدوا شيئاً واحداً مما أمروا به، أو جحدوا جميع ما أنزل عليهم، وما حكم الله به وأمر فيهم.

ومعنى: ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾، فهو: الخذلان لهم والإذلال والهوان، وإنزال المصائب بهم، والمسوخ لهم، والتغيير لخلقهم، ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ آلِ سَبْتٍ﴾، واللعنة من الله عز وجل فهي: العقوبة والعذاب، وأراد سبحانه يترل بهم كما أنزل بأصحاب السبت من المسوخ لهم، والتغيير لخلقهم، وأصحاب السبت فهم: الذين خالفوا أمره في الحيتان، فمسخهم قردة وخنازير.

١٢١- وسألت عن الجبت والطاغوت ؟

وقد سئل عن ذلك جدي القاسم عليه السلام، فقال: الطاغوت: الشيطان والغواية المردة والكهنة. والجبت يقال: إنه السحر. والله أعلم^(٢).

١٢٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] ؟

(١) في (أ)، (ب): إتيانه.

(٢) سقط هذا السؤال من: (أ)، (ب).

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي عن هذه المسألة.

فقال: تأويل ذلك: أن الله عز وجل قادر على ما يشاء من مغفرة أو تعذيب، لمن خلق وأنشأ، وليس في خير من الأخبار أنه غير معذب لمن أوعده بالنار، لأنه جل ثناؤه لو لم يعذب من أوعده بالعذاب من أهل الكبائر لكان في ذلك خلف وإكذاب لما وعد به في ذلك الميعاد، وفيما ذكر سبحانه من وفاء ميعاده ووعد، ما يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝﴾ [الرعد: ٣١]. وليس بين قوله سبحانه: ﴿يَغْفِرُ﴾ و﴿يُعَذِّبُ﴾ فرق، لأن من لم يغفر له فقد عذبه، ومن عذبه فلم يغفر له.

١٢٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿أَمْرٌ يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝﴾ [النساء: ٥٤]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء المذكورون في الحسد هم أهل الكتاب، حسدوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما خصه الله به وأعطاه، وحسدوا المؤمنين ومن تبعه من المسلمين، فقال الله سبحانه: ﴿أَمْرٌ يُحْسَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝﴾. فأخير عز وجل بما أتى الأنبياء، وهذا دليل على أنهم أرادوا النبوة فيهم، وحسدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما خصه الله به من الملك، وأنزل عليه من الوحي، ألا تسمع كيف يقول: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ۝﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ [النساء: ٥٤-٥٥]، فلم ينتفعوا، إذ كان ذلك في داود وسليمان حتى صدوا عنه، وأبعدوه وكرهوه وناذوه، ثم ذكر ذرية إبراهيم فقال: ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ [الأنعام: ٨٤]. وقد كان

(١) في (أ)، (ب): وبين.

أعطى داود ملكاً عظيماً، فاختلفوا عليهما كاختلافهم على محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وزعموا أن ملك سليمان كان بالسحر، فلم ينتفعوا بذلك. وأما ما قلت: إنهم حسدوا محمداً النساء^(١)، فهذا شيء لم يكن، ولكن حسدوه في النبوة، وفي الملك الذي آتاه الله إياه.

١٢٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَّيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾ [النساء: ٧٢]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى^(٢) ﴿لَّيَبْطِئَنَّ﴾ هو: يتخلف ويتثاقل عن الغزو والخروج، فإن أصاب المسلمين ﴿مُصِيبَةٌ﴾ كما قال الله عز وجل، والمصيبة فهي المحنة والنازلة، ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً﴾، والشهيد فهو: الحاضر، فهو لاء ومثلهم المتربصون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبالمؤمنين، وقد^(٣) ذكرهم الله عز وجل فقال: ﴿وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الَّذِينَ ظَنَرُوا أَنَّكُمْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ ظَنَرْتُمْ أَنْ يَخْلَوْا بِكُمْ وَخَرُّوا عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ فَاقْبَضُوا ظُهُورَهُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [النساء: ٧٣]، وهذا الإبطاء الآن في الناس يفعلونه، ونراه منهم عياناً في الغزوات والجهاد، وإنما يكون ذلك ممن لا دين له ولا معرفة، يرى الجهاد مغرماً والسير فيه تعباً، لقلة العلم، ورداوة المعرفة.

(١) أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم، من طريق العوفي عن ابن عباس قال: قال أهل الكتاب: زعم محمد أنه أوتي ما أوتي في تواضع وله تسع نسوة وليس هم إلا النكاح، فاي ملك أفضل من هذا. فأنزل الله هذه الآية ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ...﴾ إلى قوله: ملكاً عظيماً، يعني: ملك سليمان. الدر المنثور ٥٦٦/٢.

(٢) في (أ)، (ج): معنى.

(٣) سقط من (أ): وقد.

وقد يمكن أن يقولوا هذا في الآخرة عندما يردن من ثواب المؤمنين وعطائهم، وإحسان الله إليهم، على ما كان من جهادهم، وسرعة هزهم في ما افترض الله عليهم، ثم يرى أهل التخلف والتشط ما يصنع الله للمؤمنين فيندمون على ما كان منهم، ويأسفون على تخلفهم، ويقولون: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣] !!

فيكون أسفهم على ما كان من ثواب رهم أعظم من أسفهم على ما فاتهم من غنائم المؤمنين التي نالوا بجهاد الظالمين، فهذا وجه مما يصلح ويخرج في تفسيرها، والوجه الأول عندي هو مخرجها، إلا إنني استحب تخريج المسألة على جوهها والشرح لما تخرج عليه من أروها.

١٢٥- سألت عن رجل كان له على رجل حق، فجحدته إياه ومنعه منه، فقلت هل يستعدي إلى السلطان الجائر؟

وفي هذه المسألة جواب أغفلناه إلى وقت يمكن فيه شرحه، إن شاء الله.

١٢٦- سألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، فقلت: ما معنى الرفيق؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ألا تسمع كيف يقول الله عز وجل في أول الآية: ﴿فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ...﴾ [النساء: ٦٩] ^(١) إلى آخر الآية، ومعنى قوله: ﴿رَفِيقًا﴾، فالرفيق هو: الصاحب والمجالس والمحادث والمقارن، فهذا هو الرفيق.

١٢٧- سألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَا وَرَيْكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؟

(١) في (ج): قصر الخبر في الآيتين الأولتين، ثم قال سبحانه لمن أطاعه: ﴿ومن يطع الله والرسول...﴾ وكمال الآية: ﴿... والصدّيقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا﴾.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ - ولا يصح لهم الإيمان^(١) - حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿، من مناظرهم، وما اختلفوا فيه من أمورهم، ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾، والخرج فهو: الشك والإرتياب، وضيق الصدر، فإذا لم يجدوا ذلك في قلوبهم من حكمه، ولم يراجعوه في شيء من قوله، ويسلموا لذلك^(٢)، فقد صح لهم الإيمان، وبعدت عنهم نزغات الشيطان، وهذا دليل على أنه قد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من إذا حكم عليه بحكم، أو أنفذ شيئاً من أمور الله فيه، خرج صدره، وضاعت نفسه، فنبههم الله في ذلك، وبَيَّنَّ لهم أنه^(٣) شريطة الإيمان، ويتم عليهم فيه من الله النعمة والإحسان. فهذا معنى الآية وتفسيرها.

وقلت: هل كتب الله عليهم أن يقتلوا أنفسهم.

أولا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ٦٦]. ولم يقل: ﴿كَتَبْنَا﴾، فأخبر سبحانه أنه لو امتحنهم وأمرهم بشديد من الأمر، ما قدروا على ذلك ولا أطاقوه، فهذا يوجب الشكر له عز وجل عليهم، إذ لم يمتحنهم بمحنة تصعب، ولا يفرض منه سبحانه يغلب، ولم يكلفهم شيئاً من الأمور العضلات، التي كلفها غيرهم من القرون الخالية، والأمم^(٤) السالفة، فيجب عليهم بتركها اسم المعصية، ويستوجبوا من الله فيها النعمة، أو يحمداوا على فعله، ويثابوا في الآخرة على عمله، بل خفف عليهم الامتحان، وأوجب لهم بفعلهم المغفرة^(٥) والرضوان.

(١) سقط من (أ)، (ب): ولا يصح لهم الإيمان.

(٢) في (أ)، (ب): كذلك.

(٣) في (أ)، (ب): به.

(٤) في (أ)، (ب): والأمور.

(٥) في (أ)، (ب): لهم على الطاعة المغفرة.

وقد ذكر عز وجل أنه قد امتحن قوم موسى بقتل أنفسهم، وقيل: إنهم امتحنوا بقتال عدوهم، وحرم عليهم أن يزولوا من مصافهم، حتى يفنوا عن آخرهم، وكل ذلك فمحنة شديدة عظيمة، إذ لم يجعل لهم توبة، دون فعل ما أمرهم به، وذلك قوله عز وجل في كتابه، يخبر عن موسى عليه السلام في قوله لهم: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَرْقُومُ أَنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

وقد امتحن الله عز وجل الأمم من قبل أمة محمد صلى الله عليه، بأمر شديدة، وأسباب جلية، وتعبدهم بفرائض خففها ^(١)، خفف ذلك كله عن أمة محمد صلى الله عليه، رحمة منه لهم، وإكمال حجة ^(٢) عليهم، وكرامة لنبیهم، صلى الله عليه وعلى أهل بيته وسلم.

١٢٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ...﴾ إلى قوله: وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلاً ﴿﴾ [النساء: ٧٧] ^(٣) ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم ممن كان مع رسول الله صلى الله عليه من المنافقين، ممن كان يظهر بلسانه ما ليس في قلبه، وكانوا ينتزعون إلى الفتنة والقتال، ويمدون أيديهم فيما لا يجوز من الأفعال، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك، وكان فعلهم هذا من قبل أن يفترض الله عز وجل على النبي صلى الله عليه الجهاد، فأمرهم سبحانه (عز وجل أن

(١) سقط من (أ)، (ب): خففها.

(٢) في (أ)، (ب): حجة.

(٣) كمال الآية: ﴿...﴾ فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وقالوا ربنا لم كتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب، قل متاع الدنيا قليل والأخرة خير لمن أتى... ﴿﴾.

يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤدوا الفرض الذي تعبدتهم به، ثم أمرهم (١) بالجهاد وحكم به عليهم، وأطلق لنبيه ولهم، ثم نكلوا عما كانوا يقولون، ورجعوا عما كانوا من أنفسهم يظهرن، ثم أخبر أنهم يخشون الناس ويفزعون من قتالهم، كخشية المؤمنين لله، الذين لا ينكلون على أمره، ولا يرجعون عن حكمه، فذكر عز وجل هؤلاء المنافقين أنهم يخشون الناس، ويهابونهم كخشية الله (٢)، وليس لهم خشية لله، ولو كانت لهم خشية لله وهيبة ومعرفة، ما نكلوا ولا رجعوا، ولا ونوا ولا قصروا، ولكن الله عز وجل أخبر نبيه والمؤمنين أن هؤلاء المنافقين يخشون الناس كخشية الله، التي في قلب نبيه وقلوب المؤمنين معه، فذم الله سبحانه أهل النفاق والكفر والشقاق بفعلهم، وما ربك بظلام للعبيد.

وقولهم: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾. يقولون: إلى انقضاء المدة، وحضور الموت، فأخبرهم عز وجل أن متاع الدنيا قليل، وأنهم لو بلغوا في المدة غاية الأمل والإرادة، لكان آخره إلى (٣) انصرام وذهاب، وكل ما زال وذهب فليس يعطيه لمن كان له عقل ومعرفة.

والفتيل فقد قيل: إنه الذي يكون وسط النواة.

وقد قيل: إنه الذي يكون في شقها، والفتيل عندي: ما قل وحقر وصغر.

وقد قيل: إن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري (٤)، «وقدامة بن مظعون الجمحي، وسعد بن أبي وقاص الزهري» (٥).

(١) سقط من (أ)، (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): الذين لا ينكلون عن أمره، ولا يرجعون عن حكمه، فذكر عز وجل هؤلاء في المنافقين أنهم يخشون الناس ويهابونهم كخشية الله.

(٣) سقط من (أ)، (ب): آخره إلى.

(٤) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة في الآية قال: ((كان إناس من أصحاب النبي

١٢٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (١) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿ [النساء: ٧٨ - ٧٩]، فقلت: مرة ينسبه إلى نفسه (١)، ومرة ينسبه إلى العبد؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تفهيم من الله عز وجل وتبيين، لمن كان مع محمد صلى الله عليه، وذلك أنه كان بعضهم إذا أصابتهم حسنة وغنيمة ونصر، قالوا هذا من الله عز وجل، وإذا أصابتهم محنة نسبوها إلى نبيهم صلى الله عليه، وهذا كان من كلام بعضهم يوم أحد، وذلك أنهم لما اشتوروا في قتال المشركين، أشار بعضهم بقتالهم في المدينة، وأشار بعضهم بالخروج إليهم، وقالوا: يا رسول الله نخشى أن يطمع العدو فينا، إذا قاتلنا بين الأزقة، وحول القرية، ويظنوا أنا قد دخلنا منهم، أو ضعفنا عن الخروج إليهم، وأشاروا بالخروج فلما لبس صلى الله عليه درعه، وتقلد سيفه، وخرج وسار ساعة، قال له بعض من كان معه: يا رسول الله لو رجعت إلى المدينة فقاتلنا بين أزقتها فهو أنصر لنا، فقال صلى الله عليه: قد أبيتم ذلك، وما كان لني إذا لبس لأمته أن يضعها حتى تنقضي الحرب.

فسار عليه السلام، ومن كان معه من المؤمنين، حتى قاتل أهل الشرك والنفاق، فلما عبأ العسكر جعل الرماة على جبلين من ورائه، وأمرهم أن لا يبرحوا من

صلى الله عليه وآله وسلم - وهم يومئذ بمكة قبل الهجرة - يسارعون إلى لاقبال، فقالوا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ذرنا نتخذب معاول فنقاتل بها المشركين. وذكر لنا أن عبد الرحمن بن عوف كان فيمن قال ذلك، فنهاهم نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك قال: لم أؤمر بذلك. فلما كانت الهجرة وأمروا بالقتال كره القوم ذلك وصنعوا فيه ما تسمعون، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تظلمون﴾ فيلا (٢). الدر المنثور ٥٩٤/٢.

(١) سقط من (أ)، (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (أ): نفسك. مصحفة.

الموضع، خوفاً منه صلى الله عليه أن يقتحم العدو عليهم من خلفهم، ويأتوا من الطريق^(١) التي جعل فيها الرماة مقابلة لهم، فلما أن هزم عليه السلام المشركين، ووقع المسلمون في غنائمهم، خلا الرماة الموضع الذي كانوا فيه، واستغاروا في طلب الغنيمة، فاستدارت خيل المشركين ومن كان معها^(٢) فدخلوا على النبي صلى الله عليه من ورائه، من حيث كانت الرماة، فقتل من المسلمين ما قد علمت، وامتنحوا بمحنة عظيمة جنتها عليهم أنفسهم، بما كان من مخالفتهم.

فلما أن رجعوا إلى المدينة قال بعضهم: هذا منك يا محمد، قد كنا أردناك^(٣) على القتال في المدينة فغلبت، فأخبرهم الله سبحانه عز وجل أنه ما أصابهم من النعمة والفتح في أول ذلك النهار فمن الله، وما أصابهم من سيئة فمن أنفسهم، إذ خلوا موافقهم، وراحوا عن مواضعهم، وتركوا ما أمرهم به نبيهم صلى الله عليه، حتى وجد العدو مدخلاً عليهم من بعد أن أراهم الله ما يحبون.

وأما قوله سبحانه: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾. فإنما ذلك معنى سوى هذا، يخبر عز وجل عن الحسنة والنعمة منه عليهم، والسيئة التي تنزل بهم فهو ما يكافيهم الله به في فعلهم، وما أوجب عليهم من الحد والعقوبة، وما جعل في ذلك من الأحكام الشديدة، وقد يخرج في هذا وجه آخر، بما يصيبهم من القتل والجراح، فإنما ذلك لفرض الله عليهم، إذ تعبدتهم به، وأمرهم بالقيام فيه، فهذا وجه المسألة وتفسيرها، والله أعلم، سبحانه وتعالى علواً كبيراً.

وقد قال بعض المفسرين: إن معنى ﴿وَإِنْ تُصِيبَهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِّنْ عِندِكَ﴾ [النساء: ٧٨]. قالوا في ذلك: إنه ما كان من مطر وخصب، فهو من عند الله، وما كان من قحط وجذب فهو

(١) في (أ)، (ب): ويأتوا الطريق.

(٢) في (أ): معهم.

(٣) في (أ)، (ب): أردناك.

منك، فقال الله عز وجل: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨]. وليس التفسير عندي كما فسروا، والقول الأول الذي قلنا به هو الصواب عندنا، والله الموفق، لكل خير وسداد.

١٣٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء: ٨١]، فقلت: ما معنى التبييت؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا إخبار من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه، بفعل أهل النفاق والشك والارتياب، كانوا إذا دخلوا على النبي صلى الله عليه وسمعوا الحكمة، وما أنزل الله من الموعظة، ثم خرجوا من عنده باتوا في ليلتهم يبيتون تحريف كلامه، والكذب في قولهم عليه، مدبرون لصد الحكمة التي يسمعون، متعون لغير ما به يوعظون^(١).

وقد قيل: معنى ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾، أي: بيتوا غير ما أعطوك من أنفسهم^(٢)، وليس ذلك ولا القول فيه إلا ما قلنا به أولا.

وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، فقلت: قد نجد فيه ألفاظا مختلفة، حتى كأنه ينقض بعضها بعضا؟

واعلم - هداك الله - أن هذا شيء لا يطلق في الكتاب، ولا يتكلم به أهل المعرفة والألساب، قد بعد منه الاختلاف والتناقض، بل هو المؤتلف الواضح يشهد بعضه

(١) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن السدي في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ﴾ قال: هؤلاء المنافقون الذين يقولون إذا حضروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأمرهم بأمر قالوا: طاعة، فإذا خرجوا غيرت طائفة منهم ما يقول النبي ﷺ والله يكتب ما يبيتون ﷻ يقول: ما يقولون. الدر المنثور ٥٩٩/٢.

(٢) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر عن قتادة ﷻ بيت طائفة منهم غير الذي تقول ﷻ قال: يغيرون ما عهدوا إلى نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٥٩٩/٢.

لبعض، ويؤكد بعضه بعضاً، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، شفاء من الأدواء، ونور لمن اهتدى، منجى من الهكلة، قائد في كل ظلمة، لا يضل من تعلق به، ولا يهلك أبداً من تمسك بحبله، فيه شفاء الصدور، وموضح ما التيس من الأمور.

ولو كان في نسقه، ورصين كلامه، ومحكم تأليفه، وعزيز مطرد وصفه، اختلاف وتناقض أو تفاوت، لما قال سبحانه: ﴿فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ١٧]. فلما أن كان معناه واحداً، وتزيله محكماً، عز على الخلق أن يأتوا بمثله، أو يقدروا على سورة من شكله، فانقطع عند ذلك كلام المتكلمين، وانقطعت لديه حجج المخالفين، فالج من خصمه، وقاهر من حاوره، وناضل من ناضله، إليه يرجع الصادون، ويتحاكم المتحاكمون، مزيج الشبهات، وكاشف الظلمات، فكل كلام سواه مختلف، وفي معانيه غير مؤتلف، فهو كما قال العلي الأعلى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

١٣١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾

عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿[الحجر: ٩٢-٩٣]؟ وقوله: ﴿فَيَوْمَذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩]؟ وقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فمرة يقول: لا يسألون! ومرة يقول: يسألون! فهذا مما يقع فيه الشك عند من لا يعرف التفسير. وقلت: بين لي ذلك وأوقفني منه على معنى يذهب الشك والارتياب؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله ووفقك - أن هذه الآيات بينات واضحات، لا شك فيهن ولا ارتياب، وسنفسر لك إن شاء الله ما عنه سألت، ونوقفك فيه على ما له قصدت.

أما معنى قوله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿فَوَرَّيْكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر: ٩٢]. فسؤاله لهم عز وجل فهو لغير استفادة أمر مجهول،

ولا غائب مستور، وإنما يسأله سبحانه للتقرع والتبكي، والإذلال للظالمين، لا على حاجة منه عز وجل على علم شيء من الأشياء مستتر عنه.
وأما قوله: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].
فإنما أراد سبحانه: أنهم لا يسألون مسألة استخبار ولا استفهام، بل هو العالم بجميع الأسرار.

ومعنى: قوله تبارك وتعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].
فكذلك الله سبحانه لا يسأل عن فعله، ولا راد لحكمه، إذ هو المالك لخلقه، والقادر على عبادته، العادل في جميع أفعاله، الذي أوجد خلقه من بعد العدم، وفطرهم على ما شاء من صورهم، واختلاف خلقهم وألوانهم، حكمة وتدبيراً، وصنعاً متقناً وتقديراً، فلا معقب لحكمه، ولا راد لأمره، وهو العزيز الحكيم، الذي أمات وأحيا، وخلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، وهو الذي سبحانه أغنى وأقنى، ورزق وأعطى، وتعدّد خلقه بما افترض في كتابه المنزل، مع نبيه المرسل، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤١]، فكل ذلك من فعله، والخلق فيسألون عن أفعالهم، وعما يكون من ظلمهم وإحسانهم، وكل سيكشف علمه، ويجازى على فعله، ويوقف على قصده، فهذا معنى ما عنه سألت، فافهم هديت، وميز بين لك الصواب، ويذهب عنك بعون الله الارتياب.

١٣٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]. ما معنى الشفاعة؟

فمعنى ذلك: أنه من عمل عملاً أو شفع شفاعة، بقول رضي، وعند الله سبحانه مقبول زكي، كان له من ذلك نصيب، ومعنى النصيب: أي حظ وأجر وثواب،

وعطاء على فعله، ومجازاة على المرضي من عمله^(١)، لأن الله لا يضع أجر المحسنين.

١٣٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿مُقِيتًا﴾ فهو: مقتدراً^(٢)، وذلك في لغة العرب فموجود، أن المقيت هو المقتدر، ألا تسمع كيف يقول الشاعر:

وذو حنق كفت النفس عنه وكنت على سوءاته مقيتا

يقول: مقتدرا.

وقد قال بعض المفسرين: إن معنى ﴿مُقِيتًا﴾ هو: شهيداً^(٣). وليس هذا عندي بصواب، والقول الأول أوضح للحق، وأبعد من الشك.

١٣٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُتَنَفِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ [النساء: ٨٨] ؟

(١) في (أ): فعله.

(٢) أخرج أبو بكر بن الأنباري في الوقف والابتداء، والطبراني في الكبير، والطوسي في مسائله عن ابن عباس: أن نافع بن الأزرق سأله عن قوله ﴿مُقِيتًا﴾ قال: قادرا مقتدرا. قال: وهل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت قول أحبيبة بن الأنصاري:

وذو ضغن كفت النفس عنه وكنت على مساءته مقيتا

وأخرج ابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿مُقِيتًا﴾ قال: قادرا.

وأخرج ابن جرير، عن السدي قال: المقيت: القدير. الدر المنثور ٦٠٤/٢.

(٣) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد ﴿مُقِيتًا﴾ قال: شهيدا حسيبا حفيظا. الدر المنثور ٦٠٤/٢.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ هو: مالكم فيهم حزين تتحاجون؟! وفي أمرهم تتحاورون؟! وهذا القول فكان من المؤمنين في أهل النفاق، والكفر والشقاق، فأخبر عز وجل أنه ﴿أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾، أي: أخذهم وتركهم من التوفيق لشرارتهم، وبعدهم من طاعة ربهم، فهلكوا بذلك وصاروا من المعذنين، وعند الله من المقبوحين، وذلك أن هؤلاء القوم الذين ذكر الله اختلاف المؤمنين فيهم، رجعوا إلى مكة من بعد إيمانهم، فقال قوم: هم مؤمنون، وقال آخرون: هم منافقون، قد ارتدوا عن الإسلام، وذلك أنهم عند خروجهم من مكة كتبوا من طريقهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله: إنا على عهدك والتصديق بدينك، إلا أنا نزعنا إلى وطننا، فوهّموا بذلك على المؤمنين، فبين الله نفاقهم وما كان في ضميرهم من الرجوع عن الدين، وأوضح أمرهم لجميع المؤمنين، ومعنى ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾ [النساء: ٩٠] فالحصر هو: الضيق والخرج.

١٣٥- وقلت: كيف تقرأ ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ﴾؟

بتسكين التاء.

١٣٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾ [النساء: ٩٢]. ثم قال: ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ [النساء: ٩٢، المجادلة: ٤]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل بتحرير رقبة تكفيراً للخطيئة، ومحواً للسيئة، فجعل فيه تحرير رقبة بعد الدية.

ثم قال في آخر الآية: ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٢]، فأوجب الصيام لشهرين متتابعين، فمن لم يجد الرقبة، ولم يطق أن يصوم، فعليه أن يطلب الرقبة ويجهدها فيها، وتكون في رقبته ديناً حتى يفيدها، أو يمكنه الصيام من قبل المقدرة على الرقبة، فيصوم إن كان تركه أولاً لعله عرضت عليه.

١٣٧- وقلت: هل يحكم على العاقلة بالدية؟

وكذلك يفعل بهم، والدية عليهم.

١٣٨- وقلت: وإن لم يكن له عاقلة، وله مال هل يخرج من ماله؟
فقد قيل: إن عاقلته إذ لا عاقلة له المسلمون، لأنهم ورثته إذ لا ورثة له. وإن كان
إماماً ظاهراً وداه من بيت مال المسلمين لأنهم ورثته، إذ لا ورثة له.

١٣٩- عن رجل قتل مسلماً عمداً، هل يجب عليه عتق رقبة؟
ولم يذكر الله في كتابه، وإنما يلزمه القتل، فإن عفي عنه، وقبلت الدية، فقد
أحسن في ذلك إليه، ومثوا بنفسه عليه، وعليه أن يؤديها كما قال الله سبحانه: ﴿فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾
[البقرة: ١٧٨]. ويستحب له أن يكفر بعتق رقبة، فهو أفضل له. فأما أن يكون
محكوماً به عليه، فليس ذلك بلازم له.

١٤٠- وقلت: فإن قتل قوم رجلاً خطأ هل تجزيهم كفارة واحدة؟
مثل القوم دفعوا جداراً ليطرحوه، ولم يعلموا بما خلفه، فقتلوا رجلاً، فعلى كل
واحد منهم كفارة.

١٤١- وقلت: إن قتل قوم رجلاً مؤمناً عمداً؟
فالجواب في ذلك أنهم يقتلون كلهم^(١) به.

١٤٢- قلت: إن عفى بعض الأولياء عن بعض القتاتين؟
فالجواب في ذلك،^(٢) أنه إذا عفي عن بعضهم، أن القتل قد زاح عن كلهم، ولا
قتل عليهم، لأن جميعهم بمنزلة رجل واحد، وإذا صفح عنه أحد الأولياء، لم يجز
قتله للآخرين، ويجب على كل هؤلاء القتاتين إذا عفي عن بعضهم، وسقط القتل
عنهم دية دية، يخرجونها لأولياء المقتول، فإن كانوا خمسة أخرجوا خمسة آلاف،
وإن كانوا عشرة أخرجوا عشرة آلاف، وإن كانوا أقل أو أكثر فعلى حساب
ذلك.

(١) في (أ): كلهم يقتلون به. وسقط من (ج): به.

(٢) سقط من (أ): ما بين القوسين.

وقد قال قوم ممن لا علم عندهم، ولا تمييز لهم: إنه إذا قتل جماعة رجلاً عمداً^(١) ساهم بينهم الولي، فقتل منهم واحداً، وهذا عين الظلم والمحال! وأقبح شيء من الحكم والأفعال! أن يكونوا كلهم قاتلين معاً، ثم يقتل ولي المقتول منهم واحداً! فيجمع ذنوبهم كلها في رقبة! ويخرجوا سالمين مما دخلوا فيه معه! هذا قول مدخول، لا يقبله إلا كل عقل فاسد مخبول.

وقد سئل عن هذه المسألة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه؟ فقال: نعم لو قتله أهل صنعاء كلهم لقتلتهم به^(٢). وقد يروى أن المسألة وردت عليه من صنعاء، ويذكر أنه قال: لو قتله أهل منى لقتلتهم به.

١٤٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ فهو: عند حضورهم الأجل، وانقطاع الأمل، وخروج نفس المتوفى، وما يتزل من الموت بجميع الأحياء.

ثم قال: ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. يقول عز وجل يتوفى أنفسهم وهو ظالمون لها، بما اجترموه من أفعالهم، وكانوا فيه من المخالفة لربهم، فأهلكوا أنفسهم، وقد كانوا قادرين على إيصالها إلى الثواب، والنجاة لها من أليم العقاب، فلم يفعلوا واتبعوا الهوى، وارتكبوا الردى، فكانوا بذلك ظالمين، وبتقصيرهم في أمر الله من المالكين.

(١) سقط من (ج): عمداً.

(٢) لما كان عهد عمر اشترك جماعة في اليمن في قتل طفل فاستشار عمر الناس في ذلك، فقال له علي: رأيت لو أن نفرأ اشتركوا في سرقة جزور فأخذ هذا عضواً وهذا عضواً، أكنت قاطعهم؟ قال: نعم، قال: فذلك. أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٤٧٧/٩، والبيهقي في السنن ٤١/٨، ومالك في الموطأ ٨٧١/٢، والبخاري تعليقا في الدييات، وابن قدامة في المغني ٦٤٩/٧.

ثُمَّ أَخِيرَ عَزَّ وَجَلَّ عَمَّا يَعْتَذِرُونَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، فَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيمَا أَحْتَجُوا بِهِ مِنْ ذَلِكَ لَهُمْ حِجَّةَ وَلَا عَذْرَاءَ، بَلْ كَانَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ نَقْمَةً، وَإِلَى الْعَذَابِ ذَرِيعَةً.

فهذه الآية فحواها يطول، ولها معاني يوفق الله لها مَنْ قصده من عبادِهِ. وهي توجب على الخلق أسباباً لا يقوم بها إلا من امتحن الله قلبه، وشرح بالإيمان صدره، والقليل المجزي لمن قبله، خير من الكثير العزير لمن لا ينتفع به، وقد أعطيناك فيها جملة، وهي للهجرة ملزمة، وعن دار الفسق والكفر للعزلة موجبة، فنسأل الله التوفيق لما يرضيه، ويقرب من الأمور إليه.

وذكرت السكني مع الظالمين والكيونة بينهم، وقد أجبنا في هذا بجواب شافي هو عندك في كتاب الإيضاح، والقول واحد لا يختلف، ومعاشرة الظالمين فحرام، ومكاوتهم من أعظم الآثام.

١٤٤- وسألت عن الظالم يغشى البلد ولا يعذر أهلها أن يمنعه، فيقيموا في البلد معه هل يسعهم ذلك، أو يجوز لهم أن يسكنوه فيها؟

قال إن أمكنهم الانتقال منه فلينتقلوا إلى أطراف البلدان حيث لا يلحقهم له^(١) حكم، ولا يجوز له عليهم أمر، وإن أضر بهم وحال بينهم وبين الخروج من بلدهم، كانت حالهم كحال من حبسه ظالم^(٢) لا حيلة لهم في ذلك، فيجب عليهم أن يعادوه بقلوبهم، ولا يدخلوا عليه بشيء من أرفاقهم، وهم معذورون عند الله بحصرهم.

١٤٥- وسألت عن الحديث الذي يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في صفة المتقين:

(١) في (أ)، (ب): لا يلحقه لهم. مصحفة.

(٢) سقط من (ج): ظالم.

« إن كان الرجل منهم في الغافلين، كتب من الذاكرين، وإن كان في الذاكرين، لم يكتب من الغافلين، يعفو عن من ظلمه، ويعطي لمن حرمه »^(١)، فقد سمعنا عن رسول الله صلى الله عليه أنه قال: « ليس البر أن تعطي من أعطاك، ولا أن تصل من وصلك، ولا أن تبر من بك، ولكن البر أن تعطي من حرمك وتصل من قطعك، وتبر من عكك، وتعفو عن من ظلمك »^(٢).

(١) قال الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، في صفة المتقين: إن كان في الغافلين كتب في الذاكرين، وإن كان في الذاكرين لم يكتب من الغافلين. يعفو عن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه. نهج البلاغة خطبة رقم (١٩٣).

(٢) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((ثلاث من كن فيه حاسبه الله حسابا يسيرا، وأدخله الجنة برحمته. قالوا: ما هي يا رسول الله بأبي وأمي؟ قال: تُعطي من حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك، فإذا فعلت ذلك يدخلك الله الجنة. رواه البزار، والطبراني، والحاكم، وقال: صحيح الإسناد.

وعن علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وأن تعفو عمن ظلمك)). رواه الطبراني في الأوسط من رواية الحارث الأعور عنه. رواه المنذري في الترغيب والترهيب ٣/٣٤١ - ٣٤٢ (٢٦، ٢٨).

وأخرج مسلم برقم (٤٦٤٠)، وأحمد برقم (٧٦٥١) بلفظ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ صَلِّ مِنْ قَطْعِكَ وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ وَأَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ قَالَ ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَمْلِكْ لِسَانَكَ وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ وَلَيْسَعَكَ بَيْتَكَ قَالَ ثُمَّ لَقِيتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لِي يَا عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ أَلَا أَعْلَمُكَ سُورًا مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَةِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا لَا يَأْتِيَنَّ عَلَيْكَ لَيْلَةٌ إِلَّا قَرَأْتَهُنَّ فِيهَا قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ.

وفي رواية لمسلم وأحمد، واللفظ لمسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي وَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ لَنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُهُمْ

وأما ما ذكرت من الكينونة مع الغافلين، فلا نعرف عنه ذلك عليه السلام^(١).
 ١٤٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، فقال: معنى قوله: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، يعني: من لم يمكنه النقلة والهجرة عن أهل المعصية، الظلمة الفجرة، ثم قال: ﴿فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٠].
 ثم قال سبحانه مؤكدا على من أمكنه النقلة والهجرة، والاعتزال لأهل المعصية والفسق والريسة: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠]. يعني بالمراغم: الاعتزال لجوار^(٢) أئمة الظلمة والمغاضبة، وإن غاظ ذلك الفساق وأرغمهم وغمهم.

١٤٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا يَنْهَنُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨] ؟
 قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا تبيين من الله عز وجل للمؤمنين، وإعلام بمن حظر عليهم معاشرته من الفاسقين، ومن أطلق لهم مكاوته من المخالفين.

فنهاهم عز وجل عن الذين حاربوهم وأدخلوا عليهم، واستجبلوا إلى حربهم الغوائل^(٣)، ولم ينههم تبارك وتعالى عن من كان غير محارب لهم، ولا موجب عليهم، ولا مكاون لعدوهم، والسقط فهو: العدل وترك الظلم، فأمر نبيه صلى الله

الْمَلْ وَلَا يَزَالُ مَعَكُمْ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

(١) سقط من (ج): هذا الجواب والسؤال الذي قبله.

(٢) في (ج): لجور.

(٣) في (أ)، (ب): واستجبلوا العدو إلى حربهم وطلبوا الغوائل.

عليه والمؤمنين معه، أن يقسطوا في من وفي بعهدهم، ويرأوا من لم يشهر نفسه بعداوتهم، وكان منصفاً لهم، فهذا معنى الآية وتفسيرها.

١٤٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿تَأْلَمُونَ﴾ ألم الجراح ووجعها عند الجهاد، ومحاربة أهل الكفر والعناد، مع التعب في الحركة والأسفار، والمسير في الليل والنهار، فأخبرهم عز وجل أن عدوهم يألم كما يألمون، ويجد من الألم أكثر مما تجدون، وأنتم فترجون من الله من الرحمة والرضوان، والمغفرة والجنان، ما لا يرجون الكفرة الأشرار، فإذا صبروا على ما فيه هلكتهم، ولا نجاة عند الله سبحانه لهم، فأنتم أولى بذلك وأحق به ^(١)، إذ أنتم أهل الثواب الكريم، والحل عند الله العظيم، فكان هذا تثبيتاً من الله لثبات المؤمنين، وتقوية منه سبحانه لعزائم المتقين، أهل الصدق واليقين، والطاعة لرب العالمين.

١٤٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً﴾ [النساء: ١٠٥].

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل إكرام نبيه وتعظيمه، من بعد إقامة الحجة على أهل الشرك من أهل الكتاب، ألا يكون لهم خصيماً، في ما قد بان لهم من الحق، وعرفوه معه صلى الله عليه من الصدق، ووجدوه في كتبهم، وثبت في عقولهم، وهم يجادلون في الحق بعد ما تبين مضادة لله ولرسوله، فأمره الله ألا يكون لهم خصيماً من بعد ذلك، وأن يحكم بما أراه الله الحق، وينفذه عليهم وعلى غيرهم وهم كارهون، وقد ذكر ذلك عز وجل فقال: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩]. فأمره الله سبحانه أن يحكم بينهم بما أنزل الله، فكان صلى الله عليه ينفذ أحكام الله فيهم، وبمضيها برغمهم عليهم، وقال عز وجل: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

(١) في (أ): أولى وأحق بهم. وظنن فوقها بـ (منهم).

[٩٤]. فأمره أن يصدع بالحق، وما أنزل ^(١) عليه من الصدق، وأن يعرض عن مخاطبة الجاهلين، وأهل الزيغ المردة المعاندين.

وقد قيل: إن هذه الآية أنزلت ^(٢) في طعمة، وذلك أنه سرق درعاً لبعض أصحاب النبي عليه السلام ^(٣)، ثم استعدى عليه فقامت عشيرته دونه، وجحدوا عنه وسألوا النبي صلى الله عليه وآله أن يبريه عند الناس مما شيع به عليه، فأنزل الله: وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ [النساء: ١٠٥]. معارضة لكلامهم، ولم يكن النبي عليه السلام ليحتج عنه، ولا يفعل ما قالوا، فأنزل الله تحقيق ما ذكر عليه، فقطع النبي صلى الله عليه وآله عليه يده، وكلاهما معنى حسن، والمعنى الأول فأحسن عندنا، وأصوب لدينا.

١٥٠- وسألت عن قول الله سبحانه فيما يحكي عن إبليس اللعين في قوله: ﴿لَا تَخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾ [النساء: ١١٨]؟

(١) في (أ): أنزل الله.

(٢) سقط من (أ): أنزلت.

(٣) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، من طريق العوفي عن ابن عباس قال: ((إن نفرا من الأنصار غزوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض غزواته، فسرقت درع لأحدهم، فأظن بها رجلا من الأنصار، فأتى صاحب الدرع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: إن طعمة بن أبيرق سرق درعيز فلما رأى السارق ذلك عمد إليها وألقيتها في بيت فلان وستوجد عنده، فانطلقوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا نبي الله إن صاحبنا بريء، وإن سارق الدرع فلان، وقد أحطنا بذلك علما، فاعذر صاحبنا على رؤوس الناس، وجادل عنه فإنه أن لا يعصمه الله بك يهلك، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبراه وعذره على رؤوس الناس، فأنزل الله ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب الحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾، يقول: بما أنزل الله إليك ... إلى قوله: خوانا أنيما ﴿، ثم قال للذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلا ﴿يستخفون من الناس ... إلى قوله: وكيفا﴾، يعني: الذين أتوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستخفين يجادلون عن الخائنين، ثم قال: ﴿ومن يكسب خطيئة ... الآية. يعني: السارق والذين جادلوا عن السارق)). الدر المشرور ٦٧٣/٢.

١٥١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ (النساء: ١٢٥). فقلت: ما معنى الخليل؟

١٥٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمِّي النِّسَاءَ الَّتِي لَا تَوْلِيَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَبُونَ أَن تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ الَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْإِثْمَ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ۝﴾ [النساء: ١٢٧] ؟

(١) سقط (أ)، (ب): ما بين القوسين.

(٢) في (ب): في.

(۳) في (أ): وتكرّمته.

(٤) في (أ): فهي.

نزول حكم الميراث وفرضه، فقال سبحانه: ﴿الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]. يقول: تمنعهن حقهن لصغرهن.

﴿وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوُلَدَانِ﴾. فهم الصبيان من الذكور ^(١) والإناث، الذين في أيدي الأوصياء، وغيرهم من الأقارب، والصبي فلا يزال يتيما حتى يبلغ ثم يخرج من حد اليتيم، ويجب على الوصي إن آنس منه رشدًا، والرشد فهو: الصلاح والعقل والمعرفة، فإذا بان ذلك للوصي سلم ما في يده إليه، وأشهد عند ذلك عليه، وما لم يبن منه رشدًا، فلا يجب دفعه إليه، بل الحظر واجب عليه.

ثم قال: ﴿وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ﴾. والقسط فهو: العدل في أموالهم، والحفظ في أنفسهم.

ثم قال: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٢٧]. يريد عز وجل: أنكم ما فعلتم إليهم من خير، أو أنلتموهم إياه، ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ﴿٣٧﴾، يقول: عليه مطلعًا، ولكم فيه مكافيا.

وقد قيل: إن معنى ﴿تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾. تريدون نكاحهن، والقول الأول أصوب عندنا، لأن معنى ﴿تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾. أي: تزهدون فيهن، وذلك في كتاب الله موجود، في قوله: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠]. فصارت الرغبة كراهية.

وقد يكون في موضع آخر من طريق المحبة.

فأما في هذا فليس إلا من طريق الزهد والكراهية، وذلك صحيح في اللغة.

١٥٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا﴾ [النساء: ١٣٥]؟

(١) في (ج): الصبيان فهم الذكور.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى قوله: ﴿تَتَّبِعُوا آلَهُوًى﴾. يريد لا تتبعوا هوى الأنفس، وما لم يجز الله لكم اتباعه، ولا ^(١) تعدلوا عند ذلك، ﴿وَإِنْ تَلَوْتُمْ﴾. فمعنى ﴿تَلَوْتُمْ﴾ أي: تنحرفوا، ولا تقيمو الحق، و﴿تُعَرِّضُوا﴾ فهو: تركوا الواجب، وتصدوا عنه وتجانبوا، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٢٨]، يقول: عليما مطلعاً. فأمرهم أن يعدلوا في شهادتهم، وأن يقولوا بما افترض من الحق عليهم، في القريب والبعيد، وأن يكونوا عندهم في الحق بمثالة سواء.

١٥٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَزَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾

﴿[النساء: ١٣٧]؟﴾

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم ممن آمن مع النبي صلى الله عليه، ثم رجعوا إلى قريش، وارتدوا عن الإسلام، ثم رجعوا، ثم هفوا ثانية، فرجعوا إلى الكفر، فزادوا فيه، ومضوا عليه، فأخبر الله سبحانه أنهم حين ازدادوا كفراً، ثم مضوا على ذلك أن الله لا يغفر لهم، ولا يهديهم سبيلاً، بل تركهم من التوفيق والتسديد، والعون والتأييد، وحكم عليهم عند ذلك سبحانه بالهلكة والخذلان، بما استوجبوه من تركهم للحق والإيمان، فصاروا بذلك معذيين، ولديه سبحانه من الهالكين، في السلاسل والأغلال، مصيرون إلى شر حال، فأخبر سبحانه أنه لم ينفعهم ما كان من إيمانهم أولاً، وما كانوا عليه في إسلامهم، لأن ما ختموا به أعمالهم من الردة والكفر، موجب لهم النار، مصيرون به إلى شر دار، ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْقَوْنَ فِيهَا قُلُوبُهُمْ مَحْبُورَةٌ﴾ [إبراهيم: ٢٩].

وقد قيل في ذلك: أنهم^(١) آمنوا بموسى ثم كفروا به، وغيروا دينه، ثم آمنوا بمحمد ثم كفروا به، ثم مضوا على كفرهم. والمعنى الأول أقرب إلى الحق، وهو الذي وضع من الخبر، والله ولي التوفيق، والعون والتسيد.

١٥٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤١] ؟

وقد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم صلوات الله عليه.

قال: المنافقون^(٢) في دين الله، وإجلاله^(٣) من كان مخالفاً لقوله فيه بفعاله، يقر بما لا يعمل^(٤)، ويقول ما لا يفعل، وفي أولئك، ومن كان كذلك، ما يقول الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون] ﴿[الصف: ٢-٣]. وفي أولئك ما يقول سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ عٰهَدَ اللّٰهَ لَئِنْ ءَاتٰنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُوْنَنَّ مِنَ الصّٰلِحِيْنَ﴾ [٧٦] ﴿فَلَمَّآ ءَاتٰهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوْا بِهٖ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُوْنَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٦].

١٥٦- وسألت عن قول الله سبحانه فيما عبر^(٥) عن قوم موسى إذ: ﴿قَالُوا أَرٰنَا اللّٰهَ جَهْرَةً فَاَخَذَتْهُمُ الصّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هؤلاء قوم من بني إسرائيل، سألوا موسى صلى الله عليه أن يريهم الله جهرة، فأنزل الله سبحانه عليهم الصاعقة، فأهلكهم بظلمهم،

(١) سقط من (أ): أنهم.

(٢) في (أ)، (ج): المنافقين.

(٣) في (أ)، (ب): وإجلاله. وفي (ج): وإجلاله. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) في (ب): يعر بعمل. مصفحة.

(٥) في (ب): بخبر.

وشدة كفرهم، وما طلبوه من محال مسألتهم، وعظيم فريتهم. فسبحان الذي لا تدركه الأبصار! ولا تحيط به الأقطار! ولا يجده الفكر! ولا يلحقه النظر! ثم قص عز وجل ما كان من فعل بني إسرائيل وحربهم، إخبارا لمحمد صلى الله عليه وللمؤمنين، بما كان عليه أولئك من شرارتهم، وقلة إنصافهم، وبعدها عنهم وشدة كفرهم، وهم يرون الآيات العظام فلا يرجعون، ولا بها ساعة يتعظون، ولا إلى الله سبحانه من جهلهم يستفيقون، فأخبرهم سبحانه أن هؤلاء الذين تشاهدون، وبالمعاني تنظرون، هم من أولئك الذين قد غابوا عنهم، يحتذون بفعلهم، ويسيروا بسيرتهم، أهل جهل وضلال، وباطل وإيغال، وكفر ومحال.

ثم ذكر سبحانه اتخاذهم العجل بعد أن أنقذهم من آل فرعون، وما أبان لهم في ذلك من اللطف والعون، وما رأوا من الآيات العظام، من انفلاق البحر لهم طرقا، ومسيرهم ^(١) فرقا، في قعره يبسا جددا، فلم ينتفعوا بذلك إذ عاينوه، ولم يرجعوا عن عبادة العجل ولم يرفضوه، فكان هذا ذما لهم، وتبيننا لعوارهم ^(٢)، وتوقيفا على كفرهم.

وقلت: كيف اتخذوا العجل، من بعد أن أخذتهم الصاعقة؟

قال ^(٣): قد أخبر الله سبحانه بحياتهم، وبعثهم بعد موتهم، فقال: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّعْقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون ﴿٥٥﴾. [البقرة: ٥٥-٥٦].

١٥٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]؟

(١) في (أ): طريقا. وفي (أ): ومهم. مصحفة.

(٢) في (ب): لعوارهم.

(٣) سقط من (أ): قال.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد سبحانه بذلك: عيسى صلى الله عليه، لما أخذه الظالمون ليهلكوه، وسجنوه في البيت ليقتلوه، فسلمه الله من كيدهم، ودفع عنه ما هموا به من عظيم كفرهم، والتبس الكافر الذي كان يحرسه شبه عيسى في صورته وخلقه، فلم يفرقوا عند ذلك بينه وبين عيسى عليه السلام، في شيء من أمره، فلما نهضوا لقتل عيسى صلى الله عليه، وجدوا صاحبهم في مكانه فقتلوه، ولم يشكوا فيه، عند ما عاينوه، أنه عيسى صلى الله عليه، فأخبرهم عز وجل عنه فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾. ثم رفعه الله عنهم وأخرجه من بينهم سالماً مسلماً.

وقوله: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ [النساء: ١٥٥]. فهذا دليل على حياته وأهم سيؤمنون به قبل موته، وذلك على ما يروى عند نزوله مع المهدي، وإسلام الخلق ورجوعهم، وما وعد الله به نبيه أن يظهر دينه على الأديان جميعاً، ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

١٥٨- وقلت: هل يجوز أن يقرأ: قبل موتهم ؟

وهذا لا يجوز.

والذين لا يؤمنون به فهم أهل الكتاب، وقد يقال: إن عيسى بن مريم صلى الله عليه، يقيم بعد المهدي، سنين ثم يموت.

ومعنى قوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]، والله سبحانه يشهد بالحق، وقد أخبر أنه من عنده أنزله بعلمه، لا شك ولا امتراء.

ثم قال: ﴿وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾ على صحته وصدقه، ولم يضر الحق جحدان الفاسقين، ولا إنكار المبطلين.

١٥٩- وقلت: لم يستشهد عليه الجن والإنس عامة ؟

فكيف يستشهد عليه قوما منهم من يحجده، وأكثرهم يصد عنه وينكره، ولما أن جحده أهل الكتاب وأنكروا أن تكون صفته في كتابهم، وإيجاب تصديقه وطاعته

عليهم، قالت قريش: يا محمد آتنا بمن يشهد على صدقك، فإن أهل الكتاب قد جحدوك، وما جئت به - يعنون اليهود والنصارى - فاحتج بذلك المشركون من قريش ومن كان معهم، وأبطلوا أن يكون ما جاء به محمد صلى الله عليه ^(١) من الله، فأخبر سبحانه بإكذابهم، وشهد بالصدق لرسوله بقوله: ﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ﴾. فكانوا صلوات الله عليهم يشهدون على أنه من عند الله، فكانت الملائكة مجمعة على التصديق، وليس منهم مخالف، ولا عن الحق معاند.

١٦٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦]؟
قال محمد بن يحيى عليه السلام: الكلالة: ما خلا الولد ^(٢).

وهذه الآية يروى أنها نزلت في جابر بن عبد الله وفي أخته، أتى إلى رسول الله صلى الله عليه، فقال له: إن لي أختاً فمالي من ميراثها بعد موتها؟ فنزلت هذه الآية ^(٣).

١٦١- وقلت: ما معنى قوله سبحانه: ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾، هل أراد الذكور والإناث معاً، أو الذكور خاصة دون الإناث؟

(١) في (أ): عليه السلام.

(٢) في (أ)، (ب): الولد والوالد.

(٣) أخرج ابن سعد، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، عن جابر بن عبد الله قال: ((دخل علي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مريض لا أعقل، فتوضأ ثم صب علي فعقلت، فقلت: إنه لا يرثني إلا كلالة فكيف الميراث؟ فنزلت آية الفرائض)).

وأخرج ابن سعد، وابن أبي حاتم، عن جابر قال: ((أنزلت في ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾)).

قال: الذكور والإناث في ^(١) هذا معنى سواء، لأن الأنثى والذكر كلاهما ولد، فكذلك ولد الولد، إذا لم يكن ولد قاموا مقام الولد، الذكور منهم مثل الذكور، والإناث مثل الإناث سواء، مثل ابن الابن وابنة الإبن وما سواهم كلاله.

وذكرت أن بعض من يدعي العلم يحجب العصبه بالبنت، ولا يعطيهم شيئاً معها ويقيمها مقام الابن، وليس هذا قول من له علم! وكيف يقيمها مقام الذكر؟! والله عز وجل لم يقمها كذلك مع العصبه، وإنما يقول بهذا بعض فرق إمامية، الجهلة المفسدين في الإسلام، المعطلين للأحكام، الرافضين للفرقان.

والبنت تحجب الزوج عن النصف، وتحجب الزوجة عن الربع، فليس لزوج مع بنت ^(٢) أو الإبن إلا ربع، ولا للزوجة مع بنت أو الإبن إلا الثمن، والبنت فلها النصف، وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان، وما بقي فللعصبه، مثل العم وابن العم، والأخ وابن الأخ، ومن كان من العصبه.

١٦٢- وقلت: إنك قبلت الحجة في العول، فقد - والحمد لله - قبلت صواباً، وأزحت عنك في ذلك شكاً وارتباباً، وفقك الله للهدى، وأعانك على التقوى.

وقلت: إني كتبت إليك أن الفرائض بالاتباع للثقات، فما كان منها - يرحمك الله - منصوباً في الكتاب مشروحاً، فقد اجترينا به عن النظر في غيره، وما كان فيه مجعلاً يحتاج إلى تفسير، فذلك موجود في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله والاتباع له فرض من الله عز وجل، لقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]. مع ما قد برأه الله منه سبحانه، في كتابه من التكلف، فقال: ﴿إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٠، يونس: ١٥، الأحقاف: ٩]. وقال في موضع آخر: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا

(١) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٢) في (أ): ابنه.

مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ [ص: ٨٦]. فشهد له سبحانه بالبراءة من التكلف، وأنه لا يتبع إلا ما يوحى إليه، ثم قال عز وجل: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢، التغابن: ١٢]. وقال: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]. فكل ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فمن الله أمره به، وإذا صح عنه بسبب ونقله الثقات تبعناه وعملنا به، لأن الله قد أمرنا بذلك أمراً، وحكم به حكماً، لا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

وذكرت في مسألتك هذه عن القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، وعن غيره، أشياء لم نقف في شرحها على صحة. فاعلم ذلك، وفي ما كتبنا لك أولاً وآخرأً كفاية وغنى.

ومن سورة المائدة

١٦٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ [المائدة: ١]. فقلت: كم هي من الأصناف؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هي البهائم التي أجاز الله أكلها، وأحل لحلقه لحومها، وأنعم على البرية بها، وهي: الإبل، والبقر، والغنم، وغير ذلك مثل الطباء، وبقر الوحش، والوعل، وما أشبه ذلك من بهيمة الأنعام.

ثم قال سبحانه: ﴿إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾. فأخبرهم أن هذه البهائم التي من الأنعام مثل الطباء والبقر الوحش، محرمة عند الإحرام، امتحانا من الله لحلقه، وتعبداً منه لعباده، فحظرها عليهم في حال إحرامهم، وأباحها لهم عند إحلالهم، اختباراً منه، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَىٰ﴾ [النجم: ٣١].

١٦٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحِلُّوا

شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ...﴾ [المائدة: ٢] إلى آخر الآية (١)؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الشعائر فهي: ما تعبد الله به خلقه في الحج، مثل الصفا والمروة والمواقف، والجمار، والبدن، فأمرهم الله ألا يسيحوا ذلك ولا يتركوه ولا يفرطوا فيه.

وقد قيل: إنهم في سالف الدهر من بعد إبراهيم يتركون بعض هذه الأشياء، ولا يرون في تركها بأساً، وكان ذلك من فعلهم خطأ، فنهاهم الله سبحانه عنه ومن إحلالها أيضاً الإفساد فيها، واستحالة الظلم، والصد عنها.

والمعنى الأول هو تفسيرها، وقد يلحق في الكلام ما يفرع عليك وجوه المسألة، نريد بذلك إفهام المسترشد، وتبيين الحق، والله ولي التوفيق، والعون والتسديد.

﴿وَلَا آلَهْدَى وَلَا الْقَلْتِدَ﴾ فهن: الشعائر، و﴿الْهَدَى﴾ هو: البدن، و﴿الْقَلْتِدَ﴾ فهو: تقليدها وإشعارها فهو: شق سنامها، وهو من التعبد الذي أمر الله به فيها، و﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾، فهي: الأشهر الحرم التي ذكر الله عز وجل حين يقول: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [البقرة: ٢٢]. فأخبر بقول الشهر الحرم عن ذكر جماعتها إذ كان ذكرها قد تقدم، وشرحها كما قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الْآنَسُنُ﴾ [الانفطار: ٦، الانشقاق: ٦]. فإنما يريد: يا أيها الناس. وقال عز وجل: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٤].

فأجاز لمحمد صلى الله عليه، ولأصحابه حين تُعدي عليهم في الأشهر الحرم، وعذبوا فيها أن يغزوهم صلى الله عليه فيها، وإنما أراد عز وجل الأشهر الحرم كلها، لا واحدا منها، واجتزأ بقوله: ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾. عن ذكر الأشهر، وعلم السامع

(١) تكملة الآية: ﴿... وَلَا آلَهْدَى وَلَا الْقَلْتِدَ وَلَا آمِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَتَغَوْنَ فُضُلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا

حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرُ مِنْكُمْ شَتَانٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى

وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

أنه قد أجاز الانتصار في كلها، لأن هذا من لغة العرب، فصحيح معروف في إيجاز الكلام. ^(١)

والآمون البيت الحرام، فهم من أمه وقصده من المؤمنين، الطالبين لرضى الله، فحرم سبحانه صدهم عنه ومنعهم منه، والاعتراض لهم دونه، تأديبا منه عز وجل لخلقهم، ودلالة على أرشد طرقهم، وإن كانوا لم يفعلوا ذلك، كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٢٤]. فكان ذلك عظة منه وتعلima وتفهيما لما لهم فيه الصلاح، ونهيا عن أفعال الجاهلية الأولين، من إفسادهم ^(٢) لأموال اليتامى، وصدهم عن البيت الحرام، وإن كان المؤمنون لم يفعلوا ذلك في إيمانهم، ولكن كان ذلك من الله تعلima لهم، ودلالة على أرشد أمورهم، ثم قد أصبح أهل الظلم اليوم وهو صادون عنه، مانعون لأهل الإسلام منه ^(٣)، مخيفون للمؤمنين دونه، فالله عز وجل على ذلك المستعان، وإليه المشتكا.

وقد قيل في الأمين البيت الحرام: إنه شريح بن صبيعة في مسيرة من اليمامة إلى مكة ^(٤)، فأراد المؤمنون أن يعارضوه ويكافوه على ما كان من أخذه لشرح أهل المدينة، وذلك أنه وصل برسول ^(٥) الله صلى الله عليه، ثم خرج من عنده ولم يسلم، فأجاز بشرح أهل المدينة فأخذه ومضى به ^(٦)، وليس تفسير الآية بهذا المعنى، والقول

(١) في (ج): وجاز.

(٢) في (أ)، (ج): فسادهم.

(٣) في (أ): عنه.

(٤)

(٥) في (ب): لرسول.

(٦) أخرج ابن جرير، عن السدي قال: أقبل الحطم بن هند البكري حتى أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدعاه فقال: إلام تدعو؟ فأخبره، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: ((يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان شيطان، فلما أخبره النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: انظروا لعلي أسلم

الأول أصوب إن شاء الله، لأن شريحا كان كافراً معانداً، والله سبحانه فأخبر أنهم يبتغون فضلاً منه ورضواناً، والكافر فليس الله عنه براض، ولا له بمقرب.

تم الجزء الرابع

١٦٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين، وتأديب لهم، ودلالة على ما فيه نجاحهم، والسلامة في آخرتهم، فقال: ﴿لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ﴾. والشَنَاٰنُ فهو: البغض والقلى، يريد: لا يحملنكم بغض قوم على أن تعتدوا، وتميلوا عن الحق فتهلكوا، والتعدي فهو: الظلم والحيف، فنهاهم سبحانه عن ذلك وحذرهم منه، وأمرهم أن يكونوا منصفين، وبالحق حاكمين، لا يزيلهم عنه بغض لمن شئتوا، ولا إثارة لحبة فيظلموا، ولا يخرجهم ذلك إلى الميل والهوى، وأن ينفذوا أحكامه سبحانه فيهم على السواء، لأن الله عز وجل لم يجعل في حكمه تناقضاً ولا فساداً، ولا زلفة لأحد ولا إثارة، بل جعلهم في ذلك معاً، وحكم عليهم ولهم فيه بالسواء، إنصافاً لخلقهم، وتسوية بين بريئته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّٰمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلّٰهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء: ١٣٥]. فأمرهم أن يقوموا بالقسط، وهو: العدل في من ولدهم، وقرب نسبه إليهم بالسواء، فلا يحل لمؤمن عرف ربه، وأيقن بيوم بعثه، أن يعدل عن القسط والحق، بالحكم في عدوه وقريبه على ما أمر الله سواء بسواء،

ولي من أشاوره، فخرج من عنده، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لقد دخل بوجه كافر وخرج بعقب غادر، فمر بسرح من سرح المدينة، فساقه ثم أقبل من عام قابل حاجاً قد قلد وأهدى، فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبعث إليه، فترلت هذه الآية حتى بلغ ﴿ولا آمين البيت الحرام﴾، فقال ناس من أصحابه: يا رسول الله خل بيننا وبينه فإنه صاحبنا. قال: إنه قد قلد! قالوا: إنما هو شيء كنا نصنعه في الجاهلية، فإني عليهم، فنزلت هذه الآية ((. الدر المنثور ٩/٣ - ١٠).

﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]. والحق فيه الناس جميعا مشتركون.

١٦٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ﴾ [المائدة: ٣]. فقلت: ما الأزلام؟

وهي: القداح التي يستقسمون ^(١) بها، ويرضون بما يكون من أمرها، فنهاهم الله عز وجل عنها، إذ كانت من فعل الجاهلين ^(٢).

١٦٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿أَكْمَلْتُ﴾ فهو: أتممت لكم دينكم، وهو ما لا يكون به ^(٣) نقص، ولا يكون بعده تعبد ولا شريعة، ولا نقصان ولا زيادة، لأن الأنبياء عليهم السلام كانوا يأتون بشرائع مختلفة، للذي أراد الله سبحانه من التعبد بالأمر والنهي، وامتحان الخلق، وتبيين المطيع من العاصي، وكان سبحانه ينقلهم من طاعة إلى طاعة، حتى ختم الأنبياء بمحمد صلى الله عليه، وأكمل به التعبد، وجعل الإسلام خاتم الأديان إلى آخر الدنيا، لا دين بعده ولا فرض سواه، ولا نقصان فيه ولا زيادة، فمحمد صلى الله عليه خاتم النبيين، ودينه أكمل أديان المتعبدين، قال ^(٤) سبحانه: ﴿وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. فذكر أنه قد ارتضاه لخلقه، واختاره وافترضه عليهم، فأكمل به النعمة، وقامت على العباد به

(١) في (أ)، (ج): يقتسمون.

(٢) في (أ)، (ب): الجاهلية.

(٣) في (أ)، (ج): له.

(٤) في (أ)، (ب): قال الله.

الحجة، فهذا معنى ما عنه سألت، وهذه الآية فتزلت على رسول الله صلى الله عليه بعرفة وكان ذلك يوم الجمعة^(١).

١٦٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿عَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ [المائدة: ٣] ﴿غير متجانف لإثمٍ﴾ ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل بقوله: ﴿عَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾، يقول: غير منحرف له، ولا قاصد لمحرم عليه.

ألا تسمع كيف يقول من قبل هذا: ﴿فَنَ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ والمخمصة فهي: الجماعة، يقول: فمن اضطر في ذلك إلى أكل شيء مما قد حرم عليه، مثل الميتة والدم ولحم الخنزير، وكان ذلك على حد مخمصة وجوع، فلا إثم عليه، ومن تجانف له لظلم نفسه، واستحلال لما حرم عليه منه، فهو المعاقب فيه والمأخوذ به.

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن ابن عباس قال: أخبر الله نبيه والمؤمنين أنه قد أكمل لهم أيمان، فلا تحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه فلا ينقص أبدا، وقد رضى فلا يسخطه.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ قال: أخلص الله لهم دينهم، ونفى المشركين عن البيت، قال: وبلغنا أنها أنزلت يوم عرفة، ووافقت يوم جمعة.

وأخرج ابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾، قال: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم عرفة، يوم جمعة حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام، وأخلص للمسلمين حجهم.

وأخرج ابن جرير، والطبراني، عن عمرو بن قيس السكوني، أنه سمع معاوية بن أبي سفيان على المنبر يترع بهذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ حتى ختمها. فقال: نزلت في يوم عرفة في يوم جمعة.

وأخرج البزار، والطبراني، وابن مردويه، عن سمرة قال: نزلت هذه الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو بعرفة واقف يوم الجمعة. الدر المنثور ١٧/٣، ١٩.

١٦٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾

[المائدة:٤]. فقلت: هل يجوز لمن أطلق كلباً معلماً على صيد فأكل الكلب

بعض الصيد، أن يأكل الرجل ما بقي منه ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الجوارح فهي: الصقور والشواهين والبواشق^(١) والباز، ومعنى المكليين فهو: ما علموا من الكلاب، فإذا كان الكلب معلماً لصيد يُغري فليأخذ، ويدعاً فيجيب، ثم أغري على صيد فلحقه فقتله، ثم لحقه صاحبه فوجده قد أكل منه، فلا بأس بأكل ما بقي لأنه معلم^(٢)، وقد أطلق الله سبحانه كل ما أمسك الكلب المعلم.

وأحب لمن توارى كلبه من عينه في الجبال والغياض، ألا يأكل ما فضل منه، لأنه لا يؤمن أن يكون الصيد تردى أو غرق، فإذا قتله في موضع براز من الأرض وهو يصره، ثم أكل منه ولحقه صاحبه، فلا بأس بأكل بقيته.

وقد قال بعض الناس: إن الكلب إذا أكل من صيده، فلم يمسه على صاحبه، وإنما أمسك لنفسه^(٣). وليس ذلك بصواب، بل كان السلف عليهم السلام يميزون أكله على ما ذكرت لك.

(١) في (ج): والواسق.

(٢) رواه الإمام الهادي في الأحكام ٣٧٧/٢، عن عدي بن حاتم، وأبي ثعلبة الخشني، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٣) وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ قال: هي الكلاب المعلمة، والبازي يعلم الصيد، والجوارح يعني: الكلاب، والفهود، والصقور، وأشباهاها، والمكليين: الضواري، ﴿فكلوا مما أمسكن عليكم﴾ يقول: كلوا مما قتلن، فإن قتل وأكل فلا تأكل.

وأخرج ابن جرير، عن ابن عباس قال: إنما المعلم من الكلاب أن يمسه صيده فلا يأكل، كل منه حتى يأتيه صاحبه.

١٧٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]. فقلت: هل يجوز غسل اليدين قبل الوجه أو يسع ذلك؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾. فهو أمر من الله بغسل الوجه، عند وضوءه للصلاة، والغسل فهو: الإنقاء للدرن بالماء.

ثم قال: ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾. فأمر سبحانه بغسل اليدين، بعد الوجه.

ثم قال: ﴿وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾. فأمر بمسح الرأس مسحاً، ولم يأمر بغسله.

ثم قال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾. تقرأ بالنصب عطفاً على الوجه واليدين.

ولا يجوز لأحد أن يقدم مؤخراً ولا يؤخر مقدماً، فمن فعل ذلك فقد خالف حكم الله عز وجل، وترك ما أمر به، ولا يجوز لأحد أن يغسل اليدين قبل الوجه، ولا أن يغسل الرجلين قبل مسح الرأس، فمن فعل من ذلك شيئاً أعاده، ولو أن رجلاً نسي غسل وجهه حتى غسل يديه، ومسح رأسه، وغسل رجله، لوجب عليه أن يستأنف الوضوء ويتدثه، ولو أنه غسل وجهه، ونسي المضمضة والاستنشاق، لوجب عليه أن يعيد وضوءه، فيتمضمض ويستنشق، ويغسل وجهه، ثم يده اليمنى، ثم اليسرى، ثم مسح رأسه وأذنيه، ورقبته، وغابته، والغابة فهي: ما تحت اللحية، ثم يغسل رجله اليمنى، ويخلل أصابعه، ثم رجله اليسرى فيفعل كذلك بها.

فإن نسي يده اليمنى غسلها، ثم أعاد اليسرى، ثم رأسه، ثم رجله. وإن نسي اليسرى غسلها، ثم أعاد مسح رأسه. وكذلك إن نسي مسح رأسه مسحاً ثم أعاد غسل رجله، وإن نسي رجله اليمنى غسلها، ثم أعاد على اليسرى، وإن نسي

اليسرى غسلها فقط وقد تم وضوءه. فعلى هذا فقس الوضوء، فكل ما قدمت شيئاً من الأعضاء قبل المقدم قبله، غسلت المقدم، ثم أعدت ما كان بعده، وبذلك أمر الله ذو الطول والإحسان، والنعمة والامتنان.

والاستنجاء فواجب، لأن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ [البقرة: ٦]. فأوجب الاستنجاء عند الوضوء وافترضه، وليس من قال إن الاستنجاء لا يكون إلا من الغائط حجة، لأن الله قد ذكر الاستنجاء عند الوضوء وافترضه، فإن قال قائل: ليس إلا من ملامسة النساء والغائط، فما تقول في البول؟ فليس يدعا غائطاً! ولا يدعا المذي غائطاً! فيجب عليه أن يقول: إن المذي والبول لا يقطعان الوضوء، ولا يجب منهما الاستنجاء.

وإن قال بذلك قائل فقد خرج من حد المعرفة، وخالف الكتاب وما نطق به، مع ما جاء في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من الأمر بالاستنجاء نصاً والتشديد فيه.

ومن أعجب عجائبهم أنهم يرون إعادة الوضوء من الريح والدود يخرج من الدبر، فيرون إعادة الوجه واليدين والرأس والرجلين، ولا يرون الاستنجاء، فالذي وقع منه من الحدث ونقض الوضوء أحق بالغسل والإنقاء، مما لم يحدث فيه شيء من الأشياء، بل الوجه واليدين والرأس على غاية الطهارة والنقاء، وإنما جاءت إعادة مما كان من الحدث والأذى، فالذي جاء منه الحدث أحق بالغسل والإنقاء، وإلا فإن عارضهم معارض فقال: من أين قلتم بإعادة الوضوء من الرعاف والقيء؟ وليس له ذكر في كتاب الله! فنحن نراكم لا توجبون الاستنجاء، وهو في كتاب الله قائم، فكيف توجبون ما ليس في كتاب الله؟! فيجب عند ذلك ألا يعيدوا الوضوء من الدم، ولا من القيء، وإذا فعلوا ذلك فقد خرجوا من المعرفة إلى الجهل، ومن الحق إلى الضلال.

ولكن يقال لمن قال بهذه المقالة: إن الله سبحانه قد أمرنا بإعادة الوضوء على لسان نبيه صلى الله عليه، فكل ما جاء به محمد صلى الله عليه فمن الله عز وجل، ومن

خالف قوله صلى الله عليه فقد خالف حكم ربه، وكذلك أيضا الاستنجاء قد ذكره الله في كتابه، ووكدته نبيه بلسانه، وقد كان جدي القاسم صلوات الله عليه قد أجاب فيها، واحتج بحجج في كتاب الطهارة^(١)، وهو عندكم مثبت، وفي ما ذكرنا حجة وغنى، لمن قصد الحق واهتدى.

١٧١- وسألت عن قول الله: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ اِذْ هُمْ قَوْمٌ اَنْ يَبْسُطُوا اَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ اَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: ١١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: القوم الذين أرادوا أن يسطوا أيديهم فهم: بنو قريظة، وبنو النضير، وذلك أن النبي صلى الله عليه، وقعت عليه الدية التي لزمتم في الرجلين اللذين قتلها المسلمون، وظنوا أنهما لم يُسلما، وكانا ممن يطالبه المسلمون بالقتل، فقدموا على رسول الله صلى الله عليه فأسلما، ثم خرجا فقتلها بالحرّة من لم يعرفهما، ولم يقع عنده إيمانهما، فقتلا خطأ، بلا تعمد ظلم ولا اجترأ، فخرج صلى الله عليه، يستعينهم في ديتهما، فرحبوا به ولقوه^(٢) بأحسن لقاء، وقالوا: اقعد يا محمد حتى نأتيك، فقعده صلى الله عليه ومعه أنفار من أصحابه، يسير أقل من عشرة أو عشرة، ثم مضوا من عنده، فأزمعوا بقتله عليه السلام، وتعاملوا على ذلك، فأنزل الله عليه جبريل عليهما السلام، فأخبره بخبرهم، وما يهملون به من مكرهم، فنهض صلى الله عليه مسرعا، وكان الذي بينه وبين المدينة قريبا، ثم جاءوا يطلبونه في الموضع الذي تركوه فيه فلم يجدوه، فأرسلوا إليه يعاتبونه في مضيه من قبل أن يأتوه، فأعلمهم صلى الله عليه بما كان منهم وما أرادوا به، ونهض في حربهم من ساعته، فأذلهم الله وأخزاهم، وأباح عزهم وأرداهم^(٣).

(١) انظره في مجموع كتبه ورسائله بتحقيقنا.

(٢) في (أ): ولقيوه.

(٣) أخرج أبو نعيم في الدلائل من طريق عطاء والضحاك، عن ابن عباس قال: ((إن عمرو بن أمية الضمري

وكان من أمرهم ما قد وقعت عليه، فسلم الله نبيه من كيدهم، وحيرهم ^(١) عما أرادوا من قتله، وجعل دائرة السوء بأعدائه، وكان ذلك كفاً لأيديهم وقبضاً لانبساطها، على إتلاف نبيه والمؤمنين معه، فكفى الله شرهم، وأوهن كيدهم، وما هموا به من عظيم فعلهم، وردهم بغيظهم.

١٧٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ﴾ [المائدة: ١٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿ أَغْرَيْنَا ﴾ أي: خذلنا وتركناهم من التوفيق والتسديد، لما كان من معصيتهم، وتركهم لما أمروا به من عظيم ^(٢) طاعة

حين انصرف من بئر معونة، لقي رجلين كلايين معهما أمان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقتلها ولم يعلم أن معهما أماناً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فذهب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله وسلم إلى بني النضير ومعه أبو بكر وعمر وعلي، فلتقاها بنو النضير فقالوا: مرحبا، يا أبا القاسم لماذا جئت؟ قال: رجل من أصحابي قتل رجلين من بني كلاب معهما أمان مني، طلب مني دينهما، فأريد أن تعينوني. قالوا: نعم، أقعد حتى نجمع لك. فقعده تحت الحصن وأبو بكر وعمر وعلي، وقد تأمر بنو النضير أن يطرحوا عليه حجراً، فجاء جبريل فأخبره بما هموا به، فقام بمن معه، وأنزل الله ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم ... ﴾ الآية)).

وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبد الله بن أبي بكر قالوا: ((خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى بني النضير يستعينهم على دية العامرين اللذين قتلها عمرو بن أمية الضمري، فلما جاءهم خلا بعضهم ببعض فقالوا: إنكم لن تجحدوا عمداً أقرب منه الآن، فمروا رجلاً يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيرميها منه. فقال عمر بن حشاش بن كعب: أنا، فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخبر فانصرف، فأنزل الله فيهم، وفيما راد هو وقومه ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يسقطوا إليكم أيديهم ... ﴾)) الدر المنثور ٣/٣٦ - ٣٧.

(١) في (أ): وخبرهم. مصحفة.

(٢) سقط من (ب): عظيم.

خالقهم، فلما أن خذلهم ضلوا عن رشدهم، ووقع البلاء بينهم، والبغضاء^(١) في قلوبهم، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا تُمَلَى لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، يريد بالإملاء: الترك والخذلان، فدام ذلك فيهم، وفي أولادهم وعقبهم إلى يوم القيامة^(٢)، بما اكتسبوا لأنفسهم، واجتلبوه من الخذلان على فعلهم.

١٧٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه المخاطبة من الله عز وجل لأهل الكتاب وتوقيف لهم، والرسول فهو: محمد صلى الله عليه، قال: ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ﴾، يريد: ما كنتم تغترون من أحكامه، وتكتمون من صفة محمد صلى الله عليه ونبوته، والأمر بطاعته، فكان مما يخفون الرجم^(٣)، فأبانه لهم، وأوقفهم فيه على كذبهم، ومثله من الأشياء التي كانوا يحرفونها، وعمن لا يعرفها^(٤) من الخلق يغمضونها، فكان هذا شاهدا له صلى الله

(١) في (ب): والضغناء.

(٢) في (ج): يوم يلقونه.

(٣) خرج ابن المنذر، عن ابن جريج قال: لما أبحر الأعور سمویل بن صوريا الذي صدق النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الرجم أنه في كتابهم، وقال: لكننا نخفيه، فزلت ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ وهو شاب أبيض طويل من أهل فدك.

وأخرج ابن جرير، عن قتادة في قوله: ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا﴾، قال: هو محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ﴿يبين لكم كثيرا﴾، يقول: يبين لكم محمد رسولنا كثيرا مما كنتم تكتمونه الناس، ولا تبينونه لهم مما في كتابكم، وكان مما يخفونه من كتابهم فينبه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للناس: رجم الزانين المحصنين. الدر المنثور ٤٣/٣.

(٤) في (ج): يعرفه.

عليه بالنبوة، إذ أخبرهم بما كانوا يخفون، وأظهر لهم كثيرا مما كانوا يسترون، مما لم يكن ليدرك علمه إلا بالوحي من الله عز وجل. ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ فالذي يعفو عنه صلى الله عليه فهو: ما ستره عنهم، وعفى عن كشفه لهم.

ومن العفو أيضا: تخفيف الله سبحانه التعبد الذي كان عليهم لو رجعوا إلى طاعة الله، لكانوا في التكليف كالمؤمنين، مثل عبد الله بن سلام وأصحابه الذين أسلموا معه، فراح عنهم ما كان من التشديد الأول في التعبد، لأن الله عز وجل جعل أمة محمد أمة وسطا في التعبد، فخفف عنهم المحن العظيمة، والأسباب الشديدة، فضلا منه وإنعاما، ومنة وإحسانا.

١٧٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّوا قُلُوبَهُمْ فَلَمَّ يُعَذِّبْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ [المائدة: ١٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا قول من اليهود والنصارى يكذبون فيه، ويقولون البهتان والزور، والفاحش من جميع الأمور، فأكذبهم الله عز وجل في قولهم، فقال: ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾، يقول: مثل من قد خلق من الأمم، يؤمرون وتنهون، وتماتون وتحبون، وتثابون وتعاقبون.

ثم قال: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾، والذي يشاء عز وجل المغفرة له فهو: المطيع لأمره، المتبع لحكمه، فحكم لمن كان كذلك بالثواب والنعيم، والنجاة من العذاب الأليم، ولم يحكم سبحانه بالمغفرة إلا لمن أطاعه واتقاه.

وكذلك عز وجل يعذب من عصاه، وخالف أمره وأباه، فقد شاء سبحانه عند ذلك عذابه، وحكم به عليه في فعله واكتسابه، وما كان من صدوده وعناده، فلا يشاء تبارك وتعالى للمؤمنين إلا الثواب.

وكذلك فلن يشأ سبحانه ولن يحكم أبدا للعاصين بنجاة، وإذا لم يحكم لهم سبحانه بالنجاة، فقد شاء لهم العقاب، وحكم عليهم بأليم العذاب.

١٧٥- وقلت: قد قال قوم: إن الله عز وجل حين قال: ﴿يَعْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾. فقد ^(١) أبطل الفعل والعمل!!

فقد أخطأوا في قولهم، وتأولوا غير ما نطق به كتاب ربهم، ولو كان ذلك لفسد الوعد والوعيد، وإذا فسد الوعد والوعيد، جاز أيضا أن يفسد البعث والحشر، لأنه يقول سبحانه: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠]. ويقول: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٣٩].

فإذا دخل أهل الجنة النار، ذهب الوعد ووقع الظلم، وإن جاز أن يدخل أهل الجنة النار جاز أن يدخل أهل النار الجنة، وإن جاز ذهب الوعد والوعيد، وبطل الأمر والنهي.

فإذا بطل ذلك فسد إرسال الأنبياء، وكان عبثا واستهزاء، والله سبحانه بريء من ذلك ^(٢)، متعالي عنه.

بل وعده الحق، وقوله الصدق، لا يخلف الميعاد، ولا يظلم العباد، ولا يدخل النار أهل طاعته، ولا يوصل الجنة أبدا من مات على معصيته، عز سلطانه، وعظم برهانه، وجل عن كل شأن شأنه.

فأما ما زعم أهل الحديث، واحتجوا به من قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. فقالوا هو في تعذيب المؤمنين إن شاء ^(٣)، وإدخال الكافرين الجنة إذا شاء، فبئس ما نطقوا!! إذ عن الحق عدلوا، وله في كل الأمور باينوا. وإنما أراد الله عز وجل، بقوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾. من الموت والحياة، والأمر والنهي، والخلق والتصوير، والتعبد والتقدير، فهذا معنى الآية، لا ما ذهبوا إليه من فاحش قولهم، وعظيم فريتهم، فأين قوله سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ

(١) في (ب): قد.

(٢) سقط من (أ)، (ب): من ذلك.

(٣) سقط من (ج): إن شاء.

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٦٦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٦٧﴾ [الزلزلة: ٧-٨] !!؟

بعدا والله من أدخل النار إن يؤتى خيرا، أو غبطة أو سرورا، أو يعرف لصالح^(١) عمله جزاء، أو ينال أبدا راحة أو نعماء، كذب المفترون على الله في قولهم، وضلوا يقينا عن طريق رشدهم، بل هو تبارك وتعالى عدل في فعله، غير ظالم لخلقه، بريء مما نسب إليه أهل الإفك من عباده، وليس قولهم لهذا^(٢) المقال، الفاسد المحال، إلا مثل قولهم: إن الله سبحانه يقضي بالمعاصي، ويأمر بها ويشأها، ويعذب خلقه عليها، ومثل قولهم: إن الله جسم وصورة، فوصفوه بما نفى عن نفسه، وشبهوه بالحدثين من خلقه، فأوجبوا أن خالقهم مصور مجسم، فيه آثار الصنع والتدبير، والتأليف والتقدير، فحكموا بجهلهم أنه مخلوق كخلقهم، مؤلف كأحدهم، فصاروا يعبدون شجحا مقدرا، وجسما مؤلفا، فكفروا وهم لا يعلمون، وعبدوا غير الله وهم لا يشعرون.

عمى من قلوبهم، وقلة معرفة بخالقهم، وجهلاً بدينهم، يخبطون في عشوى مظلمة، لم يستضيئوا بنور الحكمة، ولم يقتبسوا من معدن الرسالة، فيعرفوا الحق، ويقفوا منه على الصدق، اتبعوا الشهوات، وتركوا الواضح من المحكمات، وصاروا في المهالك والظلمات، وأخذوا دينهم من كذب المقالات، فضلوا عن الصواب، وصاروا بذلك إلى شر مآب، ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ﴾ ﴿٦٦﴾ [إبراهيم: ٢٩].

فلا تلتفت - يرحمك الله - إلى شيء من مقالاتهم، فإنها حجج داحضة، وأقاويل مختلطة، ومذاهب مهلكة، فهم كما قال الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ﴿١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤].

١٧٦- وسألت عن معنى قوله: ﴿عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩] ؟

(١) في (ج): لصالح.

(٢) في (ج): هذا.

والفترة فهي: المدة التي بين الرسل، وقد يقال: إنه كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام أربعمائة سنة، وبين موسى وعيسى مثل ذلك ^(١).

١٧٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيََاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ [المائدة: ١٨]. فقلت: ما معنى الأنبياء، وهل يجوز أن يدعى باسم النبوة غير الأنبياء؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الأنبياء فهم: المبلغون عن الله عز وجل، والمقيمون للحجج على خلقه، والملوك الذين جعلهم الله فيهم، فهم ولاة أمرهم، العادلون فيهم، المحكوم من الله بالطاعة لهم، ثم قال سبحانه: ﴿وَعَاتَلَكُمْ مَا لَمْ يُؤْت أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠]، فهو: ما آتاهم من الملك والنبوة، والآيات المترلات بينهم، وما خصوا به في عصرهم، وفضلوا به على غيرهم، فكان ذلك لهم نعمة، وعليهم لله حجة.

١٧٨- وقلت: هل يجوز أن يدعى أحد من الناس باسم الأنبياء ويسمى نبياً؟ فهذا - يرحمك الله - لا يجوز، ولكن قد يجوز أن يقول ^(٢): مُنبي، يريد: مخبراً. كما قال الشاعر:

أنبيت عمراً حُرّاً بين السنايك ألا فمتى بالفائزين كذلك ^(٣)

قال: أنبيت. يريد: أخطر، ويقال أنبأي فلان عن فلان، وقال الله عز وجل: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٢]، يقول: لا يخبرك مثل خبير، فجعل الإخبار إنباء. قال الشاعر:

أنبيت أن أبا قابوس أو عدني ولا مقام على زأر ^(١) من الأسد

(١) أخرج ابن المنذر، عن الضحاك قال: كانت الفترة بين عيسى ومحمد أربعمائة سنة وبضعاً وثلاثين سنة. الدر المنثور ٤٦/٣.

(٢) في (أ)، (ب): يقال. وفي (ج): منبي يقول...

(٣) لم أقف على هذا البيت.

وقال الشاعر أيضاً:

أنبيت عمراً غير شاكر نعمتي والكفر محبة لنفس المنعم^(٢)

فقال: أنبيت. أي: أحررت، ولا يجوز أن يقال لإنسان: نبي، ولكن يقال: مني.

١٧٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾

[المائدة: ٢١] ؟

والمقدسة فهي: المفضلة الطاهرة، وقد يقال: إنها بيت المقدس والشامات كلها^(٣)،

وهي التي قال الله سبحانه: ﴿وَالْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ [سأ: ١٥]^(٤).

(١) في (ج): زاد. والبيت من قصيدة للناطقة الذبياني بلفظ:

ولا قرار على زراً من الأسد

.....

انظر ديوانه.

(٢) البيت لعنترة بن شداد من المعلقة. انظر ديوانه.

(٣) أخرج ابن جرير، عن مجاهد في قوله: ﴿الأرض المقدسة﴾ قال: هي المباركة.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، عن قتادة في قوله: ﴿الأرض المقدسة﴾ قال: هي الشام. الدر المنثور ٣/ ٤٧.

(٤) أخرج ابن جرير، عن مجاهد ﴿القرى التي باركنا فيها﴾ قال: الشام.

وأخرج إسحاق بن بشر، وابن عساكر، عن ابن عباس في قوله: ﴿وجعلنا بينهم﴾ يعني: بين مساكنهم ﴿وبين القرى التي باركنا فيها﴾ يعني: الأرض المقدسة ﴿قرى﴾ فيما بين منازلهم والأرض المقدسة ﴿ظاهرة﴾ يعني: عامرة مخصصة، ﴿وقدرنا فيها السير﴾ يعني: فيما بين مساكنهم وبين أرض الشام، ﴿سيروا فيها﴾ يعني: إذا طعنوا من منازلهم إلى أرض الشام من الأرض المقدسة.

وأخرج ابن عساكر، عن زيد بن أسلم في قوله: ﴿ظاهرة﴾ قال: قرى بالشام. الدر المنثور ٦/ ٦٩٢ - ٦٩٣

والمقدس فهو: اسم لما طهر من الأنجاس، ونقي من المعاصي والأدناس، فيقال: مقدس. أي: مطهر.

١٨٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴾ [المائدة: ١٨]، فقلت: من الرجلان؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد قال فيهما الناس بأقاويل مختلفة^(١)، وهما - حاطك الله - فرجلان كانا خائفين لله، عارفين بأمره، مسلمين لحكمه، متبعين لأمر موسى صلى الله عليه^(٢)، وقد قيل: إن أحدهما يوشع بن نون^(٣)، وليس معرفة أسمائهما مما تعبد الله به خلقه، فافهم هديت ذلك.

(١) أخرج ابن جرير، عن الضحاک ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ بالهدى فهما فكانا على دين موسى، وكانا في مدينة الجبارين.

وأخرج ابن جرير، عن سهل بن علي ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ بالخوف.

وأخرج عبد بن حميد، عن مجاهد في قوله: ﴿ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴾ قال: هم النقباء. الدر المنثور ٥٠/٣.

(٢) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي عباس في قوله: ﴿ ادخلوا الأرض المقدسة ﴾ قال: هي مدينة الجبارين، لما نزل بها موسى وقمه بعث منهم اثني عشر رجلا، وهم النقباء الذين ذكرهم الله تعالى ليأتوهم بخبرهم، فساروا فلقىهم رجل من الجبارين فجلعهم في كسائه، فحلهم حتى أتى بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا إليه فقالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى، بعثنا لنأتيه بخبركم، فأعطوهم حبة من عنب تكفي الرجل، وقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: أقدروا قدر فأكهتكم، فلما أتوهم قالوا: يا موسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ﴾ [المائدة: ٢٤]، فقال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ﴿ وكانا من أهل المدينة أسلما وابتعا موسى، فقالا لموسى: ﴿ ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون ﴾. الدر المنثور ٤٩/٣.

(٣) أخرج ابن جرير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ قال رجلان ﴾ قال: يوشع بن نون وكالب.

وأخرج عبد بن حميد، عن عطية العوفي في قوله: ﴿ قال رجلان ﴾ قال: كالب ويوشع بن النون فتى موسى.

وقلت: هل كان هؤلاء القوم الذين أمروا بدخول القرية مع موسى مؤمنين ؟
فقد كانوا قد آمنوا بموسى عليه السلام وصدقوه، ثم ضعفوا عن الدخول على
الجبارين، ورغبوا في الدنيا، وخافوا القتل والفناء، فصاروا بذلك من العصاة، ولما
أمروا به من المخالفين، ولذلك حرم الله عليهم مصر أربعين سنة، إذ كان امتناعهم
من دخول القرية على الظالمين محبةً للدنيا، وميلاً إلى الهوى، وطلب الدعة، ورغبة
في العاجلة، فأقاموا عند ذلك يتيهون في الأرض أربعين سنة.

وقلت: لم جاهد بهم ^(١) وهم فاسقون منافقون ؟
وفسقهم ونفاقهم فإنما بان عندما أمروا بالجهاد، وافترضه عليهم ذو العزة والأيد.
ثم سأل موسى ربه عند مخالفتهم لأمره، وصدودهم ^(٢) عن طاعته، أن يفرق بينه
وبينهم، إذ كانوا غير مطيعين له.

وقلت: ما معنى ﴿يَتِيَهُونَ﴾ [المائدة: ٢٦] ؟
والتيه: فهو التحير عن القصد لما يطلب، وذلك أنه لما حرمت عليهم مصر أقبلوا
يطلبونها وهم لا يهتدون لطريقها، فحيناً يذهبون يمينا، وتارة يمشون شمالاً، ومرة
يرجعون على أعقابهم، متكهمون في حيرتهم، ممعنون في تيههم، يتكبدون بطون
الأودية والفيافي والقفار، فلما أن لم يهتدوا لقصدهم ^(٣)، ولم يعرفوا الطريق التي
يؤمنون في سيرهم، قيل: ﴿يَتِيَهُونَ﴾ لتحيرهم ^(٤) عما يريدون.

وقلت: ما كان طعامهم وشراهم ؟
وقد تقدم تفسير ذلك في أول مسائلك.

الدر المنثور ٤٩/٣.

(١) في (ج): جاهدوهم.

(٢) في (أ): وصدهم.

(٣) في (أ)، (ب): لتيههم.

(٤) في (أ): لحيرتهم.

وقلت: ما كانت الحجة في الفترات على الأمم؟

والحجة عليهم فالتمسك بدين النبي الذي بعثه الله إلى أولهم والإقرار به، فهو عليهم حجة إلى ظهور مرسل من بعده إليهم، فكان موسى عليه السلام في عصره حجة على أهل دهره، وكان القيام بدينه عليهم واجبا، وفرضا من الله سبحانه لهم لازما، إلى أن بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام، ثم كان عيسى حجة حتى بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فختم به النبيين، وبعثه إلى جميع العالمين، وجعل دينه أفضل الأديان، مفروضاً على جميع المربوبين، إلى يوم الدين وحشر العالمين،^(١) وكانت بين المرسلين فترات قد فسرناها في أول كلامنا.

وقلت: هل كان للأنبياء أوصياء؟

وكذلك كان الأمر فيهم، كانت الأنبياء لم تزل لهم الأوصياء صلوات الله عليهم، حتى لم يمست نبي إلا وله وصي يقوم بدينه، وبتعليم أمته، ويأمر فيهم بالتقوى، ويجنبهم عن الردى، ويبين لهم طريق الهدى، فمنهم من يتبع أمره، ومنهم من يصد عن سبيله، ويخالف حكمه، وذلك فعل الأشرقياء، الظلمة الجهلاء بالدين، إخوان المنافقين، وأتباع الجايرين، وأشباه أولئك الآن فموجودون في الأرض، يحذون أفعالهم، ويتبعون آثارهم، عجل الله سريعاً إهلاكهم.

١٨١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي

إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ

فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا

النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]، فقلت: ما معنى هذا؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل أنه من قتل نفساً مؤمنة ظلماً وتعمداً وتعدياً، فكأنما^(٢) قتل الناس جميعاً، لأنه قد ظلم وتعدي، واستوجب

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) في (ج): مؤمناً ظلماً وتعدياً فكأن.

العقاب بفعله، فيما ^(١) اكتسبه من عظيم جرمه، والعقوبة ^(٢) والهوان، والخلود بين طبقات النيران.

و﴿كَتَبْنَا﴾ فمعناه حكماً بالعقوبة عليهم، والتعذيب لمن فعل ذلك منهم. ومن ^(٣) معنى ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ فهو: بالتعليم للدين، والتفهم لأحكام رب العالمين، وأحيائها بذلك وأنجاهها من أليم عقوبة الله عز وجل، التي جعلها على أهل الجهل والغفلة، عما افترض عليهم من تعليم الدين، والنفقة فيما جاء به خاتم النبیین، فكان إحياءه للنفس هو بالتعليم والتفهم، لما افترض الله على جميع المسلمين.

ومن إحياء النفس: الدفع عن المسلمين، والحقن لدماء المؤمنين، والذب عن المستضعفين. ووجه آخر من وجوها أيضاً: أنه لما كان هذا الحكم من الله عز وجل في ابن آدم، وجب أن يكون حكماً خاصاً في الأنبياء والأئمة، أن من قتل منهم نبياً أو إماماً، كان كأنما قتل الناس جميعاً، إذ حكم الأنبياء والأئمة سوى حكم الخلق، وبهم يهتدى من الحيرة، ويستضاء من الظلمة، وينصف المظلوم، وينعش الضعيف، وتقسّم الأموال وتحقن الدماء، ويظهر من الله سبحانه على الخلق بهم النعماء، فإذا قتلوا فقد قتل الخلق، وأهلك العباد، وأفسدت البلاد، فنعوذ بالله من الضلال بعد التقى، ومن الحيرة بعد الهدى.

١٨٢- وسألت عن رجل قتل قوماً عمداً ثم أراد التوبة من جرمه، والإقادة من نفسه، فقلت: كيف يصنع؟ أم يجمع الأولياء، أم كيف يعمل؟

(١) في (ج): بما.

(٢) في (ج): العقوبة.

(٣) سقط من (أ)، (ب): من.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا فعل ذلك فاعل فكان أولياء المقتولين في بلد واحد، فليجمعهم ثم ليُقدّم نفسه، فيحكموا^(١) فيه بما رأوا، فإن رأوا الصّح عنه فذلك جائز^(٢)، وعليه لهم الديّات، وإن صّح بعضهم وقتل بعض^(٣)، فذلك جائز، لأن هذا حكمه خلاف حكم من قتل وله أولياء كثير، وهم فيه مستوون، فإذا وهب أحدهم سقط القتل عن القاتل، ولم يكن للباقي^(٤) أن يقتلوا، وهؤلاء فإنما هم أولياء لقتلى^(٥) متباعدين، وفي الأنساب غير مجتمعين، فلولي هذا أن يقتل، ولولي هذا^(٦) أن يعفو.

وإن كان قتل رجلاً بالري وأولياؤه فيها، وقتل آخر بمرجان، وقتل آخر بآمل، وقتل آخر بوارفوه كان هؤلاء في بلدان شاسعة، ومواضع باينة، رأيت له أن يكتب إلى كلهم، يعلمهم بتوبته ورجعته إلى الله سبحانه، وأنه خارج من خطيئته، بإقادة نفسه لهم، ويُعلم كل أولياء المقتولين بمن يطلبه بالقتل، وأنه سيعرض نفسه للأول فالأول، فمن صّح عنه وأخذ الدية أعطاه إياها، ومن قتله فبحقه، وإن سلم صار إلى الآخر كمصيره إلى الأول، ونحب له إذا كتب إلى أوليائهم أن يذكر لهم أمر الدية، ويتوقف عن القود حتى تتصل به كتبهم، فمن قبل الدية أرسل بها إليه، ومن أبى أفاد نفسه، فإذا فعل ذلك فقد خرج إلى الله من ذنّه^(٧).

(١) في (ج): ليقدّم نفسه فليحكموا.

(٢) في (أ): جاز.

(٣) سقط من (ب): وقتل بعض.

(٤) في (أ): للثانين.

(٥) في (أ): القتل متباعدون. مصفحة.

(٦) في (ج): ولولي الآخر.

(٧) في (أ)، (ب): دينه. مصفحة.

وإن قتله واحد منهم دونهم، كان قد ^(١) أدى ما يجب عليه، من بعد التوبة والاستغفار، والإخلاص في العلانية والإسرار، والتأدي إلى من ظلم، والخروج مما ^(٢) آسأ فيه إلى نفسه واجترم.

١٨٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [المائدة: ٣٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية فيها أحكام من الله عز وجل حكم بها على الفاسقين، وألزمها من عند جميع المفسدين، فجعل على من حاربه سبحانه، وسعى بالفساد في أرضه، وأخاف عباده، أحكاماً على قدر جنايتهم ^(٣)، وجعل عليهم حدوداً تتعد على ما يكون من أفعالهم، فمن سعى في الأرض فساداً من جميع الناس، وقطع الطريق على المسلمين، وقتل المجتاز عليها، كان حكمه إذا أخذ وظفر به أن يقتل ويصلب.

وإذا ^(٤) أخذ أموال المسلمين على الطريق، ولم يقتل نفساً قطعت يده ورجله من خلاف ^(٥)، وإذا عاد لقطع الطريق من بعد قطع اليد والرجل، نفي من الأرض وأدب على قدر ما يرى الإمام ^(٦).

(١) سقط من (أ): قد.

(٢) في (أ): ممن. مصفحة.

(٣) في (ج): جناياتهم.

(٤) في (ج): فإذا.

(٥) أخرج الشافعي في الأم، وعبد الرزاق، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي، عن ابن عباس في قوله: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾ الآية. قال: إذا خرج المحارب فأخذ المال ولم يقتل بقطع من خلاف، وإذا خرج فقتل ولم يأخذ المال قتل، وإذا خرج فقتل

وقد قيل في النفي: إنه يحبس، ومن النفي أيضا الطرد من البلد والإخراج منها، فيكون خروجهم نفياً من أرضها، وإبعاداً^(١) له من الفساد فيها، وهذه الأحكام فلا تكون إلا للأئمة، الحكام على الأمة.

١٨٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا﴾ [المائدة: ٣٨] ؟

وأخذ المال قتل وصلب، وإذا خرج فأخاف السبيل ولم يأخذ المال ولم يقتل نفي.

وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، عن قتادة، وعطاء الخراساني في قوله: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله...﴾ الآية. قال: هذا الذي يقطع الطريق فهو محارب، فإن قتل وأخذ مالا صلب، وإن قتل ولم يأخذ مالا قتل، وإن أخذ مالا ولم يقتل قطعت يده ورجله. الدر المنثور ٦٨/٣-٦٩.

(١) أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، عن عطاء ومجاهد قالا: الإمام في ذلك مخير، إن شاء قتل، وإن شاء قطع، وإن شاء صلب، وإن شاء نفي.

وأخرج ابن أبي شيبة، عن سعيد بن المسيب، والحسن، والضحاك في الآية قالوا: الإمام مخير في المحارب يصنع به ما شاء.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الضحاك قال: ((كان قوم بينهم وبين النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميثاق، فنقضوا العهد وقطعوا السبل، وأفسدوا في الأرض فخير الله نبيه فيهم إن شاء قتل، وإن شاء صلب، وإن شاء قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو ينفوا من الأرض. قال: هو أن يطلبوا حتى يعجزوا، فمن تاب قبل أن يقدروا عليه قبل ذلك منه)).

وأخرج عبد بن حميد، عن الحسن في قوله: ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ قال: من بلد إل بلد.

وأخرج ابن جرير، عن الحسن قال: ينفي حتى لا يقدر عليه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، عن الزهري في قوله: ﴿أو ينفوا من الأرض﴾ قال: نفيه أن يطلب فلا يقدر عليه، كلما سمع به في أرض طلب. الدر المنثور ٦٩/٣.

(٢) في (ج): وبعادا.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا الحكم من الله عز وجل في السارق خلاف حكمه أولاً في المفسدين في الأرض، لأن الله عز وجل جعل عقاب مخيف الطريق وقاطعها قطع اليد والرجل، وعلى السارق في المدن والخوانيت والبيوت قطع اليد لا غير، لأن قاطع الطريق مجاهر لله بالمعصية، معلن بالجرأة، مفتخر بالمخالفة، مخيف للمسلمين في طرقهم، ذاعر لهم في اختلافهم، فجعل الله عليه في ذلك قطع اليد والرجل، جزاء على فعله، وتشريداً لأهل البغي من خلقه، وتحذيراً لأشكاله من المردة المفسدين، فيما كان من مجاهرته بالفعل العظيم، والجرأة بذلك على رب العالمين.

وسارق الخانوت والبيت ذليل غير مخيف لطريق، ولا قاطع لسبيل، ولا ذاعر للمسلمين، ولا معلن بمعصية على رب العالمين، فجعل عليه في سرقة الغيبة الخفية للخانوت والبيت قطع اليد، فلما نزلت الآية بقطع اليد لم^(١) يدر المسلمون أي يديه يقطعون، لو لا أن رسول الله بين ذلك وشرحه عن الله، فقال صلى الله عليه وآله وسلم هي اليد اليمنى لسارق البيت، وما كان في الخرز^(٢). وقال في الذي يأخذ على الطريق^(٣) اليد اليمنى والرجل اليسرى، فكان تبين ما يقطع من الأعضاء باسمه عن^(٤) الله سبحانه على لسان نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، كما كان تبين الصلاة بعد ذكرها مجملة في الكتاب على لسان نبيه عليه السلام سواء سوءاً، لا شك في ذلك ولا امتراء.

(١) في (ج): ولم.

(٢) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، من طرق عن ابن مسعود أنه قرأ ﴿فاقطعوا أيماهما﴾.

وأخرج سعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن إبراهيم النخعي أنه قال: في قراءةنا، وربما قال: في قراءة عبد الله ﴿والسارقون والسارقات فاقطعوا أيماهما﴾. الدر المنثور ٧٣/٣.

(٣) في (أ)، (ج): طريق.

(٤) في (ب): من.

وقد قال بعض الناس: إن القاطع إذا قطع الطريق قطعت يده ورجله، ثم عاد الثانية فنهب سائر الطريق قطعت ^(١) رجله الأخرى ويده، أو سرق من بيت أو حرز قطعت يده الأخرى ^(٢). وهذا قول فاحش لا يحكم به عدل في نفسه، ولا حاكم بكتاب ربه، لأن ذلك من القتل غير القتل ^(٣)، والله سبحانه وإنما جعل عليه القطع ولم ^(٤) يجعل عليه القتل، لأنه إذا قطعت يده ورجلاه فقد قتل، إذ لا يقدر أن ^(٥) يأكل ولا يشرب، ولا يقوم ولا يتحرك إلا تحريكاً ضعيفاً، ولا يصلي ولا يتوضأ للصلاة ولا يغسل عن بدنه دنساً، ولا يمحيط درناً، ولا يدفع عن نفسه بلاءً، ولا يجر إليها ساعة رخاء، ولكن إذا كان ذلك ممن قطعت يده ورجله أذّب ونفي، وفي ذلك ما بلغنا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ^(٦) صلوات الله عليه أنه قال: « لا بد له من يد يأكل بها ويمشط بها الأذى، ويقيم بها الفرض، ورجل يمشي بها، في ما لا بد له منه » ^(٧).

(١) في (ج): فقطعت.

(٢) هو مذهب الشافعي، واستدل بحديث أبي هريرة برفعه: إن السارق إذا سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله، ثم إن سرق فاقطعوا يده، ثم إن سرق فاقطعوا رجله. رواه الدارقطني.

قلت: والحديث ضعيف. فيه: إسماعيل بن سعيد، والواقدي، وخالد بن سلمة.

(٣) في (أ): الميل وعين. مصفحة.

(٤) في (أ)، (ج): لم.

(٥) سقط من (أ): أن.

(٦) سقط من (ج): علي بن أبي طالب.

(٧) عن علي عليه السلام: أنه كان يقطع يمين السارق، فإن عاد فسرق قطع رجله اليسرى، فإن عاد فسرق استودعه السجن، وقال: إني لأستحي من الله أن أتركه ليس له شيء يأكل به، ولا يشرب، ولا يستنجي به إذا أراد أن يصلي. مسند الإمام زيد / ٣٣٩ - ٣٤٠، والمحلى لابن حزم ٣٥٤/١١، وكتر العمال برقم (١٣٩٢٩)، والمصنف لعبد الرزاق ١٨٦/١٠، ومصنف ابن أبي شيبة ١٢٦/٢، وخراج أبي يوسف / ٢٠٧،

وقلت: هل تكون يده ورجله إذا تاب معذبتين^(١)؟

وإنما حال يده ورجله كحال سائر ما بقي من يده إذا مات العبد وهو مؤمن تائب، حشر ورد إليه ما قطع منه، وخرج على حال السلامة والكمال، وليس لليد عقوبة في الآخرة دون البدن، ولا للبدن عقوبة دون البصر، ولا للرأس عقوبة دون الرجلين، بل الإنسان وجميع جوارحه مشتركون في العذاب، أرأيت - أن كان القياس كما ذكرت - لو أن ظالماً لما قطع يدي مؤمن وأذنيه وأنفه، ثم أقام مدة من الدهر حياً، ثم نكص عن دينه وخدعه الشيطان في أمره حتى مات على ضلال، وصار بذلك إلى شرحال، أمثابه يده وأذناه وأنفه؟! إذ بنّ منه وهو مؤمن؟! والله سبحانه فقد حكم في الخلق بردهم في الآخرة على أكمل صورهم، وليسوا بمنقوصين من خلقهم، بل هم خارجون على أكمل أحوالهم، بذلك حكم فيهم رهم.

فإن قلت: ترد إليه يده وأذناه وأنفه، فقد عذب معه جزء بان منه، وهو مؤمن! وإن قلت: يجعل له سوى ذلك فقد عذب من لم يعص ولم يقطع، ولا بد أن يكون لهذه اليد المقطوعة التي ذكرت أنها تعذب أو تثاب، وهي منفصلة من جثة^(٢) صاحبها، بائنة على حيالها، أن يكون فيها روح وتمييز للنعيم، فقد جعلت يداً تُميز وتعقل، وتألم وتنعم، وهي بائنة من مركبها، منفصلة من جثة صاحبها، ولم نسمع

والمغني ٢٦٤/٨، ٢٦٥.

وفي رواية: أن عمر أراد أن يقطع سدوما الثالثة. فقال علي: لا تفعل، إنما عليه بدو رجل، فإله تعالى يقول: ﴿وَمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِمَّنْ خَلَّافَ أَوْ يَنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾، فلا ينبغي أن تدعه ليس له قائمة يمشي عليها، ولا يد يأكل بها. فإما أن تعززه وإما أن تستودعه السجن، فاستودعه السجن. مصنف عبد الرزاق ١٨٦/١٠، والمحلى ٣٥٥/١١، والمغني ٢٦٤/٨، وكتر العمال برقم (١٣٩٢٨).

(١) في (ج): معذبتان. مصحفة.

(٢) سقط من (أ)، (ج): جثة.

(١) بذلك في خبر ولا في كتاب، ولم (٢) يقله ذو عقل ومعرفة، وتمييز وبصيرة، لأننا رأينا اليد إذا بانّت من صاحبها تحرق بالنار وهو لا يجد لها الماء، ولا تجد هي لذلك وجعاً، ولا يشاهد منها عند احتراقها جزءاً، وهذا من المقال عجيب ! ما سمعنا بأحد تكلم به، ولا قامت له فيه حجة، فافهم ما به قلنا في ذلك.

١٨٥- وسألت هل تقطع يد السارق بإقراره على نفسه، وهل يلزمه رد السرقة ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا أقر السارق على نفسه بالسرقة مرتين من غير إفزاع ولا بلاء - لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: « لا حد على معترف بعد بلاء » (٣) - فإذا لم يخف ولم يرَ سوءاً سئل عن عقله ؟ فإن كان صحيح العقل، سئل أحر أم مملوك، فإذا شهد على حريته، قطع الإمام يده. وما حال اعترافه بالسرقة، إلا كحال اعترافه بالزنا، وإن رجع السارق عن إقراره من قبل أن ينفذ فيه الحكم لم يقطع، لأن حاله كحال شاهدين شهدا على رجل بالسرقة، فلما قرب إلى القطع نكل أحدهما أو كلاهما، فلا قطع عليه عند نكولهما.

وأما السرقة فإن وجدت معه أخذت بعينها، وإن لم توجد معه وكان قد استهلكها لم يحكم عليه بغرمها، لأنه قد استهلكها ونفذ الحكم عليه من الله فيها، فحاله كحال من اغتصب مرةً بكراً على نفسها، فأقيم الحد عليه فلا عقر (٤) لها، لأن الحد قد نفذ فيه، فلا يجتمع حد وعقر، كذلك لا يجتمع قطع وغرامة، وإنما ذهب من قال بعقر المكرهة إلى إن للإمام أن يحسن النظر في أمرها، وله أن يفعل في ذلك ما يوفقه الله له، ويرى من طريق نظر العلماء واستحسانهم، لا من طريق فرض مؤكد كغيره مما هو مشدد.

(١) في (أ): يسمع.

(٢) في المخطوطات: ولا. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) أخرجه الإمام زيد في المسند / ٣٣٥. ورواه المجلسي في بحار الأنوار ٦٨٠/٣٠.

(٤) العقر: المهر.

١٨٦- وسألت عن قول سبحانه: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ

﴿[المائدة: ٤٧]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل بقوله: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾، أي: يتبعون ويحكمون بما أنزل الله ^(١) فيه، من الأمر بطاعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والدلالة والبيشارة به، فإن حكموا بذلك فسيؤمّنوا برسوله ويوقنوا ^(٢) بنبوته، وما أمروا به من اتباعه، وإن حرفوا ولم يحكموا على أنفسهم ^(٣) وعلى من تحت أيديهم بما أنزل الله في الإنجيل من الاتباع لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم، فقد كفروا بالإنجيل وجحدوه، وخالفوا حكمه ونبدوه، فهذا معنى الآية ومخرجها.

١٨٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل: أنه من رجع من المؤمنين عما عاهد الله عليه وعقده في رقبته، فإن ذلك عليه وبال وله مهلك، ولن يضر الله سبحانه بشيء من فعله، ولا يحق المكر السيء إلا بأهله، ثم قال سبحانه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾. وإتيانهم بهم فهو: إيجاد نبيه ^(٤) صلى الله عليه وآله وسلم من خلقه قوما راغبين، وإلى الله سبحانه من ذنوبهم متصلين، ولدعوة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم مجيبين، فيشرح صدورهم، ويعينهم على أمورهم، ويبينهم ^(٥) لنبيه.

(١) سقط من (ج): الله.

(٢) في (أ)، (ب): فسيؤمنون برسوله ويقرون.

(٣) في (ج): نفوسهم.

(٤) في (ج): إيجاد لنبيه.

(٥) في (أ): فسسهم. مهمله. وفي (ج): فسيبينهم. وكذلك هي مهمله في (ب). وما أثبت اجتهد.

﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾، صحيحة مودتهم لله ولرسوله، ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٥٤]، يريد: رحاء بالمؤمنين مطيعين لهم، غير متكبرين عليهم ولا متطاولين، بل هم خاضعون لله متذللون، ليسوا بجبارين ولا فراعنة شياطين.

ومعنى ﴿ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنما هي للمؤمنين، فقامت (على) مقام (اللام)، ولم يذكر عز وجل أنهم ^(١) ارتدوا ولا كفروا، وإنما قال من يرتدد منكم، فكان ذلك تنبيهاً للمؤمنين وتعريفاً، وموعظة وزجراً، وقد يقال: أن الآية ^(٢) في قوم كرهوا الجهاد، وهم الذين: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ٧٧]. وقد تقدم تفسير أمرهم في وسط مسائلك.

١٨٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذه آية نزلت في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ^(٣)، فيقال: إنها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

(١) سقط من (أ)، (ب): أنهم.

(٢) سقط من (أ)، (ب): الآية.

(٣) نزلت الآية في أهل البيت محمد — وعلي — وفاطمة — والحسن — والحسين عليهم السلام. وقد رواه أغلب المحدثين فمعهم رواه:

مسلم في صحيحه، في كتاب فضائل الصحابة في باب فضل أهل بيت النبي ﷺ، رقم (٤٤٥٠) بسنده عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: خرج رسول الله ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهراً).

وأخرجه الحاكم في المستدرک ١٤٧/٣، والبيهقي في السنن ١٤٩/٢، وابن جرير في تفسيره ٥/٢٢ عن عائشة.

وذكره السيوطي في الدر المنثور عند تفسير الآية. وقال أخرجه ابن أبي شيبة، وأحمد، وابن أبي حاتم، وذكره الزنجشيري في الكشف في تفسير آية المباهلة، وكذلك الفخر الرازي، وقال: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

وأخرجه الترمذي في السنن ٢/٢٠٩، بسنده عن عمر بن أبي سلمة، والطحاوي في مشكل الآثار ١/٣٣٥، وابن الأثير الجزري في أسد الغابة ٢/١٢. وابن جرير في تفسيره ٢٢/٣١٩ عن أم سلمة.

وأخرجه أحمد في المسند ١/٣٠٦. وذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٢/٢٩٧، والمحجب الطبري في الذخائر ٢١.

والترمذي ٢/٢٠٩ بسنده عن أنس. والطبري في تفسيره ٥/٢٢، والحاكم في المستدرک ٣/١٥٨، وأحمد في المسند ٣/٢٥٢، والجزري في أسد الغابة ٥/٥٢١، والمتقي الهندي في كتر العمال ٧/١٠٣، نقلاً عن ابن أبي شيبة، وذكره السيوطي في الدر المنثور وقال: أخرجه ابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه. وابن جرير ٧/٢٥ بسنده عن حكيم بن سعد.

والحاكم في المستدرک ٢/٤١٦، عن أم سلمة، وأيضاً في ٣/١٤٧، والبيهقي في السنن ٢/١٥٠، والطحاوي في المشكل ١/٣٣٤، ٣٤، والخطيب في تاريخه ٩/١٢٦، وابن جرير ٧/٢٢.

وأخرجه الحاكم في المستدرک بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب.

ورواه السيوطي أيضاً في الدر المنثور ٥/١٩٨، ١٩٩، قال وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت ... الحديث.

ورد بألفاظ مختلفة، ومقامات متعددة، والمعنى واحد. فيها أن رسول الله ﷺ، صلى تسعة أشهر، وفي رواية ثمانية أشهر، وفي رواية ستة أشهر، يأتي كل يوم وقت صلاة الغداة، وفي رواية وقت كل صلاة بيت علي وفاطمة، فيقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أهل البيت (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا).

وأخرجه أيضاً أحمد في المسند ١/٣٣٠ عن عمرو بن ميمون. و٤/١٠٧، عن شداد بن أبي عمار. و٦/٢٩٢ عن أم سلمة. و٦/٢٩٢، عن شهر بن حوشب.

والنسائي في الخصائص/٤. والبغدادى في تاريخه ١٠/٢٧٨ عن أبي سعيد.

وهو في منزله، فقال: لقد ^(١) نزلت عليّ آية عجيب أمرها، فانظروا من ذا الذي أدى الزكاة وهو راکع؟ فإذا بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قد جاءته مسكينة وهو راکع فسألته المنفعة، فمد يده إليها فأخذت خاتمه من يده، فوجده

والحب الطيري في الرياض ١٨٨/٢. وابن عبد البر في الاستيعاب ٥٩٨/٢ عن أبي الحمراء.

وأبو داود الطيالسي في مسنده ٢٧٤/٨، وهو في كثر العمال ٩٢/٧.

وفي مشكل الآثار ٣٣٢/١، ٣٣٦، ٣٣٨.

وفي مجمع الزوائد ١٦٩/٦، ١٢١، ٢٠٦، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١٨/٢. رقم ٦٣٧ — ٧٧٤.

ومحمد بن سليمان الكوفي في المناقب ١٣٢/١ (٧٣)، ١٤٨/١ (٨٣)، ١٥٧/١ (٩٢)، ٤٠٦/١ (٣٢٤)، ١٩/٢ (٥٠٨)، ١٢٤/٢ (٦١٠)، ١٣٨/٢ (٦٢١)، ١٧٤/٢ (٦٥٢).

والخيري في تفسيره ٢٩٧/٥٠ عن أم سلمة، ٢٩٩/٥١ عن شهر بن حوشب، ٣٠٠/٥٢ عن أم سلمة، ٣٠٢/٥٣ عن أم سلمة، ٣٠٤/٥٤ عن أم سلمة، ٣٠٦/٥٥ عن أبي سعيد الخدري، ٣٠٧/٥٦ عن ابن عباس، ٣٠٩/٥٧ عن أبي الحمراء، ٣١٠/٥٨ عن أنس بن مالك، ٣١١/٥٩ عن أبي الحمراء.

وأخرجه فرات الكوفي في تفسيره ٣٣٢/١ (٤٥١) عن شهر بن حوشب، ٤٥٢ عن أم سلمة، ٣٣٣/١ (٤٥٣) عن أم سلمة، ٣٣٤/١ (٤٥٤) عن أم سلمة، ٣٣٤/١ (٤٥٥) عن أبي عبد الله الجولي، ٣٣٥/١ (٤٥٦) عن شهر بن حوشب، ٣٣٦/١ (٤٥٧) عن أم سلمة، ٣٣٦/١ (٤٥٨) عن عمرة الهمدانية، ٣٣٧/١ (٤٥٩) عن أم سلمة، ٣٣٧/١ (٤٦٠) عن أبي جعفر الباقر، ٣٣٨/١ (٤٦١) عن أبي سعيد الخدري، ٣٣٩/١ (٤٦٢) عن أبي الحمراء، ٣٣٩/١ (٤٦٣) عن جعفر الصادق، ٣٤٠/١ (٤٦٥) عن ابن عباس، ٣٤٠/١ (٤٦٦) عن عمرو بن ميمون.

وفي تفسير ابن كثير ٤٨٤/٣ عند تفسير الآية أورد تسع روايات، عن أنس، وأبي الحمراء، ووائل بن الأسقع، وأم سلمة بثمان طرق، وعائشة بطريقين، وأبي سعيد الخدري، وسعد، وزيد بن أرقم.

وقد تركت ذكر الكثير ممن رواه خشية التطويل.

(١) سقط من (ج): لقد.

معها تقلبه في يدها، فكان صلى الله عليه المتزكي في صلاته، والمتصدق في ركوعه، دون جميع أهل دهره.

١٨٩- وسألت لم جاء الوحي لجماعة وإنما هو واحد ؟

وهذا من لغة العرب صحيح جيد، لأن الواحد من العرب يقول: فعلنا وصنعنا، وإنما يريد نفسه، والله سبحانه يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ ﴾ [ق:٣٦]. وليس أحد يحيى ويميت إلا الله تبارك وتعالى، فجاز أن يقول: إنا نحن وإن كان واحداً، كما قال: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ ﴾ [النساء:١٠٥، الزمر:٢]. وهذا فصيح في اللغة حسن، وكما قال سليمان صلى الله عليه: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ عُلْمُنَا مَنْطِقَ الظَّيْرِ ﴾ [المل:١٦]. فقال: ﴿ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الظَّيْرِ ﴾ فخرج لفظه يدل على أنهم جماعة علموا ذلك، ولم يكن أحد في عصره علم ذلك إلا هو وحده، فهذا حجة فيما سألت عنه، ومبين لذلك ^(١) إن شاء الله.

١٩٠- وسألت عن قوله سبحانه: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ﴾ [المائدة:٦٠]، فقلت: ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم صلوات الله عليه عن هذه المسألة فقال: جعلهم فهو: تبديله لهم تبارك وتعالى، وقوله: ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ﴾. فإنما هو نسق وتماثل لما تقدم من الأول، ولحق من قوله سبحانه: ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [المائدة:٦٠]. يريد: منزلة ومحلاً ومرتبة عند الله ﴿ مِنْ لَّعْنَةِ اللَّهِ وَعَظِيبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ ﴾ [المائدة:٦٠]، والمسوخ المقدورة الممقوتة ^(٢) تقديمًا وتأخيرًا وتعريفًا،

(١) في (ب): وتبين لذلك. وفي (ج): ومبين لك.

(٢) في (ج): المقدرة والممقوت.

ولست تحتاج - والله محمود - إلى تفسير فيما يجوز في شأن ^(١) القرآن من التقليل والتأخير.

١٩١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [المائدة: ٦٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عز وجل أن أهل التوراة والإنجيل لو أقاموا ما أنزل إليهم من ربهم، لدبرّت أرزاقهم، وكثرت نعمهم، وأكلوا - كما قال - ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، ولأنزل الله عليهم من السماء البركات، ومن ^(٢) الأرض النعم السابغات، كما قال عز وجل: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقْنُمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]. وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

فلما أن كانت البركات تأتي من السماء والأرض، قال: ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾، فكان هذا دليلاً وشاهداً على كفر أهل الكتاب، في تحريفهم ^(٣) للتوراة والإنجيل، وتركهم ما فيهما من أمر الله ونهيه وأحكامه، وفي مثل ما ذكرت في الآية ما يروى عن عيسى بن مريم صلوات الله عليه أنه قال: «بحق أقول لكم يا بني إسرائيل أن لو اتقيتم الله حق تقاته، لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم، وعن إيمانكم وعن شمائلكم، فإن قلت: كيف ذلك، فانظروا إلى الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً، فإن قلت: نحن أكبر أجوفاً، فانظروا إلى بقر الوحش والظباء والسباع تغدو خماصاً وتروح بطاناً، لا تحرث ولا تزرع والله يرزقها

(١) في (ج): بيان.

(٢) سقط من (أ): من.

(٣) في (ج): وتحريفهم.

وإياكم»^(١)، وفي^(٢) كتاب الله عز وجل الشاهد لذلك، قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ - ٣].

١٩٢- وسألت عن القسيسين، فقلت: ما معنى هذا الاسم؟

يقال^(٣): إنه النجاشي وأصحابه، والقسيسون فهم: كبار النصارى، يصلون بهم ويقدموهم ويعظموهم.

١٩٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ

﴾ [البقرة: ٢٢٥، المائدة: ٨٩]؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اللغو فهو مالا يعتمد فيه اليمين، ولا يقصد به جرأة على رب العالمين، وإنما يقع من طريق الغفلة والسهو، فاللغو^(٤) ما لا يكون له حقيقة ولا قصد ولا ضمير^(٥)، وقد قيل في اللغو: إنه الرجل يخلف على الشيء ما فعله وقد فعله، وليس هو عندي كذلك.

(١) قال عيسى عليه السلام: لذلك أقول لكم لا تقيموا حياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام؟! والجسد أفضل من اللباس؟! انظروا إلى طيور السماء لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن. وأبوكم السماوي يقوّمها. أليست أنتم بالحرى أفضل منها؟! ومن منكم إذا اهتم بقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟! ولماذا تهتمون باللباس؟! تأملوا زنايق الحقل كيف تمّنوا، ولا تعب ولا تنزل! إنجيل متى ٢٤/٦ - ٢٩.

(٢) في (أ): في.

(٣) في (أ)، (ج): وإنه يقال...

(٤) في (أ): واللغو.

(٥) أخرج عبد بن حميد، وأبو الشيخ، عن إبراهيم قال: اللغو، أن يصل الرجل كلامه بالخلف، والله لتجفين، والله لتأكلن، والله لتشربن، ونحو هذا لا يريد به يمينا، ولا يعتمد به حلفا، فهو لغو اليمين ليس عليه كفارة.

وأخرج عبد بن حميد وأبو الشيخ، عن قتادة قال: اللغو: الخطأ، أن تخلف على الشيء وأنت ترى أنه كما حلفت عليه، فلا يكون كذلك تجوز لك عنه ولا كفارة عليك فيه، ﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾،

١٩٤- وسألت هل يجوز أن يحلف على الحقوق بالقرآن والطلاق ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ذلك جائز. وقد قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يستحلف على القرآن، وأمير المؤمنين عليه السلام من بعده. وأما الطلاق فلا يدخل في ذلك، لأن الله يقول عز وجل: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. وفي اليمين بالله كفاية لمن عرفه، والطلاق فقد يستحلف به بعض من لا معرفة له بالقرآن، فيكون هيئته للطلاق والعتاق أشد عليه من اليمين على الكتاب، وفي كتاب الله المقتنع والكفاية، فافهم هديت.

١٩٥- وسألت عن من حلف فحنت، وهو لا يقدر على كفارة. فقلت: كيف يعمل ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن الله سبحانه جعل الكفارة أربعة أشياء، رافة بعباده، ورحمة لخلقه، فسَّخَّ بذلك عليهم، وجعله على قدر ما يمكن من طاقتهم، إطعام أو كسوة أو عتق أو صيام، فإذا لم يقدر على إطعام ولا كسوة ولا عتق ولا صيام، كان ذلك عليه ديناً حتى يقوى على الصيام فيصوم عند صحته إن كان به

قال: ما تعمدت فيه المآثم فعليك فيه الكفارة.

وأخرج ابن أبي حاتم، وابن جرير، عن مجاهد ﴿ولكن يواخذكم بما عقدتم الأيمان﴾ قال: بما تعمدت.

وأخرج عبدالرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ، عن مجاهد ﴿لا يواخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾ قال: السرجل يحلف على الشيء يرى أنه كذلك وليس كذلك، ﴿ولكن يواخذكم بما عقدتم الأيمان﴾، قال: الرجل يحلف على الشيء وهو يعلمه.

وأخرج أبو الشيخ، عن عائشة قالت: إنما اللغو في المراء والهزل والمزاحة في الحديث الذي لا يعقد عليه القلب، وإنما الكفارة في كل يمين حلف عليها في جد من الأمر في غضب أو غيره ليفعلن أو ليعتركن، فذاك عقد الأيمان الذي فرض الله فيه الكفارة. الدر المنثور ٣/ ١٥٠ - ١٥١.

مرض، أو يرزق فيكفر، أو يستعين^(١) إمام حق إن كان في عصره فيعينه، أو يحمل كفارته عنه.

وقلت: فإن كفر برز أعطيه بقشره؟

ونحن نعطيك في هذا أصلاً تعتمد عليه والذي يجب في الإطعام من رز أو ذرة أو بر أو شعير، أن يطعم كل مسكين ما يشبعه ويكفيه بإدام^(٢) يومه، فإذا فعل ذلك فقد أدى ما عليه.

وقلت: أيما أفضل أعطى المساكين حباً أو يسويه لهم خبزاً؟

والخبز لهم والإشباع^(٣) والتقدم إليهم ما قد فرغ من تعبته وعن شغله أفضل، وإن دفع من الحب ما يكفي خبزاً وأدام أجزاه، وخلصه وكفاه.

وقلت: إن أوصى رجل عند موته للمساكين بألف رغيف ولم يسم من أي طعام هو؟

قال: ينظر إلى ما كان يأكل ويجريه على عياله، ويستنفقه الناس في البلد، فيخبز لهم منه^(٤)، وإن كان مختلفاً كان أفضلها أحب إلي.

وأما قوله: ألف رغيف فهذا شيء مجهول، لأن الخبز يتفاضل، فرغيف فيه مد، ورغيف فيه مدان^(٥)، ورغيف فيه ربع مد وثلاث مد، وأقل وأكثر، وأصلح ما يفعل في مثل هذا أحد وجهين، ينظر إلى خبز هذا الرجل الذي كان يعمل في منزله

(١) في (ج): ويرزق فيكفر وتستعين.

(٢) في (أ)، (ب): بأدمه.

(٣) في (ب): والإشباع.

(٤) سقط من (ج): منه.

(٥) في المخطوطات: مدين. والصواب ما أثبت.

فيعطى المساكين على ضربه ^(١)، لأنه لم يأمر إلا بما يعرف من أرغفته التي لو نذر في حياته أن يطعم عشرة أرغفة لم يطعم إلا من خبزه الذي في بيته، لأن اعتقاده لم يكن إلا ذلك، ولم يعتقد خبز غيره.

والوجه الثاني: وهو أحبها إلي أن يخبز لهم ألف رغيف من أوسط ما يعرف من خبز أوسط أهل البلد، وشكل ذلك الرجل ^(٢)، ثم يعطى المساكين من طريق نظر عدل من المسلمين، يتحرى ذلك ويعدل فيه.

وقد قيل: إن هذه وصية بجهولة إذ لم يجد فيها حد ^(٣) كيل أو وزن فلا يجاز منها ^(٤) شيء، والذي أراه أصلح في الدين، وأسلم عند رب العالمين، ما شرحت لك، فاعلم ذلك.

وقلت: هل يعطي الرجل قريبه ^(٥) إذا كان فقيراً من كفارته شيئاً؟

واعلم - حاطك الله - أنه إن كان ممن تجب عليه النفقة، فلا يحل أن يعطيه من كفارته شيئاً، وإن كان ممن لا تجب عليه نفقته فهو من المساكين والفقراء، غير أنا لا نحب أن يعطى المسكين أكثر من شبعه يومه ذلك، ويعطى الفقراء معه، ولا يخص بالكفارة واحداً ولا اثنين فيعطيهما إياها كلها، ولا بد أن يعطى عشرة مساكين كما أمر الله عز وجل.

١٩٦- وسألت عن رجل استحلف بطلاق فحلف بطلاق، وسمى اسم ^(١) امرأته وهو يعني امرأة ^(٢) أخرى، وافق اسمها ^(٣) اسم امرأته، ولم ينو لمرأته طلاقاً فقلت ^(٤): هل يحنث؟

(١) ضربه: نوعه.

(٢) كذا في جمع المخطوطات.

(٣) سقط من (ب): حد.

(٤) في (أ): فيها.

(٥) في (ج): قرابته.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا نوى غير امرأته وسمى باسم مشابه لاسمها، ولم يعتقدها في قلبه، فلا حنث عليه، وإنما يقع الحنث بالاعتقاد والقصد، لأن تطليقه مرةً ليست له بزوجة عبث، وكذب منه للذي حلف له.

١٩٧- وسألت عن رجل له امرأتان باسم واحد، فقال فلانة طالق، وأشهد

الشهود على لفظه، ولم يدر أيهما عني، ولم ينسبها إلى أيهما ^(٩) فتعرف ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يسأل أيهما عقد عليها قلبه ونيته، فالتطليقة لازمة لها، وهو أولى بها في عدتها، فتكون معه بشنتين.

ثم قلت: أرأيت إن مات عند لفظه بطلاقها، ولم يسأل أيهما أراد، ووقعت الشبهة واللبسة ؟

فهذه - يرحمك الله - شبهة قد وقعت، إذ الاسمان مستويان، ولم يسأل الزوج أيهما نوى، فكلاهما تقول لصاحبتهما: أنت المطلقة، وليس معها على ذلك بينة، يصح المقصود بها منهما ؟

فالجواب في ذلك ^(١٠) عندي: أنه يلزمهما تطليقة تطليقة، ويرثانه إذ هما في العدة التي جعل الله على المتوفى عنها زوجها، وكل مطلقة طلقت أو مات عنها زوجها، وهي في عدتها أو ماتت فهي ترثه ويرثها، إلا أن تكون التطليقة الثالثة التي لا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره، فلا ترثه إن مات ولا يرثها، قياس ^(١١) ذلك: رجل له

(١) سقط من (ج): اسم.

(٢) سقط من (ج): امرأة.

(٣) سقط من (ب): اسمها.

(٤) سقط من (أ)، (ب): فقلت.

(٥) في (أ): ينسبها إلى أيهما.

(٦) في (أ)، (ب): فيه.

(٧) في (أ)، (ب): وقياس.

ثلاث نسوة، ثم حلف بطلاق مرة ^(١) من نسائه، فحنت ولم يدر أيتهن عني، ولم يعتقد منهن واحدة، بعينها، فالطلاق ^(٢) لازم لمن كلهن، وله عليهن الرجعة في عدتهن.

١٩٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ [المائدة: ٩٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿لَيَبْلُوَنَّكُمْ﴾ هو: ليمتحنكم بالصيد الذي ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾، أراد بذلك عز وجل: الاختبار لهم والامتحان بالطاعة لينظر كيف صبرهم، وقد كان عز وجل عالما بهم، ولكن امتحنهم بذلك ليكافئ المطيع على فعله، ويعاقب المسيء على عمله، فكان الصيد في إحرامهم كثيرا لا يذعر منهم كما كان يذعر، حتى لو شاء أحدهم أن يضربه بالسيف لضربه، أو يطعنه بالرمح لطعنه، فكان ذلك من الله سبحانه اختباراً لهم كما اختبر أصحاب الحيتان، فكانت الحيتان في يوم سبتهم تأتيهم شرعا، حتى لو شاءوا لأخذوها بأيديهم، وإذا كان سائر الأيام لم يقدرُوا عليها إلا بالشبك والحيل والطلب.

وقلت: فإن قتل رجل صيدا متعمدا ثم قتل صيدا ثانيا، هل يجب عليه كفارة أو كفارتان ؟

والذي يجب عليه في كل ما قتل وهو محرم كفارة كفارة، ولو قتل خمس بقرات من الوحش، لوجب عليه خمس بقرات من الأوانس، فإن لم يجد فقيمتهن في ذلك البلد الذي قتل فيه. فإن لم يجد القيمة وجب عليه عدل ذلك صياما، وهو ثلاثمائة وخمسون يوما، عن كل بقرة سبعون يوما.

(١) في (أ): مرته. مصحفة.

(٢) في (ب): والطلاق.

وقلت: لِمَ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدَلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]. ولم يقل: يحكم به ذو عدل؟

وذو العدل فهو واحد، وذو عدل فهما اثنان، فأراد الله سبحانه أن يحكم في هذه القيمة ذوا عدل، لأن الاثنين أوثق من الواحد، وأجدر أن تصح القيمة بالتراجع بينهما، والنظر فيها منهما، ولم يجز سبحانه شيئاً من الأحكام إلا بشاهدين.

١٩٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ﴾ [المائدة: ٩٦]، فقلت: لم يذكر الله سبحانه الخمس في الكتاب في صيد البر والبحر؟ وسألت من أين أوجبناه نحن وليس له في كتاب الله ذكر؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: اعلم - هداك الله وأعانك - إن معنى ما ذكرنا ^(١) من الخمس في البحر والبر وأوجبناه، معنا فيه آية من كتاب الله عز وجل، والذين لم يوجبوه وأنكروه، فإنما استحلوا ذلك فرخصوا ^(٢) فيه لأنفسهم، وجرت بهم سوء ^(٣) العادة عليه، وعدموا المؤدب والمنبه فصار عندهم حكماً واجباً باستحسان أنفسهم، وقلة المنكر عليهم، وليس ما فعله العباد بجهل أو تجاوز وترخيص، تبع فيه الأول الثاني، وتبع الثاني الثالث، بحكم الله إذ ^(٤) رضوا به وأجمعوا عليه، لأن إجماعهم على غير الحق غير موجب لهم صدقاً، ولا مثبت من الله اتباعاً، فلا تنظر إلى الإجماع على ما لا يشهد له به كتاب ولا سنة ^(٥)، وإنا وجدنا الله سبحانه يقول في كتابه: قال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ [الأنفال: ٤١]. فقال من شيء، ولم يقل شيئاً واحداً، فكل ما وقع عليه

(١) في (أ)، (ب): إنما ذكرنا.

(٢) في (أ)، (ب): استحلوا ورخصوا.

(٣) سقط من (ج): سوء.

(٤) في (ج): إذا.

(٥) في (ب): له كتاب الله ولا سنة.

اسم الغنيمة فقد أوجب فيه الخمس، فإن ^(١) كنت تقول: حتى نجده لك مسمى ^(٢) في كتاب الله خمس البحر، قلت ^(٣) تجده كذلك، ولكن ^(٤) قوله سبحانه: ﴿مِمَّا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾. يوجب في البر والبحر ^(٥) الخمس، وإلا فإن قال لك مناظر: أوجدنا للمعادن في كتاب الله تسمية في الخمس، أو في الركاز؟ فلن تجد ذلك أبداً !

وإذا لم تجده عليك أن تطرح الخمس من المعادن والركاز. وكذلك اللؤلؤ والجواهر، الذي يخرج من البحر ليس فيه أيضاً خمس.

وإذا قال بذلك قائل فقد رد حكمه وضاد أمره، وعاند نبيه، وخالف فرضه، وإن أوجب الخمس فقد أصاب الحق، وإذا أوجبه في هذه الأشياء التي ليس لها في كتاب الله ذكر، فكذلك ^(٦) أيضاً يجب ^(٧) في الأشياء الأخرى ^(٨) سواء سواء، وقد احتججنا في هذا بحجج قد صارت إليك، ووصلت بك. والقاسم صلوات الله عليه، فإنما أراد بقوله: يحول الحول عليه ثم تكون فيه الزكاة. أن كل ما كان من الغنائم فإنما أراد يجب فيه الخمس عند أخذه، ثم ليس فيه شيء على مالكة غير ذلك حتى يحول عليه الحول، فإذا حال عليه الحول وجبت عليه فيه الزكاة، إذا كان

(١) في (أ)، (ب): وإن.

(٢) في (ب): تجد ذلك مسمى.

(٣) في (أ): فأنت. مصحفة.

(٤) في (ب): الله عز وجلن وليس تجده كذلك ولكن.

(٥) في (ج): البحر والبر.

(٦) في (أ)، (ج): وكذلك.

(٧) في (أ)، (ب): لا يجب. مصحفة.

(٨) في (أ): الأخر.

قيمته مائتي درهم أو عشرين^(١) مثقالا، لأن بعض الناس يوجب فيه من بعد الخمس العشر، ولسنا نرى ذلك حتى يحول عليه الحول، ثم فيه ربع عشره، وعلى ذلك يجري حسابه في العشرين مثقالا نصف مثقال، وفي المائتي درهم خمسة دراهم، ولا اختلاف عندنا أن القاسم صلوات الله عليه، كان يوجب الخمس.

وكذلك يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، وبذلك كان يقول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، وبه أقول وعليه أعتمد، فكفى^(٢) بالآية شاهدا ومثبنا.

وقلت: إن كثيرا من أئمة الحلال والحرام، لم يتكلموا في ذلك بشيء.

واعلم - حاطك الله - أن أئمة السلف أعلم، ومعهم من التوفيق والتسديد ما ليس مع الآخرين، ولعلهم لو سئلوا عنها، أو كشفوا عن جوابها، أن يجيبوا فيها بما أجبنا.

٢٠٠- وسألت هل يوصي المريض في مرضه، بما عليه من الأعشار والأخماس؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام^(٣): ذلك عليه واجب وله لازم، لأنه حق لله سبحانه في رقبته، واجب عليه تأديته، لأن الزكاة غلها عظيم، وقد أوعد الله سبحانه فيه لفاعله العذاب الأليم.

وفي ذلك ما يقول رسول الله صلى الله عليه: «مانع الزكاة، وأكل الربا، حرباي في الدنيا والآخرة»^(٤). وقال عليه السلام: «لا تقبل الصدقة من غلول»^(٥).

٢٠١- وسألت عن إمام قائم في بلد هل يجوز التوجيه بالأعشار والأخماس إليه؟

(١) في (أ)، (ج): عشرون.

(٢) في (أ)، (ب): وكفى.

(٣) سقط من (ج): محمد بن يحيى عليه السلام.

(٤) أخرجه الإمام زيد في المسند / ٢٠١.

(٥) أخرجه الإمام زيد بن علي في المسند / ٢٠٢، وفي أمالي أحمد بن عيسى [رأب الصدع ٥١٩/١ (٨٥٦)].

قال محمد بن يحيى عليه السلام: ذلك واجب على الناس أن يرسلوا إليه بأعشارهم وأخماسهم، لأن الله سبحانه قد فرض ذلك عليهم، وأمره بقبضه منهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقلت: إن وجه الرجل بها مع رسول الإمام فذهبت هل يغرم؟
واعلم - هداك الله - أنه لا يجب عليه غرامة، لأنه قد سلمها ^(١) إلى رسول صاحبها المأمور بقبضها.

وكذلك أيضا إن جعل الإمام لأهل البلد أن يوجهوا بها إليه مع رسل ثقات، فأرسلوا بها مع ثقة كما أمرهم، فذهبت في الطريق فلا شيء عليهم، لأنهم قد نفذوها على ما أمرهم به فيها، وإذا خرج بها إنسان بغير أمر الإمام، فذهبت منه في الطريق، فهو ضامن لها أبدا حتى يوصلها إلى صاحبها، لأن الضمان لازم له إذا خرج بها بغير مشورة ولا رأي ولا إطلاق بذلك، فهي في رقبته حتى يسلمها.

٢٠٢- وسألت عن رجل اشترى من رجل ما يجب عليه فيه الخمس، وقد علم أن

البائع لم يخرج خمسه، فقلت: هل يجب عليه هو أن يخرج الخمس؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يجب على المشتري إذا علم أن البائع قد غل، ولم يؤد الأمانة المفروضة عليه، أن يخرج خمس ما اشتراه.

وقلت: إن تاب البائع هل يجب عليه للمشتري ثمن ما أخرج؟

وذلك واجب عليه لازم له، وقد قيل في ذلك: إن الخمس إنما هو على الغام لا على المشتري، ليس على المشتري أن يخرج خمسا ^(٢). وليس هذا عندي بقول، بل

(١) في (ج): سلمه.

(٢) عن الحارث بن أبي الحارث الأزدي أن أباه كان أعلم الناس بمعدن، وأنه أتى رجلا قد استخرج معدنا فاشتراه منه بمائة شاة متبع، فأتى أمه فأخبرها، فقالت يا بني إن المائة ثلاثمائة، أمهاتما مائة، وأولادها مائة، وكفاها مائة، فارجع إلى صاحبها فاستقله، فرجع إليه فقال: ضع عني خمس عشرة، فأبى ذلك، قال: فأخذته، فأذابه فاستخرج منه ثمن ألف شاة، فقال له البائع: رد البيع، فقال: لا أفعل، فقال: لآتين عليك فلأشيت بك،

أرى لمن عرف الحق أن يتخلص مما غله ذلك الظالم، ويخرجه من يديه، فإن ذلك أقرب إلى الصواب، وأبعد من الباطل والارتياب.

مثل ذلك: مثل رجل^(١) باع سلعة كانت بينه وبين رجل، فاغتصب شريكه حقه الذي كان معه فيها، وقد علم المشتري وأيقن بسهم المغصوب الذي اشتراه من هذا الغاصب، فعلى المشتري له إن كان مؤمناً أن يرد إلى المغصوب سهمه، لأنه اشتراه ممن لا يملكه، وقد أيقن بذلك عند شرائه، وتقرر ظلمه في قلبه، فلا يجوز^(٢) لنفسه ولا يسوغها أخذ حرام قد علمه وأيقن به، وله على البائع قيمة هذا السهم إذا قدر عليه ووجد حاكماً يحكم له به، لأنه باعه ما لا يملك ظلماً وعدواناً، وجهلاً وعصياناً.

٢٠٣- وسألت عن قول الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ٩٦].

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هما كما ذكر عز وجل لن يستويا عند الله تبارك وتعالى في منزلة، ولا يجلان لديه في درجة، لأن الخبيث وإن كثر وغزر حرام، كثير الآثام، وعقوبته والمجازاة فيه^(٣) الخزي الطويل، والويل والعويل، في العذاب الأليم، الدائم المقيم، فعاقبته وخيمة، وآثامه جمّة، وليس فيه لأحد منفعة، بل هو عليه وبال، ومضرة في جميع الأحوال.

فقال: إن أبا الحارث أصاب معدناً، أنه علي فقال: أين الركاز الذي أصبت؟ فقال: ما أصبت ركازاً إنما أصابه هذا، فاشترته منه بمائة شاة متبع، فقال له علي: ما أرى الخمس إلا عليك. قال: فخمس المائة شاة. الأموال ٤٣١/، والمغني ٢٩/٣، والمحلى ١١٠/٦، وكتر العمال برقم (١٦٩١٨). موسوعة فقه الإمام علي عليه السلام ٣٠٧ - ٣٠٨.

(١) في (أ)، (ب): ظالم.

(٢) في (أ): ولا. وفي (ب): يجوز.

(٣) في (ب): عقوبته والمجازاة عليه. وفي (أ): وعقوبته المجازاة.

والطيب فزكي، مطهر مرضي، يثاب عليه بأكرم الثواب، مقبول عند الله في كل الأسباب^(١)، وقد يكون الطيب (من المكاسب الحلال، البعيدة من الحرام، السلامة من الآثام، وقد يكون الطيب^(٢)) من المؤمنين أهل البصائر والدين، والمعرفة واليقين، فقد سماهم الله سبحانه طيبين، فقال: ﴿الطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَةِ﴾ [النور: ٢٦]. فكل هذا يسمى: طيباً، إذ هو من النجس بعيد^(٣)، وعند الله سبحانه مكرم قريب.

وقد يكون الخبيث من مكاسب الدنيا وجمائع الكفرة، وزهاها^(٤) وكثرة زينتها، وكبرها في أعين أبناء الدنيا، وعظمتها في صدورهم، لما يرون من العدد والتملك^(٥)، فتهاوهم قلوبهم، وتأملهم^(٦) أنفسهم، فيزدرون^(٧) عند ذلك جمائع المؤمنين، لقلّة عددهم، وحمول الدنيا وزينتها لديهم، فلا ينظرون إليهم من الإعجاب بما ينظرون به أبناء الدنيا، فمدح الله الطيب من كل شيء، وعاب الخبيث. ثم قال: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾، فهو غير زكي، ولا نامي رضي، فذمه الله سبحانه ولم يحمده، فهذا معنى الآية، والله ولي العون والتوفيق.

وفي أهل الكفر والعصيان، ما يقول ذو المنّة والإحسان: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢١]. فقال ولا تنكحوهن ولو أعجبكم حسنهن، ثم قال ولا

(١) في (ج): الأشياء. مصحفة.

(٢) سقط من (أ)، (ج): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (ج): من النجس بعيد.

(٤) سقط من (ج): وزهاها.

(٥) في (ج): والتملك.

(٦) في (ج): وتهاوهم.

(٧) في (ب)، (ج): فيزدروا.

تسكحوهم يعني الرجال، ولو أعجبكم كثرة أموالهم، وشرف أصولهم، لأنهم عند الله مذمومون، ولديه من الهالكين.

٢٠٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِئْتَبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، فهم: المؤمنون المصدقون بالله، الذين آمنوا نفوسهم من عذاب الله، بما كان من اجتنابهم لمعصيته، واتباعهم لحكمه، فأمنوا بذلك من العقاب، وصاروا به إلى محل الخلد والثواب.

ثم قال: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾، يقول عز وجل: أصلحوها بالطاعة لله فاستنفذوها. ثم قال: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾، يريد سبحانه: أنه لن يضركم،^(١) ضلال الضالين، ولا تحاسبون بفعل المبطلين، ولا تسألون عن شيء من أعمال المفسدين، وإنما أفعالهم عليهم، وضرهم^(٢) في رقاهم.

وقد ذكر أن اليهود قالوا للمسلمين: كيف تطمعون بالنجاة، وآباؤكم مشركون، ولستم بناجين من فعلهم؟! فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤، الإسراء: ١٥، فاطر: ١٧، الزمر: ٧]. فأخبر أنه لا يعذب أحدا بجرم أحد، والدأ كان أو ولدأ.

٢٠٥- وسألت هل يُعرّف الله عز وجل الخصمين المتنازعين بقبائح أفعالهما، وما يكون من تظالمهما؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: كذلك الله عز وجل يُوقِفُ كلا على فعله، ويحاسبه على عمله، وينصف المظلوم من ظالمه.

(١) سقط من (أ): من ضل إذا اهتديتم، يريد سبحانه: أنه لن يضركم.

(٢) في (ب): وضرها.

ألا تسمع كيف يقول عز وجل ويخبر عما يتكلم به الظالمون، حين يقولون: ﴿يَوَيْلَ لَنَا مَالٌ هَذَا الْكَتَبُ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ (١١) ﴿[الكهف: ٤٦]﴾. ويقول عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (١٢) [الأنبياء: ٤٧].

٢٠٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخِرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم عليه السلام، فقال: كذلك أمر الله لا شريك له، كما قال لكل من آمن، أو حضره الموت فأوصى: أن يشهد على وصيته ذوي عدل من المؤمنين، فإن لم يمكنه من يشهده فأشهد^(١) من غيرهم من أمكنه، فإن رتب بهما وأتاهما^(٢)، أقسما وحلفا - كما قال الله سبحانه لا شريك له - على شهادتهما لا^(٣) يشترىان بشهادتهما ثمنا^(٤) ولا يأخذان عليها جعلا.

٢٠٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ (١٣) ﴿[المائدة: ١٠٩] ؟

(١) في (أ)، (ب): يمكنهم من يشهد فاشهدوا. مصحفة.

(٢) في (ج): ريب بهما ولهما.

(٣) في (أ)، (ب): ألا.

(٤) في (ج): شيئا.

قال محمد بن يحيى عليها السلام ^(١): معنى قوله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾، فهو: يوم القيامة وهو اليوم الذي قال الله عز وجل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]. فيحضر عز وجل أنبياءهم وأممهم، ثم يقول سبحانه ^(٢) لهم عندما يكون من تغيير الأمم وأفعالهم ^(٣)، خلاف ما أعطوا أنبياءهم من أنفسهم، وأبانوه من علانيتهم، عند كشف سرائرهم، وتوقيفهم على أعمالهم، التي خالفوا فيها ما كان من ظاهرهم، فيقول تبارك وتعالى لأنبيائهم: ما هذا أجبت، أي ليس هذا الفعل الذي أعاقبهم عليه، وأجزيتهم فيه، الذي أعطوكم من أنفسهم، ولم يفوا بما أظهروا لكم من ألسنتهم، بل كانت له أعمال دون ذلك، فيقول الأنبياء صلوات الله عليهم ^(٤): سبحانه ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. أرادوا بذلك: أنه لا علم لهم بضمائرهم، ولا ما استجن في قلوبهم، ولم يكن عندهم من العلم إلا ما أظهروا من أنفسهم، ولا يعلمون منهم إلا ما كان يظهر من قولهم، الذي كانوا يبدونه لأنبيائهم، وهو ظاهر الأمور لا باطنها.

ألا ترى كيف يقولون: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾. فهذا دليل على أن الله عز وجل أعلم أنبياءه بما كان في ضمائرهم من أرسلهم إليهم، إذ سأهم عند ^(٥) معاقبته لهم مما لا علم لهم به.

وأما ما يقول به من لا علم ^(١) له أنه سأهم يوم القيامة سبحانه عن مطيعي أمتهم فأنكروه ولم يعرفوه، فعلى ما أحضرهم عز وجل شهودا، إذا ^(٢) كانوا لا يعرفون

(١) في (أ)، (ب): رضي الله عنه.

(٢) سقط من (ج): سبحانه.

(٣) في (ج): وفاعلهم.

(٤) في (أ): عليهم السلام.

(٥) في (أ): كان من ضمائرهم أن سأهم عند. وما أثبت اجتهد وتلفيق من الجميع.

من أطاعهم في عصرهم، فهذا ما لا يقول به أحد يميز، وليس القول فيه إلا القول الأول، الذي قلنا.

وقد قيل في ذلك: عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩] ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ، فيقول ماذا أجبتكم﴾. فقال: يقول ماذا أجابكم قومكم؟ وهذا في بعض مواطن القسيامة، ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾. من شدة هول المسألة، وهول ذلك الموطن، ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾.

ثم رجعت إليهم عقولهم، فشاهدوا على قومهم أنهم قد بلغوهم الرسالة^(٣). وهذا قول ليس هو عندي بثابت، بل هو مدخول.

(١) في (ج): لا معرفة.

(٢) في (أ): إذ.

(٣) أخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، من طريق الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فيقول ماذا أجبتكم قالوا لا علم لنا﴾ قال: فرقا تذهل عقولهم، ثم يرد الله عقولهم إليهم، فيكونون هم الذين يسألون يقول الله: ﴿فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين﴾ [الأعراف: ٦].

وأخرج ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن الحسن في قوله: ﴿فيقول ماذا أجبتكم قالوا لا علم لنا﴾ قال: من هول ذلك اليوم.

وأخرج أبو الشيخ، عن زيد بن أسلم قال: يأتي على الخلق ساعة يذهل فيها عقل كل ذي عقل، ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾.

وأخرج الفريابي، وعبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن مجاهد في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فيقول ماذا أجبتكم﴾ فيفزعون فيقول: ماذا أجبتكم؟ فيقولون: لا علم لنا، فيرد إليهم أفئدتهم فيعلمون.

وأخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، عن السدي في قوله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فيقول ماذا أجبتكم قالوا لا علم لنا﴾ قال: ذلك أنهم نزلوا منزلا ذهلت فيه العقول، فلما سئلوا قالوا: لا علم لنا، ثم نزلوا منزلا

وكيف يحزن أولياء الله ورسله المطهرون في ذلك اليوم؟! والله سبحانه بخير بأن المؤمنين الذين آمنوا في ذلك اليوم غير محزونين ولا خائفين، وذلك قوله عز وجل: ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿١٠٣﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

فكيف يحزن من تتلقاه الملائكة عند خروجه من قبره، تبشره بالرضا من الله عز وجل؟ والجنة وحسن الثواب، والأمن من أليم العقاب. والقول الأول الذي قلنا به في صدر جوابنا هذا هو أقرب إلى الحق، وهو الصواب عندنا، وبالله نستعين على طاعة خالقنا، ^(١).

٢٠٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِذْ أَيْدَتْكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠]. فقلت: ما معنى روح القدس؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هو الروح المطهر الزكي المكرم، فلما أن أیده الله به ^(٢) كان فضلاً منه سبحانه عليه، وتعظيماً لعيسى صلى الله عليه وآله، وقد قيل: إنه جبريل صلى الله عليه وآله ^(٤) أیده الله به عز وجل وأعانه به على أهل الكيد له والطلب لتلفه.

وأما ما سألت عنه من قوله عز وجل: ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ [مريم: ٢٤]، فقد تقدم تفسيرها إليكم.

٢٠٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]؟

آخر فشهدوا على قومهم. الدر المنثور ٢٢٧/٣.

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) سقط من (ج): الله به.

(٣) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٤) في (ج): إن جبريل. وفي (أ)، (ب): عليه السلام.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْخَوَارِجِ﴾ هو: ما أوحى عز وجل إلى عيسى صلى الله عليه وآله وسلم، من الأمر لهم والنهي والدعاء إلى الله عز وجل، فلما كان ذلك إليهم جاز أن يقول: ﴿أَوْحَيْتُ﴾، لأن الأمر والنهي كان فيهم ولهم^(١).

٢١٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُ يَلْعَسِي أَبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ [المائدة: ١١٢] ؟ [

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد سئل جدي القاسم عليه السلام عن هذه المسألة، فقال: معنى ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾، يقولون: هل ذلك مما يجوز طلبنا له؟ والحواريون فلا يشكّون ولا ينكرون في أن الله سبحانه^(٢) يستطيع ويقدر، والشك في هذا كفر بالله عز وجل، فهل يتوهم على الحوارين الشك في قدرة الله عز وجل؟!]

وقال: ﴿يَسْتَطِيعُ﴾ يقرأ بالياء، ولا يقرأ بالتاء.

٢١١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ١١٥]. فقلت: هل أنزلها عليهم أم لا ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: بل قد أنزلت عليهم، ألا تسمع كيف يقول عز وجل^(٣) وقوله الحق: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ﴾.

ومعنى قولها^(٤): ﴿عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [المائدة: ١١٤]، وإنما سألوا أن تكون لهم المائدة عيداً، فكان ذلك يوم عيد من أعيادهم، فقالوا: ﴿لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾،

(١) في (أ): عليه السلام.

(٢) في (أ): لهم ومنهم. وفي (ب): لهم وفيهم.

(٣) في (ج): فلا ينكروا ولا يشكوا في أن الله يستطيع. وسقط من (أ): في.

(٤) سقط من (أ): عز وجل.

(١)، أرادوا جميعهم، والأول منهم فهو نُبُلُهُم المقدمون، والآخر المؤخر فهو: الأوسط منهم التابع للأول، وهذا موجود في لغة العرب، يقول بلغت الرسالة أولهم وآخرهم، يريد بقوله ذلك أي: جميعهم، ويقول القائل: خرجوا عن آخرهم، يريد بقوله: ذلك أي: جميعهم، فهذا من الكلام (٢) حسن جميل جائز، وقد قيل: إنها لم تنزل عليهم (٣)، وليس ذلك (٤) عندي كذلك، لأن الله سبحانه يقول: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ﴾. وقوله الحق، ووعد الصديق، تعالى علواً كبيراً.

٢١٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي آلِهَتَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: قد سئل عن هذه المسألة جدي القاسم عليه السلام، فقال: هذا تسييح وإكبار لله جل جلاله (١) عن أن يقول في ذلك على الله ما كان (٢) وما يكون، يقول: إفك مفترى مكذوب، لا يصح فيه أبداً قول في

(١) في (أ)، (ب): قوله. والضمير في: قولها، عائذ على الحوارين.

(٢) سقط سهواً من (ج): ما بين القوسين.

(٣) في (أ)، (ب): عن آخرهم وهذا الكلام.

(٤) أخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري، عن الحسن قال: لما قيل لهم: ﴿فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً﴾ قالوا: لا حاجة لنا فيها، فلم تنزل عليهم. الدر المنثور ٢٣٧/٣.

(٥) سقط من (ج): ذلك.

(٦) في (أ): له وإكبار لله عز وجل عن. وفي (ب): جلاله عن أن يحويه قول أو يناله، عن.

(٧) في (أ): الله سبحانه على ما كان.

فطرة، ولا يقوم في سليم من عقل ولا فكرة^(١)، فقال صلى الله عليه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]. فأنبأهم صلى الله عليه^(٢) أنه عبد له كما هم كلهم جميعاً لله عز وجل^(٣) عبيد، وأخبر الله سبحانه من قوله في ذلك بما لا تنكره النصارى كلها، وإن اختلفت في أديانها، وفرقتها البلدان في كل مفترق من أوطانها، لما رأوا منه عياناً وأيقنه من غاب عنه منهم إيقاناً، من عبادته عليه السلام الله^(٤)، واجتهاده في طاعة الله عز وجل، فكان في^(٥) ما عاينوا من مشاهدته لهم في الخلقة، دليل مبين على أنه عبد لله، يجري عليه من حكم الله في^(٦) أنه عبد لله ما جرى عليهم، بما بان من أثر تدبير الله وصنعه فيه وفيهم.

٢١٣- وسألت عن قول الله سبحانه^(٧) في ما يذكر عن إبراهيم صلى الله عليه^(٨) حين يقول: ﴿رَبِّ انْهَنِّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]؟ قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد إبراهيم صلى الله عليه^(٩) بقوله: ﴿أَضْلَلْنَ﴾^(١٠)، يعني: الأصنام التي اعتكف عليها الجهال واتخذوها آلهة من دون الرحمن^(١١)،

(١) في (أ): عقل سليم ولا فكرة.

(٢) في (أ): عليه السلام.

(٣) سقط من (ج): كلهم جميعاً لله عز وجل.

(٤) في (أ): لله سبحانه.

(٥) سقط من (ج): عز وجل. وفي (أ)، (ب): وكان.

(٦) في (أ)، (ب): الله عز وجل أنه.

(٧) في (أ): عز وجل.

(٨) في (أ): عليه السلام.

وجهلوا في فعلهم، وتبعوا فعل من مضى من أسلافهم، أهل^(٤) الجهل والعمى، والميل عن طريق الهدى، ثم قال صلى الله عليه^(٥): ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾. يقول: على ملتي وديني^(٦)، ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، أراد بقوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٧) صفة لله سبحانه بالمغفرة والرحمة، والرافة والمنة، على من آب^(٨) إليه راجعاً عن معصيته، تائباً من ذنبه.

ومن سورة الأنعام

٢١٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ [الأنعام: ٦]، فقلت: ما تأويل القرن، وذكرت أنه يقال عندكم: ثمانون سنة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: القرن: الخلف الذي يكون بعد الأول الثاني^(٩)، فأما ما يقال به من ثمانين سنة^(١٠) فليس ذلك بشيء، لأننا قد رأينا قوماً يزيدون

(١) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٢) في (أ): أضلل كثيرا من الناس.

(٣) في (أ): واتخذت آلهة من دون الرحمن عز وجل.

(٤) في (ج): وتبعوا من مضى من سلفهم. وفي (أ): من أهل.

(٥) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٦) سقط من (ج): يقول على ملتي وديني.

(٧) سقط من (أ)، (ب): أراد بقوله: ﴿غفور رحيم﴾.

(٨) في (أ)، (ب): تاب.

(٩) أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي مالك في قوله: ﴿من قرن﴾ قال: أمة.

(١٠) أخرج عبد الرزاق، والفريابي، وهناد، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، عن سالم بن أبي الجعد

قال: سألت علي بن أبي طالب هلالاً الهجري: ما تجدون الحقب في كتاب الله؟ قال: نجد ثمانين سنة، كل سنة

على الثمانين في عصر واحد، ولكن القرن: ما خلف من قد مضى، ويقال: القرن
لأنهم غير الأولين، فسبحان الله العظيم^(١) رب العالمين، وفي ذلك ما يقول الشاعر:
إذا ذهب القرن الذي كنت فيهم وخلفت في قرن فأنت غريب^(٢)

٢١٥- وسألت متى يقسم مال المفقود ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يقسم مال المفقود إذا مضى عليه من السنين ما لا
يجوز أن يبلغه أحد من أهل دهره، فإذا مضت السنين التي لا يمكن أن يبلغها
المفقود اقتسم ماله.

٢١٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ
كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٠] ؟

منها اثنا عشر شهراً، كل شهر ثلاثون يوماً، كل يوم ألف سنة.

وأخرج سعيد بن منصور، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود في قوله: ﴿لاثنين فيها أحقاباً﴾ قال: الحقب
ثمانون سنة.

وأخرج البزار، عن أبي هريرة رفعه ﴿لاثنين فيها أحقاباً﴾ قال: الحقب: ثمانون سنة.

أخرج هناد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن أبي هريرة ﴿لاثنين فيها أحقاباً﴾ قال: الحقب
ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوماً، واليوم كألف سنة مما تعدون.

وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير مثله.

وأخرج عبد بن حميد، عن أبي هريرة ﴿لاثنين فيها أحقاباً﴾ قال: الحقب ثمانون عاماً، اليوم منها كسدس
الدنيا. الدر المنثور ٨/٣٩٥.

(١) سقط من (أ): العظيم.

(٢) البيت لأبي العتاهية، بلفظ:

إذا مضى القرن الذي كنت فيهم

.....

انظر ديوانه.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: الذين أوتوا الكتاب فهم: اليهود والنصارى، وهم يعرفون محمداً صلى الله عليه وآله وسلم، ويثبتون صفته، ويقفون على صحة أمره، وما أمروا به من طاعته، كما يعرفون أبناءهم، مشروح ذلك في كتبهم، مبين لهم، ولكن جحدوا ما عرفوا، وأنكروا ما علموا، فضلوا وخسروا، ذلك هو الخسران المبين.

٢١٧- وسألت عن قول الله سبحانه في سورة الزمر^(١): ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]^(٢)؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: صدق الله العظيم^(٣)، إن الخاسرين الذين خسروا ما ذكر من^(٤) أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، بتفريطهم^(٥) فيما ينجيهم، وتركهم النظر لأنفسهم في ما يحييها، ومن عذاب ربها ينجيها، حتى خسروا أنفسهم، وصاروا إلى جهنم وبئس المصير، ومعنى ﴿وَأَهْلِيَهُمْ﴾ فهو ما جعله^(٦) الله سبحانه لهم على الطاعة، من الحوريات والخلد والنعيم، الذي جعله لجميع المخلوقين ثواباً على طاعتهم، فلما أن عصوا الله عز وجل وآثروا دنياهم، واختاروا حلاوة فسقهم، خسروا أنفسهم وأهليهم، ثم قال سبحانه^(٧): ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ

(١) سقط من (ج): في سورة الزمر.

(٢) في (ج): أورد الآية هكذا: ﴿الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون﴾.

(٣) في (ج): عز وجل.

(٤) سقط من (أ)، (ب): ما ذكر من.

(٥) في (أ): خسروا بتفريطهم.

(٦) في (ج): معنى. وفي (أ): هو ما جعله.

(٧) سقط من (ج): سبحانه.

الْمُبِينُ ﴿١﴾. تأكيداً في الخسران ^(١)، وتقريعاً على التقصير، لأنه خسران لا يجتبر، إذ كل خسران في الدنيا يستلحق ويدرك ويستعاض، إلا من خسر بتقصيره نفسه، فأوردها جهنم وترك ما أعد الله عز وجل على طاعته، مما ذكر سبحانه للمطيعين من الجنان، والرضى والرضوان، والخور الحسان، وذلك الفوز العظيم، والمحل الكريم، ومثل ذلك فليعمل العاملون، وله فليقصد ^(٢) الطالبون.

وقلت: إنه يقال: ما من مؤمن ^(٣) ولا كافر إلا وله منزلة في الجنة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أما الكافر فليس له منزلة ولا ^(٤) كرامة، ولا مرتبة عند الله سبحانه ولا سلامة، والله سبحانه ^(٥) فإنما خلق الخلق جميعاً ليعبدوه، فقال جل ذكره: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. فجعل الجنة للمطيعين، والعقاب للعاصين، ولو قبلوا ما تُعبدوا به كما قبله ^(٦) المؤمنون لكانوا من المثابين، وعند الله عز وجل من المكرمين، بل غلبت عليهم شقوتهم، وتركوا أفضل المنازل لشرارتهم ورداوة أفهامهم، وإنما هلكوا بنفوسهم، ولم تأتهم الهلكة من ربهم، بل أعذر إليهم وأنذر، وأوضح ^(٧) وبيّن، وكلف وسهل وبذل المغفرة وأمهل، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢].

(١) في (ج): الخسران المبين.

(٢) في (ج): فيقصد.

(٣) في (ج): وقلت: إنه صلى الله عليه قال: ليس من مؤمن.

(٤) في (أ)، (ب): فلا شيء له، ولا.

(٥) في (ج): عز وجل.

(٦) في (ج): قبلوا.

(٧) سقط من (ج): وأوضح.

٢١٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ (١١) [الأنعام: ٢٢]. فقلت: ما معنى مسألة الله عز وجل لهم؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام^(١): معنى قوله عز وجل: ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمْ﴾: تبيكيت لهم وتقريع وإذلال، عندما تنقطع بهم الأسباب، ويعاينوا ما كذبوا به من أليم العذاب، لأنهم كانوا يساؤون الله عز وجل بخلقه، ويعبدون الأصنام، ويوقدون النيران، ويرون ذلك عندهم حسناً جائزاً.

ومن الشركاء أيضاً: طاعة الجبارين الظلمة المتمردين، فيشركونهم^(٢) ويجعلون لهم من الطاعة ما لله عز وجل، فيبتغون^(٣) منهم الرضا، ويتبعون في ذلك الغي والهوى، ويتركون عياناً رشدهم، مصدقون لهم في كفرهم، مستمعون من كلامهم، حتى ضلوا وهلكوا، وعن سبيل الحق يقيناً عدلوا، فأصبحوا من المعذنين، وعند الله سبحانه من الهالكين. ألا تسمع كيف يقولون^(٤): ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ويقولون^(٥) عندما يرون العذاب: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ (٦) [الأحزاب: ٦٧]. وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضِلَّوْنَا مِنَ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ جَعَلَهُمَا نَحْتًا وَقَدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٧) [فصلت: ٢٩]. فكل ذلك ندم وأسف على ما فاتهم من التعلق بالحق، والميل عن طريق الصدق، بغرور^(٨) ما كانوا يعبدون، وخديعة ما كانوا

(١) في (أ): رضي الله عنه.

(٢) في (ج): فيشركونهم.

(٣) في (أ): ويبتغون.

(٤) في (أ)، (ب): ما يقول سبحانه.

(٥) في (أ): فيقولون.

(٦) في (ج): طرق الغرور. وفي المخطوطات: في طريق. وما أثبت اجتهاد.

يطيعون، وأما قولهم: ﴿وَاللَّهُ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فإنما ذلك كذب منهم وكلام عند معاناة العذاب، يرجون به ما لا ينالون جهلا منهم وإيقانا بالعقاب^(١)، وتقطعا من الأسباب، لقيح ما عاينوا^(٢) في الآخرة من المآب، جهنم يصلونها فيئس المهاد.

٢١٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ [الأنعام: ٣٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام^(٣): هذا تسهيل من الله سبحانه على نبيه صلى الله عليه لما علم من غمه بإعراض الخلق عن الله، ومعصيتهم له، ومخالفتهم لحكمه، فلما كبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه، وعظم عنده إعراضهم عن الله، واشتد عليه ما يرى من شرارتهم، قال الله سبحانه: ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ﴾. والنفق فهو: محتفر^(٤) في الأرض، ﴿أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ﴾، يقول: أو ترقا^(٥) في السماء فتأتيهم بآية، وهذا غاية الاجتهاد، الذهاب في الأرض والسماء، فقال سبحانه^(٦): إنك قد جئتكم من الآيات والعلامات، والحجج الواضحات الباهرات، بما في أقل منه يؤمن^(٧) من كان له قلب أو معرفة، ولم يترك غاية في حرص ونصيحة، واجتهاد وموعظة، فما تريد أن تعمل بهم بعد

(١) في (أ): بالعذاب. وسقط سهوا من (ب): يرجون به ما لا ينالون جهلا منهم وإيقانا بالعقاب.

(٢) في (أ): لقيح. وفي (ج): ما عاينوه.

(٣) في (أ)، (ب): رضي الله عنه.

(٤) في (أ): المتحفر.

(٥) في (أ)، (ب): ترقا.

(٦) سقط من (أ): سبحانه.

(٧) في (ج): يوقن.

ذلك؟! أتذهب ^(١) في الأرض أو في السماء؟! ولن ^(٢) تقدر على ذلك، ليس عليك من الأمر إلا ما قد فعلت، ألا تسمع كيف يقول مشركوا قريش: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ [الإسراء: ٩٣]. فذكروا أنه لو رقى في السماء لن يؤمنوا ^(٣) لشدة كفرهم، وعظيم عنادهم.

٢٢٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨] ؟

وقد تقدم تفسيرها إليكم في مسائلكم الأولى، والله سبحانه باعث جميع خلقه، كما ذكر في كتابه.

وقلت: هل في الجنة خيل وإبل ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه ^(٤): إن يكن لأهل الجنة فيها طربة وشهوة ^(٥)، فسيجعلها الله لهم، كما قال سبحانه: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزخرف: ٧١]. فكلما أحبوا أحضر لهم ^(٦)، أو وقع في نفوسهم ^(٧) تصور من ساعته لهم على قدر مرادهم، كرامة منه سبحانه لهم، وجزاء على فعلهم، فهذه المنزل العظيمة، والدار الكريمة، التي يرغب فيها من عقل، وينافس فيها من فهم، نسأل الله حسن الاستعداد ليوم الحساب، فإنما نحن له وبه.

وقلت: هل في النار عقارب وحيات ؟

(١) في (ج): يريد أن يعمل بهم بعد ذلك؟ الذهب.

(٢) في (ب): وليس.

(٣) في (أ)، (ب): لم يؤمنوا به.

(٤) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى رضي الله عنه.

(٥) في (أ): طرب وشهوة.

(٦) في (أ): أحضره الله لهم.

(٧) في (ج): ووقع في أنفسهم.

وقد قيل بذلك^(١)، وروي: أن الله سبحانه^(٢) يجعلها عذاباً لأهل النار، وغير مستنكر أن يجعل الله ذلك لهم، لأن في النار ما هو أشد منها عذاباً وأشد تنكيلاً، من سلاسلها وأغلالها ومقامعها، وانطباق لهبها على من صار إليها، وفي ذلك عقاب أليم، وعذاب عظيم، فشرابهم الحميم، وطعامهم الزقوم، لا^(٣) يشبع ولا يغني من جوع، في الذل الهوان، والذلة^(٤) والصغار، يدعون فلا يجابون، ويسترحمون فلا يرحمون، ويستقبلون فلا يقالون، قد تقطعت بهم الأسباب، وصاروا إلى شر محل ومآب الجمر يفترشون، واللهب يلتحفون، وبألوان العذاب

(١) عن عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن في النار حيات كأمثال أعناق البُخت تلسع إحداهن اللسعة فيجد حرها سبعين خريفاً، وإن في النار عقارب كأمثال البغال الموكفة تلسع إحداهن اللسعة فيجد حمومها أربعين سنة. رواه أحمد، والطبراني، من طريق ابن لهيعة عن دراج عنه. ورواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم من طريق عمرو بن الحارث، عن دراج عنه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وعن يزيد بن شجرة قال: إن لجهم لجبابا، في كل حب ساحلا كساحل البحر، فيه هوام وحيات كالبيخاتي، وعقارب كالبيغال الذل، فإذا سأل أهل النار التخفيف، قيل: اخرجوا إلى الساحل فتأخذهم تلك الهوام بشفاههم وجنوحهم، وما شاء الله من ذلك فتكشطها فيرجعون فيبادرون إلى معظم النيران، ويسلط عليهم الجرب حتى إن أحدهم ليحك جلده حتى يبدو العظم فيقال: يا فلان هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم، فيقال له: ذلك بما كنت تؤذي المؤمنين. رواه ابن أبي الدنيا.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿زدناهم عذابا فوق العذاب﴾، قال: زيدوا عقارب أنيابها كالنخل الطوال. رواه أبو يعلى، والحاكم موقوفاً، وقال: صحيح على شرط الشيخين. الترغيب والترهيب ٤/ ٤٧٦.

(٢) سقط من (ج): سبحانه.

(٣) في (ج): ولا.

(٤) في المخطوطات: القلة. وصرح في (أ): بما أثبت.

يعذبون، ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٥٦].

قد علت أنفاسهم، واشتدت زفرائهم، ونضجت جلودهم، واسودت وجوههم، في الكربات دأبون، وفي الخزي مقيمون، ولهول البلاء هم كالحون، قد أبسلوا بحسرة نفوسهم^(١)، وأيقنوا بالخلود في عذاب ربهم، فعظمت الحسرة، واشتدت النعمة، وزاحت عنهم النعمة، فلا يرون أبداً راحة، ولا يذوقون في عذابها^(٢) فترة، أدمغتهم في رؤوسهم تغلي، والصديد من^(٣) أبدانهم يجري، لباسهم القطران، تلهبه عليهم النيران، مقرنون في الأصفاد، معذبون بأنواع العذاب، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]، لا يستريحون ساعة فيسلون، ولا يجدون نعمة فيلهون، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ۖ وَصَحْبَيْهِ وَآخِيهِ ۖ وَقَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ۖ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ۖ كَذَّٰبٌ﴾ [المارج: ١١-١٥].

أكسبهم ذلك شهوات غفلتهم، وتضييع العمل في أيام مهلتهم، والتكذيب بما أوعده به ربهم، والطاعة للمتمردين الظلمة من أهل دهرهم، آثروا أياماً تفتي^(٤) وتزول، ودنيا متغيرة تحول، فصاروا في ذلك إلى طول البلاء، ومقاساة الشقاء، الذي لا انقطاع له ولا فناء، أولئك الذين خسروا أنفسهم، وأخذوا بذنوبهم، حيث ﴿لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۖ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩].

(١) في (ج): أنفسهم.

(٢) في (ج): عذابهم.

(٣) في (ج): الصدود. مصحفة. وفي (أ): والصديد في.

(٤) سقط من (ج): تفتي.

٢٢١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَآخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام^(١): الأمم الذين كانوا قبله^(٢) عليه السلام، فهو مثل من^(٣) كان من أمة إبراهيم، وأمة إسماعيل، وأمة موسى وأمة^(٤) عيسى، ومن كان مثلهم من الأمم الخالية، الذين أرسل الله سبحانه إليهم رسله، معذرين ومنذرين، ومعلمين^(٥) من الجهالة، ومنقذين من الهلكة، فلما كانت منهم القسوة والصدود، والميل عن الحق والعنود^(٦)، أخذهم الله عز وجل بالبأساء والضراء، والبأساء فهو: ما كان^(٧) من عقابه وانتقامه من أعدائه، وما كان^(٨) يحل بهم من خسف وقذف بالحجارة، وقتل بالسيف، ومسح وإهلاك، فكان هذا من البأساء^(٩) ومثله كثير.

والضراء فهو: من جنس البأساء، ومن الضراء أيضاً: نقص الأموال والأنفس والثمرات، والجوع والحشرات، فكل ذلك ليرجعوا إلى الله عز وجل ورسله عليهم السلام، ويصدقوا بالحق ويؤمنوا به، فمنهم من يؤمن فيحكم له بالنجاة، ومنهم من

(١) في (أ)، (ب): رضي الله عنه.

(٢) في (أ): فيه. مصحفة.

(٣) في (أ): ما.

(٤) سقط من (أ): وأمة.

(٥) في (ج): والمعلمين.

(٦) في (أ): عن الحق والميل والعنود.

(٧) في (أ): يكون.

(٨) سقط من (أ)، (ب): كان.

(٩) في (ج): البأساء والضراء.

يستعصم^(١) في كفره ويدوم على شرته، فيترل به البلاء، وتتراصف عليه النقم، فيكون ذلك عيرة لمن بعدهم، وإهانة وتخويفاً لهم، وردعاً للمتخلف، ومانعاً من الزيف والتكلف، فيكون^(٢) في ما نبههم الله به، وعرف به مستهم^(٣) نعمة وفلاحاً، وسلامة وصلاحاً^(٤)، وما ربك بظلام للعبيد.

٢٢٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقَ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد الله عز وجل نهيهم عن قتل أولادهم، (ومنعاً لهم عن الظلم والتعدي عليهم، وذلك أن الجاهلية كانوا يقتلون أولادهم) خشية إملاق^(٥)، والإملاق فهو: الفقر.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩]. وذلك أنهم كانوا يثدون^(٦) أولادهم، والوَأْدُ فهو: الدفن، فكان أحدهم إذا ولد له ولد^(٧)، وليس له مال، خشي عليه الفقر، فوَأَدَ^(٨) ولده، فنهاهم الله عز وجل عن ذلك فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَقَ نَحْنُ

(١) في (أ): يستعظم.

(٢) في (ج): فيكونون.

(٣) في (أ)، (ب): مشيتهم. وفي (ج): مستهم. وما أثبت اجتهاد.

(٤) في (أ)، (ج): وفلاح وسلامة وصلاح.

(٥) في (ج): الإملاق. وسقط من (ج): ما بين القوسين.

(٦) سقط من (أ)، (ب): كانوا.

(٧) في (أ)، (ب): إبنة ... عليها الفقر.

(٨) في (أ): فَوَادَ. وفي (ب)، (ج): فَأَوَدَ. وما أثبت اجتهاد.

نَرَزُّهُمْ وَإِيَّاكُمْ. فأخبرهم سبحانه أنه الرازق لهم ولأولادهم، ونهاهم عن قتلهم.

ثم قال: ﴿إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾^(١). يقول: خطأ، وفعلًا عظيمًا، أنتم به مأثومون، وعليه معاقبون.

٢٢٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٣]. فقلت: هل كان ينفعهم التضرع، إذ^(٢) رأوا البأس؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لو لا أن الله سبحانه قد علم أن تضرعهم ينفعهم، ما قال: ﴿تَضَرَّعُوا﴾، فأعلمهم بقسوة قلوبهم، ولو تضرعوا وتابوا لقبل توبتهم، ورفع العذاب عنهم، ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم يتضرعوا، ولا إلى الله سبحانه من ذنوبهم رجعوا، بل مضوا في خطاياهم، وأصروا على كفرهم، حتى أنزل الله سبحانه العذاب بهم، فكان^(٣) ذلك من تزيين الشيطان، فاستحقوا من الله عز وجل الخذلان، وقد نفع قوم يونس التضرع، حين أقبل العذاب وعاینوه، فأخلصوا^(٤) عند ذلك لله عز وجل^(٥)، قلوبهم، وعلم^(٥) صحة التوبة منهم فدفعه عنهم^(٦).

٢٢٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩]؟

(١) في (أ)، (ب): إذا.

(٢) في (أ): وكان.

(٣) في (ج): وأخلصوا.

(٤) سقط من (أ): لله عز وجل.

(٥) في (أ): وعلم الله سبحانه.

(٦) في (أ): فرفعه.

قال محمد بن يحيى عليهما السلام ^(١): كذلك حكم الله عز وجل في أعدائه، إذا جاء يوم الفتح عليهم، والنصر منه فيهم، فلم ينفعهم عند العدو منه ^(٢) عليهم توبة، ولم يقالوا زلة.

ألا تسمع كيف يذكر الله سبحانه عنهم في ما كانوا يقولون إذا أخبرهم رسول الله صلى الله عليه بفتح: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [السجدة: ٢٨]، يقولون ذلك للنبي صلى الله عليه ^(٣) وللمؤمنين استبطاء منهم، وتكذيبا به، فأخبرهم عز وجل أن يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم عند الظهور عليهم، وهو فتح مكة الذي وعد الله به نبيه صلى الله عليه ^(٤). وقد قيل في ذلك ^(٥): إن يوم الفتح هو يوم إهلاك ^(٦) الله لهم، وإنزاله الموت بهم ^(٧).

وقيل أيضا ^(٨): إنه يوم القيامة ^(٩)، والقول الأول أصوب وأصح ^(١٠)، لأنه إنما تقبل التوبة من قبل المقدرة.

(١) في (أ)، (ب): رضي الله عنهما.

(٢) سقط من (ج): منه.

(٣) في (أ)، (ب): عليه السلام.

(٤) في (أ): الله عز وجل نبيه به عليه السلام. أخرج ابن مردويه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾، قال: فتح مكة ((الدر المنثور ٥١٠/٧.

(٥) سقط من (أ)، (ب): في ذلك.

(٦) في (أ): يوم هلاك.

(٧) أخرج الحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس في قوله: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾ إن كنتم صادقين ﴿ قال: يوم بدر فتح النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم ينفع الذين كفروا إيمانهم ﴿ بعد الموت. الدر المنثور ٥٥٧/٦.

(٨) في (أ): وقد قيل.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٣٤]. فجعل التوبة لهم من قبل المقدرة، ولم يجعلها عند المقدرة عليهم، بعد رد الحق والصدق عنه، فلما كان السيف قائما والحرب ثابتة، فليس إلا القتل لأعداء الله، فأما إذا وقعوا في الأسر فليس يحل قتلهم، ولا يسع عند الله سبحانه إهلاكهم، إلا أن يقاتلوا وهم مأسورون فتحل بذلك دماؤهم، وفي قتال الظالمين سيرٌ مذكورة، وأخبار صحيحة، فمنهم من يقتل أسيره، ومنهم من لا يقتل، وكل ذلك بين عند أهل العلم والفهم، واضح عند من شرح الله صدره، ونور بالحكمة قلبه.

وقلت: إن خرج أهل القرية المحاصرون، مستأمنين إلى الإمام من قبل أن يدخل عليهم قريتهم، ويعلو بالسيف رؤوسهم، فإذا ^(١) خرجوا إليه قبل ذلك منهم، ووجب ^(٢) عليه الأمان لهم، والحقن لدمائهم، لا يجوز له غير ذلك، ولا يسعه عند الله إلا فعله، فإن قتلهم من بعد أن خرجوا إليه من مدينتهم، تائبين مستأمنين، فقد ظلم وتعدى، وخرج من الصواب، وصار من الجهل إلى شر مآب.

وقلت: فإن أعطاهم بعض من معه الأمان، هل يجوز له بعد ذلك قتالهم وقتلهم وأخذ أموالهم؟

وهذا ما ^(٣) لا يجوز ولا يحل، ومن فعل ذلك من الأئمة فهو ظالم، لأن المؤمنين كما قال رسول الله صلى الله عليه: «المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم

(١) أخرج الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد في قوله: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ﴾ قال: يوم القيامة. الدر المنثور ٥٥٧/٦.

(٢) في (ج): أصح وأصوب.

(٣) في (أ): وإذا.

(٤) في (أ): ذلك وجب. وسقط من (ج): منهم.

(٥) سقط من (أ): ما.

أدناهم»^(١)، فإذا أَمَّنَ أهل دار الحرب رجلٌ من قواد الإمام، أو من أصحابه فقد حققت دماؤهم، ولا قتل عليهم، فإن قتلهم بعد أمان قائد الإمام، أو أحد^(٢) من أصحابه قاتل وقد علم بأمانه لهم، قتل من قتلهم، وإن لم يعلم القاتل أنهم أَمَّنُوا^(٣) وجب على الإمام أن يخرج دياتهم، لا يجوز له إلا ذلك ولا يسعه غيره، وسيرو الحرب دقيق علمها، غامض تفسيرها، لا يخلصها ولا يقوم بها، ولا بما أوجب الله سبحانه فيها، إلا أهل العلم والمعرفة، والديانة والبصيرة، فيكون يعمل بمعرفة، ويسير على أوضح طريقة، وأبعدها من لبسة.

وقلت: إن خدعهم بالأمان بالقول واللسان، وليس له في ذلك اعتقاد، ليخرجوا إليه من الحصار، هل يجوز له سفك دمائهم؟

وليس يفعل ذلك من الخلق إلا كافر ظالم غاشم، لأن ضمير أهل العدل وكلامهم سواء، وإذا قال بلسانه شيئاً فلا بد له من إمضائه وتنفيذه على ما تكلم به، لأن الخدع والكذب من أفعال الظالمين، المردة الجائرين، وهذا ما لا يجوز فيه التأويل، لأنه إذا قال: لكم الأمان. فهو الأمان، لا نكث له في وقت ولا أوان.

وقلت: إن قتلهم هل يكون ظلماً لهم؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن قتلهم من بعد ذلك فقد ظلمهم، وسار بسيرة الباطل فيهم، وحكم بغير ما أنزل الله عز وجل، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٤٣٣)، والترمذي برقم (٢٠٥٣)، والنسائي برقم (

٤٦٥٣)، وأبو داود برقم (١٧٣٩)، وأحمد برقم (٥٨١).

(٢) في (ج): وأحد.

(٣) في (أ)، (ج): أو منوا.

ولقد سمعت أبي الهادي عليه السلام، ونحن في الحرب، وقد خرج رجل من أصحابنا ^(١) فدعا رجلا من العدو وقال له: هلم إلي، فليس عليك بأس. فناداه الهادي عليه السلام، فلما جاءه، قال له ما أردت بالرجل حين دعوته، وقلت: لا بأس عليك؟ قال أردت أن أمكر به. فقال والذي نفسي بيده لو قتلته بعد هذا أو مكرت به، لضربت رقبتك، ولألحقتك به، أتعدر به من بعد أن توهمه ألا بأس عليه ^(٢) حتى يسترسل إليك؟

وكان صلوات الله عليه ^(٣) إذا أعطى أمانا قوما محاربين له، زالت الجبال من قبل أن يزول، بل يحفظهم في أموالهم، ويحوطهم في غفلاتهم، وفيء بدمته لهم. ولقد رأيته عليه السلام، وقد دخل عليه ^(٤) ظالم يقال له: ابن كباله، أحد عبيد أهل اليمن، وكان قد استأمن إليه ليغدر به، وصح له ذلك وأيقن به، فلما علم ذلك منه حذره صلوات الله عليه، فأدخله وقد ملأ الدار رجالا، فلما أن قعد ابن كباله، بين يديه عليه السلام أقبل يرتعد وأيقن بأن الهادي عليه السلام قد عرف أمره، وصح له خبره، وأيقن بالقتل وهو قاعد بين يدي الهادي إلى الحق عليه السلام، قد أدخله منفردا من أصحابه، وترك عسكره على الباب، فكتب رجل من قواد الهادي إلى الحق عليه السلام، رقعة ودفعها إليه يشاوره في قتل العبد، إذا خرج من عنده، فكتب صلوات الله عليه، في الرقعة قد صح لي ما هو عليه من الغدر، وأيقنت بما قدم فيه كما أيقنتم، ولكن لا أبدأه حتى يبتديني، ولا استحل ذلك في ديني، فإن أحد يده إليه قتلتها، ثم أذن للكلب فخرج، فلما أن صار خارجا مع أصحابه، أقبل

(١) في (أ): أصحابه.

(٢) في (أ)، (ب): به بعد أن توهمه ألا بأس عليك.

(٣) في (أ): عليه السلام.

(٤) سقط من (أ): عليه.

علينا بالحرب، فكان من الأمر ما لا أشك أنه قد بلغكم، وكفى الله شره. فما استحلت صلوات الله عليه أن يتدأه من بعد أن أيقن بغدره.

إن للأئمة عليهم السلام أزمة من الحق تزمهم عن معاصي الله، وتردهم إلى طاعته، لا يتغيرون عن^(١) الحق في رضا ولا سخط، ولا خوف ولا أمن، فرحمة الله وصلواته على الهادي إلى الحق ورضوانه ومغفرته، فقد عظمت علينا مصيبتة، وجلت لدينا رزيتة.

وسألت^(٢) عن أشياء كثيرة في الحرب بيننا لك بعضها، وبعضها أنت عنه مستغن، وإن^(٣) يظهر الله حقاً، فسوف يبدو لك من سنن المحقين، في قتال الظالمين، ما يبين به الحق، ويشهد لصاحبه بالصدق، نسأل الله العون والهداية، بمنه ورأفته. ولكل مسألة جواب، ولو علمنا أن بك فاقة، أو يلزمك إليه حاجة، لأجبنك في مسائلك، غضب من غضب، ورضي من رضي، ولبينا لك على شرحك، ولكن أنت بمعزل عن ذلك في وقتك هذا، ولم نجب أن نجيبك على كل ما سألت، لعل وأسباب. نسأل الله التوفيق للصواب، ولكل سيرة ومذهب، والقليل الظاهر يدل على الكثير الغامض، والشقي من أهلك نفسه، بالتقحم في ما لا ينفعه عند زبه، ولا ينقذه منه، فالزم بيتك ومن كان مثلك، ولا تتفرق بكم السبل، فإن الحق أبلج، والباطل لجلج، وما بقي لأحد من شك والله الحمد^(٤).

٢٢٥- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً

(١) في (ج): من.

(٢) في (أ): وقد سألت.

(٣) في (أ): مستغني فإن.

(٤) في (ج): والحمد لله.

فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ [الأنعام: ٤٤]. فقلت: كيف أخذهم بفرحهم بما آتاهم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: لم يأخذهم عز وجل بما تَوَهَّمَتْ، ولكن أخذهم سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، بذنوبهم. ألا تسمع كيف قال ^(١) عز وجل: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾. يقول: لما نسوا ما أمروا به، وبعثت الأنبياء عليهم السلام فيه.

ومعنى ﴿نَسُوا﴾ فإنما هو: تركوا وغفلوا وسهوا، فلما تركوا ما أمرهم الله عز وجل به، وأعرضوا عنه ونسوه، فتح عليهم سبحانه كما قال أبواب كل شيء يحسبون، لإقامة الحجة عليهم، فكان ذلك إملاء لهم، وتأخيرا لعقوبتهم، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. فكان ذلك إملاء لهم، وما فتح الله سبحانه عليهم أوكد في الحجة، وأشد للأخذ، وآلم للعقوبة، والله سبحانه فلا يخشى فوتاً ^(٢) ولا يعجل، وإنما يعجل من يخشى الفوت، أو يضره شيء فيتقيه، والله عز وجل فلا يضره شيء من معصيتهم، ولا تنفعه طاعتهم، بل هم ضارون في ذلك لأنفسهم، فلما أن فرحوا بما أوتوا وجعلوه في معاصي الله عز وجل، ونسوا ما أمرهم به، أخذهم سبحانه بغتة، وذلك أشد حسرة، يكون الأخذ على الغفلة، فإذا هم مبلسون، فانقطع عنهم اللهو والعبث واليسارة والغناء، وصاروا إلى الآخرة مبلسين، وعند الله عز وجل مهلكين.

والمبلس فهو: الذي ليس له ولا في يده شيء، العادم لما كان معه، الآيس مما كان يؤمله، فدامت ^(٣) حسراتهم، وحصلوا بذنوبهم ^(١) حيث ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا

(١) في (أ): يقول.

(٢) في (ج): فواتا.

(٣) في (ج): قد دامت.

إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴿[الأنعام: ١٥٨].

٢٢٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ٥١]، فقلت: كيف أمر أن ينذر به الخائف، دون الآخر؟ قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الإنذار فهو: التحذير مما أعد الله عز وجل للعاصيين، وحكم به على المخالفين، فقد أمره سبحانه أن ينذر خلقه أجمعين، فلما قبل قوم وأنكر آخرون، قال عز وجل: أنذر به الخائف إذ قد ^(١) غلب العاصي، فكان المنتفع به المصدق الخائف لله سبحانه فيه، وذلك موجود في اللغة، إذا وعظ رجل جماعة وفيها ^(٢) من لا يقبل عظته، قال: أعظ بها من يؤمن بالله سبحانه، يريد: إن لم يستمع ^(٣) هؤلاء المعرضون، انتفع به من كان من المؤمنين، فلما أن كان المعرضون عن الله، لا يذكرون حشراً، ولا يخافون وعيداً، وكان المؤمنون يخافون الله عز وجل ويخشونه، قال: أنذر به الذين يخشون. لما أن كان أولئك لا يحذرونه ولا يقبلونه، وقد كان إلى جميع الخلق كافة، وقد قال الله سبحانه: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ۖ فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۖ﴾ [١٢] إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهَلِّئًا ۖ ﴿١٣﴾ أَنْتَ مُنْذِرٌ مِّنْ يُحْشَلُهَا ۖ﴾ [الأنعام: ٤٢-٤٥]. فقال: ﴿مُنْذِرٌ مِّنْ يُحْشَلُهَا ۖ﴾، فأما من لا يخشاها فليس له في إنذاره حيلة لقلة قبوله، ومن لم يقبل الإنذار، فلم ينتفع به، وإذا لم ينتفع به فهو مقيم على غفلته، غير حذر ولا نذر لما ينذر به، فلم تبق التذكرة والتفهيم، إلا لمن قبلها وأخذ بحظه منها.

(١) في (ج): بنفوسهم.

(٢) سقط من (أ): قد.

(٣) في (أ): وكان فيها.

(٤) في (ج): يسمعه.

٢٢٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: معنى ﴿لَا تَطْرُدِ﴾ فهو: لا تبعد ولا تُقص (١)، فكان ذلك من الله تفهيماً لنبيه، وأمرًا بحفظهم، وردا على من سأل طردهم، ومحمد صلى الله عليه فلم يطرد أحدا، وإنما قالت له قريش لما دعاهم إلى الله سبحانه، فقالوا: كيف نؤمن يا محمد وقد سبقنا من ليس له قدر فينا ولا رياسة، من أوساط الناس وأتباعنا؟! فاطردهم، فإن طردهم آمننا بك، فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية تقريرا لهم، وردا عليهم، وأمرًا بخلاف قولهم، وشهد الله سبحانه لمن اتبع رسوله بالدين، وإخلاص النيات، فقال: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾. فأخبر أنهم يقصدونه ويطلبون ما عنده، فكان هذا مدحا لهم، وثناء عليهم، وذمًا لغيرهم، ثم أخبر نبيه عليه السلام أنه إن فعل ذلك كان من الظالمين، وهو صلى الله عليه فلم يكن ليفعل ذلك بالمؤمنين، بل كان شقيقاً عليهم، عارفاً بحقوقهم، وكانت مسألتهم هذه لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم كمسألة أصحاب نوح عليه السلام، حين سألوه طرد من كان معه من المؤمنين، حسدا لهم لما سبقوهم إلى الإيمان بالله عز وجل، ف ﴿قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، والأرذلون في اللغة فهم: الذين لا خطر لهم (٢)، ولا قيمة ولا رياسة، سقاط الناس ومن لا ينظر إليه منهم، فسموهم بهذا الاسم، احتقارا لهم، واستخفافاً بهم، وكانوا عند الله أفضل منهم وأعلى درجة، وأعظم مرتبة، فكان من (٣) قول نوح صلى الله عليه: ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾

(١) في المخطوطات: ولا تقصي. والصواب ما أثبت.

(٢) في (ج): والأرذل في اللغة فهو الذي لا خطر له.

(٣) سقط من (أ): من.

إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَىٰ فِيكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٣٠﴾ وَيَقُولُ مَن
يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣١﴾ [هود: ٢٩-٣٠].

فسألوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ما سأل إخوانهم المبطلون في سالف الدهر
نوحاً وغيره من الأنبياء عليهم السلام، وكذلك أهل الباطل أفعالهم متقاربة،
وأموالهم متشابهة، ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿ تَشَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾
[البقرة: ١١٨]. يعني: الأولين والآخرين فيما يسألون الأنبياء، ويتقحمون به في^(١)
جميع الأشياء، فنعوذ بالله من الحيرة والعمى، والضلالة بعد الهدى.

٢٢٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾
[الأنعام: ٥٣]. فقلت: ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الفتنة هي الحنة، والفتنة تكون من العذاب،
وهذه لغة في اليمن، إذا غاظ إنسان إنساناً، قال: فتنتني، قال الله سبحانه: ﴿ أَلَمْ
أَحْسِبْ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكَوْا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت: ٢٠-٢١]. يقول: لا يمتحنون^(٢)، وقد امتحن الله سبحانه المؤمنين بجهاد
الظالمين، وفتن الظالمين بمحاربة المحقين، وعذبهم على ذلك، وأوجب عليهم التكال
فيه وبه، ومعنى فَتَنَهُمْ فهو: عذبهم، لأن الفتنة قد تكون من العذاب، قال الله
سبحانه: ﴿ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي فَتَنَّا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾ [الطارق: ١٠٠]. فقال: ﴿
فَتَنُوا﴾، يريد: عذبوا، وقد فسرنا لك في مسائلك الأولى الفتنة على كم هي^(٣)
من الوجوه.

وأما ما سألت عنه من القراءة في قوله سبحانه: ﴿ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾
[الأنعام: ٥٥]. فقلت: كيف يقرأ ؟

(١) في (أ) من.

(٢) في (أ)، (ب): يمتحنون.

(٣) في (أ)، (ب): كم من الوجوه. وفي (ج): كم هي الوجه. ولفقت النص من الجمع.

وقد مضى إليكم المصحف الذي فيه القراءة الصحيحة، فاعتمد عليه وخذ به، فقد
(١) استغنيا عن جوابك فيما سألت عنه من القراءة بما صار إليكم (٢)، وفيه الكفاية
والجزاء.

٢٢٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٥٩] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الغيب فهو: ما استتر واستجن (٣) وغبي فلم
يعلم، وذلك لا (٤) يعلمه إلا الله المطلع على السرائر، العالم بالضمائر، فلا يعلم
الغيب من الأشياء إلا هو، ولا يعرف منه إلا ما (٥) دل عليه وفتحته وبينه لعباده
وأخبر به، ومفاتيح (٦) الشيء فهو: علمه، لأنه لا يوصل إلى ما كان مغلقاً عن
الخلق، إلا بمفتاحه، وإنما هذا مثل ضربه عز وجل لخلقه، وبينه لعباده، بأنهم
يعلمون الإغلاق لا ينتجها إلا المفاتيح، فلما أن كان الغيب مغلقاً عن الخلق (٧)،
والله سبحانه العالم، قال (٨): ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾. إذ هو العالم
بالمحجوبات، المطلع على السرائر المستورات.

ثم قال: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتٍ إِلَّا رَضِ
وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(١) في (أ)، (ب): وقد.

(٢) في (ج): إليك.

(٣) في (ج): واستخفى.

(٤) في (ج): ولا.

(٥) في (أ): لما. وفي (ب): بما.

(٦) في (أ)، (ب): ومفتاح.

(٧) في (ج): فقال.

(٨) سقط سهواً من (ج): ما بين القوسين.

يريد بذلك ^(١) عز وجل: أنه العالم به المطلع عليه، وإنما ^(٢) أخبر سبحانه بعلمه وإحاطته بجميع الأشياء، فقال: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ عند سقوطها، ولا تغيب عنه عند انحطاطها ^(٣)، كذلك ^(٤) الحبة في ظلمات الأرض، فهو مطلع على مكانها، عالم بقرارها، ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

والكتاب فهو: العلم. فسبحان من لا يستتر عنه علم محبوب !! ولا يسقط عليه دقيق من الأمور ^(٥)، ولا جليل في الأرض ولا في السماء، وهو السميع العليم.

٢٣٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ؟

وقد مضى إليك جوابها، فلا تعد سؤالا فيما قد نفذ إليك جوابه ^(٦).

٢٣١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آبِائِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الذين يخوضون في آياته عز وجل فهم: أهل الشرك، وخوضهم فيها فهو: تكذيبهم بها، وطعنهم عليها، واستهزاؤهم فيها وبها،

(١) سقط من (أ): بذلك.

(٢) في (أ): فإنما.

(٣) في (ج): إيجادها. مصحفة.

(٤) في (أ): فكذلك. وفي (ب): وكذلك.

(٥) في (ج): الأمر.

(٦) سقط هذا السؤال من: (أ)، (ب).

فأمره الله سبحانه ألا يقعد معهم، وهذه المخاطبة فلنبيه عليه السلام، وللمؤمنين عامة، دلهم الله سبحانه على أفضل الأعمال، وأدبهم بأحسن الآداب، ونهاهم عن القعود مع الخائضين.

ثم قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٦).

فنهاه عز وجل ألا يقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين، ولم يكن صلى الله عليه يغشى حلقهم، ولا يجالسهم، وإنما كانوا يغشونه ويقعدون عنده، فإذا وعظهم وتلا عليهم ما أنزل الله سبحانه إليهم، خاضوا في ما لا يجوز من الأقوال، وتكلموا بالباطل والمحال، فأمره الله سبحانه عند ذلك بالقيام عنهم، والمجانبة لهم، من بعد ما كان من إقامته صلى الله عليه الحجة عليهم^(١).

٢٣٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَنْ تَبْسُلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٧٠] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا غاية الرعيد من الله عز وجل لمن اتخذ دينه لعباً ولهواً، كما قال سبحانه^(٢): ﴿فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويْدًا﴾ (١٧: [الطارق]). فكان هذا وعيداً لهم، وتعريفاً بجهلهم.

ثم قال عز وجل: ﴿وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾. والحياة فهي هذه المهلة، التي جعلها الله لكل نفس متحركة، فاغثروا بالدنيا، ومالوا إلى الهوى، وتبعوا الجهل والردى، وآثروا العاجلة على ما جعل الله لهم في الآخرة من العطاء، والفوز والجزاء.

(١) في (أ)، (ب): إقامته عليهم الحجة.

(٢) في (أ)، (ب): الله سبحانه.

وقوله: ﴿وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبَسِّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾. يقول: أعذر ^(١) وأنذر من قبل أن تبسل نفس، والإبسال فهي: كلمة عربية، يقول القائل لمن خالف أمره، ولم يقبل نصيحته إذا وقع في البلاء: بسلاً بسلاً.

وهي من طريق التبكيت والتفريع، والخذلان والإفراء، يقول: أبسلوا أي: أفردوا.

٢٣٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿كَأَلَدَىٰ آسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾ [الأنعام: ٧١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا مثلٌ ضربه الله عز وجل لكل من عَدَّ عن الحق، وتركه من بعد الدعاء إليه والتبيين له، فكان حاله في جهله وعمائه ^(٢) عن الحق بعد إذ ^(٣) عاينه ورآه، كحال المستهوي في الأرض، والمستهوي فهو: المتحير الضال في الأرض، الذاهب عن القصد، المائل عن الصدق، التارك للحق، من بعد أن شرع ^(٤) له الدين، وأبانه الله لجميع العالمين.

والشيطان فقد يكون من الجن والإنس، وهم المغوون ^(٥) المفسدون المتحIRON.

٢٣٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَيَّ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا وَيُدِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: معنى ﴿الْقَادِرُ﴾ ^(٦)، فهو: الله سبحانه القادر على خلقه، الذي لا يعجزه ما طلب، ولا ينجو منه من هرب. ثم قال سبحانه: ﴿

(١) في (ج): يقول أي: أعذر.

(٢) في (أ)، (ب): وعماء.

(٣) في (ج): أن.

(٤) في (ب): شرح.

(٥) في (ج): المغوون.

(٦) في (أ)، (ب): هو القادر.

عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ ﴿١﴾ فَأَخْبِرْهُمْ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ ^(١) إِنْ شَاءَ أَنْزَلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِهِمْ ^(٢)، وهو مثل ما كَانَ ^(٣) يكون من القذف بالحجارة والصواعق، وما يترل الله من النقم بأعدائه، المعرضين عن طاعته، ﴿أَوْ مِنْ تَحْتَ أَرْجُلِكُمْ﴾، فهو مثل الخسف وما يترل من متالف الأرض بهم، وذهاب معایشهم، ونقص ثمارهم، وهو سبحانه قادر على ذلك إذا أراد كونه، لا معقب لحكمه، ولا راد لأمره.

ومعنى ﴿أَوْ يَلْسِكُمْ شَيْعًا﴾، فهو: يذلهم ويخزيهم ^(٤) ويفرقهم، حتى يصبحوا بعد العز أذلاء، وبعد الجماعة شيعاً، تفرق ^(٥) في الأرض، ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]. يقول: من بعد الاجتماع على الدين، تفرقوا عن ذلك، ومضوا في سبيل غيره، فمال كل ^(٦) قوم في هوى. والتفرقة لهم والتبديد ^(٧) شيعاً، فهو من أشد الذل والهوان، والقلّة والصغار.

﴿وَيُذِيقُ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾، فهو بالخذلان لهم والترك من التوفيق، حتى يقع بينهم الشحناء، والبأس والبلاء، فيقتل بعضهم بعضاً، ويقع عند ذلك العداوة

(١) سقط من (أ): أنه.

(٢) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٣) سقط من (أ)، (ب): كان.

(٤) في (أ): ويخرجهم. مصحفة.

(٥) في (أ)، (ب): أذلة، وبعد الجماعة شيعاً يتفرقون. وفي (ج): أو بعد الجماعة.

(٦) في (ج): فما كل. مصحفة.

(٧) في (ج): في التبديد.

والبغضاء، فيكون اجتماعهم على الباطل سبباً لإهلاكهم، وطريقاً إلى تبديدهم^(١)، ونكاية من الله لهم، وإزالة لنعمهم، وإذهاباً لعزهم.

٢٣٥- وسألت عن قول إبراهيم عليه السلام^(٢) لأبيه آزر. فقلت: ما معنى هذا الاسم؟

وقد يقال: إن اسم أبيه كان آزر، فدعاه باسمه^(٣)، وليس هذا مما تعبدك الله، ولا أوجب عليك معرفته، ويقال: إن آزر هو الصنم^(٤) الذي كانوا يعبدون^(٥).

٢٣٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه^(٦): الملكوت فهو: ما خلق الله من السماوات والأرض ومن فيهن، وما أظهر^(٧) في ذلك من قدرته وملكه، سبحانه لجميع خلقه،

(١) في (أ)، (ب): تبدهم.

(٢) سقط من (أ)، (ب): عليه السلام.

(٣) أخرج أبو الشيخ، عن الضحاك في الآية قال: آزر أبو إبراهيم. الدر المنثور ٣/٣٠٠.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن مجاهد قال: آزر لم يكن بأبيه ولكنه اسم صنم.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي قال: اسم أبيه تارح، واسم الصنم آزر.

وأخرج ابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ قال: ليس آزر بأبيه ولكن ﴿إذ قال إبراهيم لأبيه آزر﴾ وهن الآلهة، وهذا من تقدم القرآن، إنما هو إبراهيم بن تارح. الدر المنثور ٣/٣٠٠.

(٥) في (أ): يعبدونه.

(٦) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى رضي الله عنه.

(٧) في (ج): ظهر.

لا يمتنع عليه شيء من مفطوراتها، ولا يحجب عنه^(١) شيء من محجوبات سرائرها، فأرى إبراهيم عليه السلام قدرته وسلطانه، كما قال: ﴿لِيَكُونَ مِنَ الْمُؤَقِنِينَ﴾ ﴿٣٦﴾.

ومعنى آراه فهو: عرفه وهده، فكان ذلك^(٢) تكرمة له وتثبيتاً^(٣) وتعريفاً، مثل ما كان آراه من الطير الذي أمره بأصرها، عند مسأله الله عز وجل أن يريه كيف يحيي الموتى، وغير ذلك مما أطلعه عليه سبحانه، فأراه الله عز وجل^(٤) من قدرته التي قامت بها الدنيا، وما فيها من جميع الأشياء، ما بهره وزاد^(٥) في تثبيته وعظم به شكره، وعلم بذلك منزلته عند الله سبحانه وكرامته، وقد كان بالله عارفاً، وله بحلاً، ولأمره مقدماً، ألا تسمع كيف يقول تبارك وتعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣]. فأخبر أن ملكوت كل شيء في يده وملكه، سبحانه وتعالى عما يقول به المبطلون، وأهل الزيغ الظلمة الخائرون، والكفرة الملحدون، عز وجل ربنا وتعالى عما يقولون علواً كبيراً^(٦).

٢٣٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا

قَالَ هَٰذَا رَبِّيَ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ [الأنعام: ٧٦] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: سألت أبي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه عن هذه الآية، فقال: معنى ﴿جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ فهو: غشيه وأجنه، وركبه وأظله،

(١) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٢) سقط من (أ)، (ب): ذلك.

(٣) في (أ): وتبيناً.

(٤) في (أ)، (ب): فأراه سبحانه.

(٥) في (ج): وزاده.

(٦) في (أ): الظلمة الملحدون، الكفرة الجاثرون. وسقط من (أ)، (ب): علواً كبيراً.

ومعنى ﴿هَذَا رَبِّي﴾ فهو ^(١) توبيخ وتقريع لعبدة النجوم على غلطهم، وكفرهم في عبادتهم ما لا يضرهم ولا ينفعهم، فقال: ﴿هَذَا رَبِّي﴾. يريد: أنى هذا ^(٢) ربي الذي ترعمون أنه لي ولكم رب؟! وتدعونني إلى عبادته من دون إلهي وخالقي؟! وهو زائل، ذاهب غافل ^(٣)، هذا ما لا يكون ^(٤) لي رباً ولا يجوز أن يدعا خالقاً، وكذلك قوله في الشمس والقمر على هذا المعنى الذي قاله في النجم، يريد بذلك كله: التوقيف لهم على خطأ فعلهم ^(٥)، والشرك برهم، ألا ترى كيف قد تبرأ ^(٦) من أفعالهم في عبادة النجوم والشمس والقمر، حين يقول: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]. من بعد التقريع لهم والتوقيف.

٢٣٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَأَيُّ آلَافِيْقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨١]؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: الفريقان فهما: فريق الحق وفريق الباطل، ألا تسمع كيف يقول عز وجل في أول المخاطبة، ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ [الأنعام: ٨١]، يقول صلى الله عليه: إن الذي معكم وما تعبدون من هذه النجوم والشمس والقمر والأصنام أشياء لم ينزل الله بها ^(٧) سلطاناً، يعني: حكماً ولا أمراً

(١) سقط من (أ): فهو.

(٢) في (أ): أهذا.

(٣) في (ج): غافل ذاهب.

(٤) في (أ)، (ب): هذا لا يكون.

(٥) في (أ): أفعالهم.

(٦) في (ج): بئ. مصحفة.

(٧) سقط من (ج): بها.

ولا وحياً، وإنما ذلك ابتداءً منكم وعمى وكفر، واتباع هوى، فكان صلى الله عليه على بينة وبرهان من الله عز وجل.

والفريق الذي هو حقيق ^(١) بالأمن فهو: إبراهيم صلى الله عليه ومن تبعه، الماضون على بصيرة، المتبعون لحكم الله، الصادون عن الهوى، التاركون لما ضل فيه أهل الجهل والفتنة الأشقياء.

فكان هو صلى الله عليه ^(٢) أحق بالسلامة، وأولى بالجنة والكرامة، إذ هو على المحجة، ومن أمره على بصيرة وبينة. فكان حقيقاً من الله بالثواب، وحسن المثل والمآب ^(٣).

ثم قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]. فدل على الفريق بعينه، ونسبه ^(٤) بمذهبه ونعته.

فقال: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾. يقول: لم يدخلوا فيه فساداً، ولم يلبسوا فيه ظلماً، ولا بعد اليقين والمعرفة شكاً، فكانت هذه حجة على المشركين لإبراهيم الخليل عليه السلام، آتاه الله سبحانه ^(٥) إياها، وفهمه الاحتجاج بها صلى الله عليه ورحم وكرم ^(٦)، ولقد آتاه الله من الحجج على قومه ما فلجهم بها، وقطع حججهم عندها، مثل ما رأوا من الآيات والعلامات، ومثل مخاطبته للكافر الجاحد، المتمرد المعاند، حين قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(١) في (أ): الذي أحق.

(٢) في (أ)، (ب): فكان عليه السلام.

(٣) في (ج): المقبول والمآل.

(٤) في (ج): ولبسه. مصفحة.

(٥) سقط من (ج): عليه السلام، سبحانه.

(٦) في (أ)، (ب): بها عليه السلام.

٢٣٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٤-٨٦]. فقلت: أمن ذرية إبراهيم هؤلاء؟ أم من ^(١) ذرية نوح؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هم من ذرية إبراهيم صلى الله عليه ^(٢).

وقوله: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨].

فإخبار منه عز وجل بأنهم لو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون، ولم يكونوا ليشركوا صلى الله عليه، وإنما قال: ﴿لَوْ﴾، ولم يقل: فعلوا، فأخبر سبحانه عن فعله فيهم على محلهم عنده، وكرامته لهم، أنهم لو زالوا عن الحق ما قبل منهم، ولأحبط أعمالهم، فإذا كان ذلك حكمه سبحانه فيهم، لو كان منهم ما ذكر عز وجل ولن يكون، فكيف بغيرهم ^(٣) إذا ظلم وتعدى، وتقحم في المهالك والردى، وصعد عن الحق ^(٤) والهدى؟! وفي هذا إبطال لقول المزخرفين لأنفسهم الأباطيل، الذين مالت بهم الدنيا، واتبعوا الغي والهوى، ثم يزعمون بجهلهم وردوأة تمييزهم، أنهم ممن يغفر له خطيئته، ويتجاوز عن ^(٥) سيئته، بغير توبة ولا رجعة، ولا خروج من ^(٦) معصية.

(١) سقط من (أ): من.

(٢) سقط الجواب من: (أ)، (ب).

(٣) في (ج): فكيف يكون لغيرهم.

(٤) في (أ)، (ب): عن طريق.

(٥) في (أ): عنه.

(٦) في (أ)، (ب): عن.

ثم قالوا بجهلهم، وقلة بصائرهم: إنه لا يدخل النار من أمة محمد صلى الله عليه أحد، وإن ظلم وتعدى!! وأفسد وعصى!! كأن لم يسمعوا ما ذكر الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه^(١)، في أول القصص، إذ ذكر الأنبياء عليهم السلام، حين يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]. فإذا كانت الأنبياء في قدرها، وعظم^(٢) محلها، لو كان منهم بعض ما قد كان من هؤلاء الظلمة - وحاش لأنبياء الله من الدخول في معصية، أو مخالفة شيء من أمره، لحبطت أعمالهم، فكيف بغيرهم من أهل الجهل والعمى؟! التابعين للغبي والردى؟! إن هذا هو^(٣) العدل من الله سبحانه في خلقه وعين الإنصاف لبريته، إذ ألحق كلا بذنبه، وجازاه على فعله، وأخذ به عمله.

ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]. يقول: يكافأ عليه، ويعاقب فيه.

فكان هذا إكذاباً لقولهم، وإبطالاً لحال ظنهم، فأوضح سبحانه لهم الحق الذي لا شك يدخله، ولا فساد يلحقه، أنه يجزي كلا بعمله، ويكافيه على فعله، ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. فسيحان العدل في حكمه! المنصف لخلقه! البري من ظلم عباده!!

٢٤٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا

بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا بِكَفْرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فقلت: من هم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام^(٤): هم قريش ومن تبعهم من أهل الكتاب^(١).
يقول: ﴿إِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيَسُوْا بِهَا

(١) في (أ): عز وجل.

(٢) في (أ)، (ب): وعظيم.

(٣) في (أ): إذ هذا هو.

(٤) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى عليه السلام.

بِكُفْرَيْنِ ﴿٨١﴾. يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فأخبر أنهم غير كافرين بها، ولا تاركين لما أمر الله به من فرضها، كما كفر أهل الكتاب وتركوا ما ^(١) عرفوه من الحق، ومن هذه الشريعة البينة ^(٢) النيرة الواضحة لمن عقل وأنصف.

ثم قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنَهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠]. فرجع الخبر إلى إبراهيم عليه السلام، ومن ذكر الله سبحانه من الأنبياء عليهم السلام، فأمره أن يقتدي بفعلهم، ويتبع سبيلهم، ويصبر كصبرهم، إذ هو صلى الله عليه كأحدهم، فكان صلى الله عليه صابرا محتسبا، وفي أمره محتسبا ^(٣)، حريصا على أمته مشفقا ^(٤)، وعلى جميع أهل طاعته مقيما لحجج ربه، ناصحا لله سبحانه بجهدته، حتى قبضه الله سبحانه حميدا مفقودا، فعليه أفضل الصلاة والترحم، من ربنا الواحد الكريم. وقد يخرج تفسير الآية وشرحها أن الموكلين بها هم الأئمة، القائمون على الأمة، المفروضة ^(٥) طاعتهم، المحكوم من الله عز وجل بولايتهم.

٢٤١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١] ؟ [

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ﴾ يعني: أهل مكة، يقول: أن يكفروا بالقرآن ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ﴾ يعني: أهل المدينة والأنصار.

وأخرج عبد الرزاق، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن قتادة في قوله: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءُ﴾ قال: أهل مكة كفار قريش ﴿فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ﴾. الدر المنثور ٣/٣١٢.

(٢) في (ج): من.

(٣) سقط من (أ)، (ب): البينة.

(٤) في (ب): وفي الله عز وجل محتسبا. وسقط من: (أ).

(٥) في (أ)، (ب): شفيقا.

(٦) في (أ): المعروفة. مصحفة.

قال محمد بن يحيى عليه السلام: يقول سبحانه: ما قدروا الله حق الحقيقة التي يجب عليهم.

ثم قال: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾. وهذا قول من كفره أهل الكتاب.

وقد قيل: إنه مالك بن الصيف^(١)، أحبر الأخبار قالها جحدانا لمحمد صلى الله عليه، وتعلقا بكفره، وصدودا على الحق الذي بان له.

ثم قال عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾. يقول سبحانه فمن أنزل كتاب موسى^(٢)، إذ كان الله عز وجل لم ينزل على بشر وحيا، وموسى عليه السلام من البشر، فقد جحدتم بقولكم هذا كتاب موسى عليه السلام وأكذبتموه.

ثم قال سبحانه: ﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾. يقول: تجعلون الكتاب الذي أنزل الله سبحانه والوحي المحكم، كحال القراطيس عندكم، التي تكتبون فيها، فتخفونها مرة وتظهرونها أخرى، وتغيرون فيها وتبدلون، وتزيدون وتنقصون، فجعلتم كتب^(٣) الله عز وجل في النقصان والزيادة والتبديل،

(١) أخرج ابن جرير، وابن المنذر، عن عكرمة في قوله: ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرٍ مِّنْ شَيْءٍ﴾ قال: نزلت في مالك بن الصيف.

وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، عن سعيد بن جبيرة قال: جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف، فخاصم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال له النبي: ((أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة أن الله يغيض الخير السمين؟ وكان حيرا سمينا، فغضب وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء. فقال له أصحابه: ويحك!... ولا على موسى؟ قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله ﴿وما قدروا الله حق قدره...﴾ الآية)). الدر المنثور ٣/٣١٤.

(٢) سقط من (ب): موسى.

(٣) في (ب): كتاب.

كنقصانكم في كتبكم وزيادتكم، وتخفون ما كرهتم، وتظهرون ما أحببتهم، فذمهم الله في فعلهم ووقفهم على عظيم جرمهم، ثم أخيرهم بما علمهم من الحق وهداهم إليه، وما كانوا ليعلموا هم ولا آباؤهم، إلا بفضل الله عز وجل وإحسانه إليهم، فكفروا بنعمه، وخالفوا حكمه، فأمر الله سبحانه نبيه عليه وآله السلام عند ذلك أن يقول لهم: ﴿قُلِ اللَّهُ تَزَرَّهُمْ فِي خَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]. أراد عز وجل بقوله: ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ أي: هو الذي أنزل الكتب التي جاءت بها الرسل، ثم أمره من بعد إقامة الحجة عليهم أن يذرهم في خوضهم يلعبون. واللعب فهو: اللهو، والعبث والسهو، والاشتغال^(١) بالباطل والمحال.

وقد قيل: إن معنى قوله عز وجل: ﴿تَجَعَّلُونَهُ قَرَأَ طَيْسَ تَبْدُونَهَا وَتَخْفُونَ كَثِيرًا﴾ يقول: تظهرون من الصحف التي كتبتموها، ما ليس فيه صفة رسول الله عليه وآله السلام، ووقت مبعثه وصحة نبوته، وتخفون ما كان له فيه صفة، ولنبوته علامة^(٢). والقول الأول أشبه بالحق، والله المعين والموفق. هو حسينا ونعم الوكيل.

٢٤٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]. فقلت: في من نزلت هذه الآية؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد قيل: إنها نزلت في مسيلمة^(٣)، وهي عامة لكل من ادعا وحياً ولم يترله الله عز وجل إليه من الأولين والآخرين، ومسيلمة فإنما

(١) في (ب): في الاشتغال.

(٢) أخرج ابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿يَجْعَلُونَهُ قَرَأَ طَيْسَ يَبْدُونَهَا وَيَخْفُونَ كَثِيرًا﴾ في يهود فيما أظهروا من التوراة وأخفوا من محمد صلى الله عليه وآله وسلم. الدر المنثور ٣/٣١٥.

(٣) أخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلمة الكذاب ونحوه من دعا إلى مثل ما دعا إليه.

وأخرج عبد بن حميد، وابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ ...﴾ الآية. قال: ذكر لنا

كان على عهد أبي بكر، وقد كان من الأولين المردة الكافرين، ممن ^(١) يدعي النبوة في الإسلام، فقد ادعا النبوة مسيلم، والأسود الكذاب، والزنديق ابن فضل، الذي هو الآن باقي لا يوجد على قتاله أنصار، ولا على جهاده أعوان، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

مصيبة عظمت، ورزية في الإسلام جلّت، فهذه الآية عامة لكل من ادعا الوحي ممن قد سلف من الأولين، ومن تبعهم من الآخرين.

وقوله: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣]. فإنما هذا نسق يقول: ﴿مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾، فهو ظالم كافر، محكوم عليه من الله عز وجل بالقتل والقتال، والذل والهوان.

فأما ما قيل به في عبد الله بن سعيد بن أبي سرح ^(٢)، فإنما ذلك منه كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد قيل: إنه قال: ﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ^(١).

أن هذه الآية نزلت في مسيلم.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن قتادة في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ...﴾ الآية. قال: ذكر لنا أن هذه آية نزلت في مسيلم.

وأخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن عكرمة في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ قال: نزلت في مسيلم فيما كان يسجع ويتكهن به. الدر المنثور ٣/٣١٧.

(١) في (أ): من. وظن فوقها — (من).

(٢) كان قد أسلم فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سَلَالَةٍ...﴾. أملاها عليه فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...﴾. عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان فقال: تبارك الله أحسن الخالقين. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: هكذا أنزلت علي. فشك عبد الله حينئذ! وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحى إلي كما

فأما ما ذكر من إملاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]. فقال: سميع عليهم. ومثل ذلك وأشباهه، وقوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤، الصفات: ١٢٥]، فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اكتبها، فهكذا نزلت. فهذا كذب منه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لا محل

أوحى إليه، ولئن كان كاذبا لقد قلت كما قال. وارتد عن الاسلام. فتزل فيه قول الله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ [الأنعام: ٩٣]. أي: تزل فيه ﴿ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ عندما قال: لقد قلت كما قال.

وقيل: كان إذا أملى عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿سميعا عليما﴾ كتب ﴿عليما حكيما﴾، أو ﴿عزيز حكيما﴾ كتب ﴿غفور رحيم﴾. وأنا استبعد هذه الرواية الأخيرة، إن لم أقطع بكذبها لأنها تشكك في القرآن الكريم.

ولحق بمكة فأهدر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دمه يوم فتح مكة، وكان أخا لعثمان من الرضاعة، ففر إلى عثمان فجاء به عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يزل به حتى أمته.

القصة في الدر المنثور ٣/٣١٧، وأسباب النزول ١٥٦، والمصابيح للشرقي ٤/٧٠، والكشاف ٢/٣٥، والمعارف لابن قتيبة/٣٠٠ في ترجمة عبد الله.

(١) أخرج ابن أبي حاتم، عن أبي خلف الأعمى قال: كان ابن أبي سرح يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت، فأنزل الله ﴿ومن ظلم من افترى على الله كذبا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن السدي في قوله: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحى إلي ولم يوح غلبه شيء﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي، أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فكان إذا أملى عليه ﴿سميعا عليما﴾ كتب ﴿عليما حكيما﴾ وإذا قال: ﴿عليما حكيما﴾ كتب ﴿سميعا عليما﴾ فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه فقد أوحى إلي.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن ابن جريج: ومن قال: ﴿سأنزل مثل ما أنزل الله﴾ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح. الدر المنثور ٣/٣١٧.

لمسلم القول به، ولا يسمع الكلام فيه، قد برأ الله محمداً من أن يحرف حرفاً واحداً مما أنزل الله سبحانه عليه أو يبدله، ألا تسمع كيف برأه عز وجل ^(١) من ذلك، ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠، يونس: ١٥، الأحقاف: ٩٥]. وقوله: ﴿وَإِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيَّنَّا قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ فُلٌ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]. فقال: ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾، ولم يكن عليه السلام ليحرف كتاب الله سبحانه، ولا يزيد فيه ولا ينقص منه، وإنما كان يتبع ما أنزل ^(٢) الله سواء سواء، ولو كان يبدل موضع غفور رحيم، سمع عليم، لكان قد بدل لهم كما سألوهم، ولم ينف الله سبحانه ذلك عنه، ولم يكن عليه السلام بمتكلف ولا مفتر، وإنما كان يتبع الوحي من الله عز وجل فيتلوهم كما أنزل عليه سواء سواء، لا زيادة فيه ولا نقصان، وإنما يقول بما ذكرت عن عبد الله بن أبي سرح الذين لا يؤمنون.

وقلت: لأي معنى لم ندخل ^(٣) الأحاديث في أقوالنا؟

ويمنعنا ^(٤) ندخل من الحديث ما كان باطلاً عندنا، لأننا رأينا في كثير من الأحاديث مخالفة لكتاب الله عز وجل ومضادة له، فلم نلتفت إليها، ولم نحتج بما كان كذلك منها ^(٥)، وكل ما وافق الكتاب وشهد له بالصواب، وصح عندنا، أخذنا به، وما كان أيضاً من الحديث مما رواه أسلافنا عن أب فاب عن علي بن أبي طالب عن

(١) في (أ): كيف يقول حين برأه.

(٢) في (ب): ما نزل.

(٣) في (ب): تدخل.

(٤) في (ب): ولقنا. مصحفة.

(٥) سقط من (ب): منها.

النبي عليه وآله السلام فنحن نحتج به، ومما كان مما رواه الثقات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبلناه وأخذنا به ونفذناه^(١)، وما كان خلاف ذلك لم نره ضوابطاً ولم نقل به.

فأما^(٢) ما سألت عنه من تفسيرنا الكتاب، فإنما نفسره بتوفيق الله وعونه، لمن خصه الله سبحانه وأعانه على معرفته، فإذا رزق رجل معرفته فسرّه واستنبطه، واستشهد بعضه على بعض، واستخرج غامضه، بما فضله الله سبحانه به من معرفته، وما كان يخرج من اللغة بينه وفسرّه وشرحه، لأن الله عز وجل يقول: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر: ٢٨]. ولم يخاطب الله سبحانه العرب إلا بما تعرف من لغتها، ومنه ما يفسر بالرواية عن السلف بالإسناد إلى النبي عليه السلام تلقينا وتعريفاً مع توفيق الله عز وجل وتسديده لمن قصده من أهل طاعته، كما قال سبحانه^(٣): ﴿وَالَّذِينَ آهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَاتَّبَهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [عند: ١٧].

وفي الحديث الذي ترويه العامة ما لا تقوم له^(٤) حجة، ولا تتضح به بينة، ولا يشهد له كتاب ولا سنة، وكل ما قلنا به وأجبنا عليه، فشاهده في كتاب الله عز وجل، وفي السنة المجمع عليها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أو حجة من العقل يصدقها الكتاب، فكل ما كان من هذه الطريق فهو أصح مطلوب، وأنور حجة في القلوب، وليس يجوز تفسيره إلا لأهله الذين خصهم الله عز وجل بعلمه، من أهل بيت نبيه عليه وعليهم السلام.

(١) في (ب): وأنفذناه.

(٢) في (أ): وأما.

(٣) في (أ): قال سبحانه.

(٤) في (ب): به.

٢٤٣- وسألت عن قول الله سبحانه عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ [الأنعام: ٩٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا عند خروج أنفسهم، وحضور وفاتهم، ونزول الملائكة لقبض أرواحهم، وبسط أيديهم فهو: نزعهم لأنفس الظالمين وأخذهم لها. وقوله: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾. وعذاب الهون فهو: الهوان والذل والصغار، بالعذاب الأليم، والحزني الدائم المقيم.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ﴿٥٠﴾ [الأنفال: ٥٠]. فضربُ الملائكة عليهم السلام لوجوه الظالمين وأدبارهم عند خروج أنفسهم، هو: من أول عقابهم، مع ما يعاينونه ^(١) من سوء منقلبهم، وقبيح مآلهم.

وكذلك فعل الله عز وجل بالكافرين، ومن عند أمره من الظالمين، وليس يخرج عبد من الدنيا حتى يرى محله، ويعرف من الآخرة مكانه، بإخبار الملائكة عليهم السلام له عند قبض روحه، وخروج نفسه، فإن كان فاسقا أيقن بالنيران، وبالمصير إلى سوء ^(٢) دار، مع إتعاب الملائكة عليهم السلام له في إخراج نفسه، وضربها لوجهه وظهره، كما قال الله عز وجل: ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبِرَهُمْ﴾. وإن ^(٣) كان مؤمنا تلقته الملائكة بالبشارة والكرامة، وقبضت روحه قبضا رفيقا سهلا، لا متعبا ولا معذبا.

(١) في (أ): يعاينوه. وفي (ب): تعاينوه. وما أثبت هو الصواب.

(٢) في (ب): شر.

(٣) في (ب): فإن.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]. فأخبر سبحانه بشارة الملائكة للمؤمنين عند خروج أنفسهم، وتطمينهم لهم بما يطلعونهم عليه ويخبرونهم به من رضا رهم، وقبوله لهم، والمكافأة على طاعته ^(١)، والجنة والنعيم الدائم المقيم، حيث لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

وأما ما سألت عنه من ضرب الملائكة لوجوه الظالمين، فقلت: كيف لا نسمع ذلك من فعلهم؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: وكيف نسمع - رحمك الله - من حجب الله سبحانه عن الخلق الإحاطة به، لو سمع ضربهم لنظر إليهم، وما ضربهم بأكبر من صورهم، ولكن الله سبحانه حجب أعين الخلق عن درك الملائكة، فلا ينظر إليهم أبدا إلا من حضرته الوفاة، أو في يوم القيامة، فينظرون ويعاينون.

وقلت: قد رأيت الفاسق يكون أسرع خروج نفس من المؤمن؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: قد يناله في سرعة خروج نفسه، من التعب والألم وعنف الملائكة عليهم السلام به، ما لا يعد له من النكاية، وقد يكون التعب والعنف في سرعة قبض روحه، أشد في أليم العقوبة. وقد يكون المؤمن في إبطا خروج روحه ^(٢) على أحد معنيين كلاهما فيه راحة، إما أن يكون في بطو موته يجد إفاقة ساعة بعد ساعة، وتسل نفسه هونا، فيكون أسهل عليه من العنف بها، وأيسر في خروجها.

وإما أن يكون محنة من الله عز وجل، ليشبه على ذلك ويكافئه عليه ^(٣).

(١) في (أ): لهم على طاعة رهم.

(٢) في (ب): نفسه.

(٣) في (ب): فيه.

وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه، أنه قال: «أشد الناس محنًا الأفضل فالأفضل»^(١). نسأل الله حسن الاستعداد ليوم المعاد. وقد تخرج نفس المؤمن بسهولة وسرعة، فيكون ذلك من الله عليه نعمه، وبه لطف ورحمة^(٢).

٢٤٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الفرادى فهو: المنفرد الوحيد. ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾. يقول: تركتم أموالكم وخدمكم وأولادكم ونعمكم التي آثرتموها^(٣) وراء ظهوركم، وجئتم فرادى^(٤) من ذلك، موحدين منه منفردين.

٢٤٥- وأما ما ذكرت أنه قيل به من^(٥) إتيان الخلق عند حشرهم عراة، فليس ذلك بشيء، وليس يخرج أحد من قبره عارياً، بل^(٦) كلهم يخرج في كفته

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٢٢)، وابن ماجة برقم (٤٠١٣)، وأحمد (١٤٠٠)، والدارمي (٢٦٦٤) بلفظ: عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً قَالَ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ فَيُتْلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَةٌ ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ.

(٢) سقطت هذه الأسئلة الثلاثة السابقة من: (ج).

(٣) في (أ): ورثتموها. مصحفة.

(٤) في (ج): فردا.

(٥) في (أ): وسألت عما ذكر أنه قيل من.

(٦) سقط من (ج): بل.

ويصل به إلى موقفه^(١)، وبذلك جاء الخبر عن النبي صلى الله عليه^(٢)، وقد أجبناك على هذه المسألة قبل هذا بشرح يبين، اجترينا به عن التطويل.

٢٤٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]. فقلت: ما معنى ذلك^(٣)؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: المستقر من الآدميين فهو ما قر في الأرحام. ألا تسمع كيف يقول عز وجل: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٣]؟ والمستودع فهو: ما كان في الأصلاب، فسبحان ذي القدرة والسلطان، والرأفة والاحسان^(٤)، إلى جميع من خلق من عباده، المحسن إليهم، المنعم بفضله عليهم، فتبارك الله أحسن الخالقين، ذي العزة والقدرة المتين، وتعالى سلطانه، وجل عن كل شأن شأنه.

(١) سقط من (ج): إلى موقفه.

(٢) رواه الموفق بالله في الاعتبار / ٤٥٤ بلفظ: ((إنكم محشورون حفاة عراة، وأول الخلق يكسى إبراهيم عليه السلام، ثم يجاء برجال فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقوال: أصحابي. فيقال: إنك لا تدزي ما أحدثوا بعدك.

فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكننت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد، إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾ ((.

وأخرجه البخاري برقم (٣١٠٠)، وهو في كثر العمال برقم (٣٨٩٤٣)، وعزاه إلى أحمد، والترمذي، والنسائي والبخاري، عن ابن عباس. وشواهد كثيرة جداً. ومسلم برقم (٥١٠٣)، والترمذي برقم (٢٣٤٧)، والنسائي برقم (٢٠٥٤)، وأحمد برقم (١٨١٤)، والدارمي برقم (٢٦٨٢).

(٣) في (ج): ما معناه.

(٤) في (أ): والامتنان.

٢٤٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ [الأنعام: ١٠٥]، فقلت: ما معنى ﴿دَرَسْتَ﴾؟^(١)

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: معناها: حفظت وأيقنت^(٢)، فكانوا إذا سمعوا ورأوا ما يحيى به رسول الله صلى الله عليه، من آيات الله عز وجل، وتصريفه من أحكامه، وتبينه من حلاله وحرامه، قالوا: ﴿دَرَسْتَ﴾، يريدون: أنه مُحَكَّم لما هو فيه دارس له، يوهمون أنه صلى الله عليه يتعلم ذلك ويدرسه من أخبار الأولين. وقلت: ما الصواب في قراءة هذا الحرف؟ والصواب فيه ﴿دَرَسْتَ﴾.

٢٤٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا﴾ [الأنعام: ١٠٩]؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا إخبار من الله عز وجل عن أهل الكفر والنفاق، والصد عن الحق والشقاق، من أهل الكتاب وغيرهم، كانوا يلحفون بالله لئن جاءكم آية ليؤمنن بها، ويصدقون بمحمد^(٣) صلى الله عليه عند إتيائها، فقال الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. ومعنى ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ فإنما أراد بها: من الله^(٤).

ثم قال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩]. فأخبر سبحانه بما علم من سرهم، وأحاط به من غامض كفرهم، وأنهم إذا رأوا الآيات لم يؤمنوا بها، ولا عند المعاينة يصدقونها، ولا يرجعون بها، ولقد جاءهم من

(١) سقط من (أ): فقلت ما معنى ﴿درست﴾.

(٢) في (ج): أي: حفظت وأيقنت وتيقنت. وفي (أ): حفظت واتقنت. وفي (ب): حفظت والقيت. ولفقت النص من الجميع.

(٣) في (ج): محمدا.

(٤) سقط من (أ): ما بين القوسين.

الآيات والمعجزات مع رسول الله صلى الله عليه ما ثبت له به النبوة والتصديق، وزاح به الشك عنه، وسوء الظن ^(١) فيه، فلم ينتفعوا بذلك، ولم يؤمنوا به ^(٢)، بل ثبتوا على كفرهم، وأصروا على معصيتهم، فأصبحوا بذلك من الخاسرين، وعند الله من الهالكين، ولديه من المعذنين، وإنما كان هذا منهم عبثاً، وتمرداً وعناداً وتعنتاً، لغير ^(٣) قصد هدى، ولا طلب لتقوى، ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]. ونالهم فيه أكبر الشقاء.

٢٤٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبَلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام: ١١١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا تعريف من الله عز وجل ^(٤) لنبية صلى الله عليه بكفر المشركين، وأهل الصدود من المعاندين، أخير ^(٥) عز وجل بما اطلع عليه من قولهم، وعلمه من سرائرهم، أنهم لا يؤمنون أبداً، ولو نزلت عليهم الملائكة حتى يعاينوها، وكلمهم الموتى، وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً، مجموعاً مشاهداً معاييناً حتى يعاينوه ويروه، ما كانوا ليؤمنوا، ولا ليرجعوا ^(٦) إلى الله سبحانه ولا يهتدوا، للذي قد علم من تصميمهم على الكفر، وبعدهم من الإيمان.

(١) في (ج): وينفوا الظن.

(٢) في (ج): بذلك، فلم يسمعوا بذلك ولم يؤمنوا به.

(٣) في (ج): بغير.

(٤) سقط من (ج): من الله عز وجل.

(٥) في (ج): ثم أخير.

(٦) في (أ)، (ب): يرجعوا.

ثم قال: ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم قسراً، فيدخلهم في الإيمان ^(١) جبراً، فأما طوعاً من أنفسهم واختياراً، فلا يكون أبداً، والله تبارك وتعالى فلا يدخل أحداً في طاعته ^(٢) جبراً، وإنما يأمره سبحانه بما أمراً، ولا يحمله على معصيته قسراً، ولا يحتّم بها عليه حتماً، ولو كان ذلك كذلك ما حمد مطيعاً، ولا ذم عاصياً، كما لم يحمدهم في ما جبرهم عليه من صورهم وألوانهم، بل أمرهم تحييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلفهم يسيراً، وأعطاهم على قليل ^(٣) كثيراً.

٢٥٠- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ﴿آل عمران: ٦٠﴾؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: لم يكن محمد صلى الله عليه من الممترين، ولم يخبر الله سبحانه أنه من الممترين، وإنما قال سبحانه: لا تكن منهم، كما قال: ﴿لَنْ أَشْرَكَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]. وهو يعلم أنه لا ^(٤) يشرك صلى الله عليه، وهذا في اللغة جائز.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وَذَا آلُ ثَوْنٍ إِذْ ذَهَبَ مُغْنَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. وهو فلم يظن ذلك، بل أيقن بأن ^(٥) الله عز وجل يقدر عليه. وقال عز وجل: ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنْهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]. ولم يظنوا ولكن أيقنوا. ويقول القائل: عسى أن نأكل، وإنما يريد: نأكل، فأدخل عسى فصارت شكاً، وليست بشك وإنما أراد يقينا، وهذا في اللغة كثير موجود.

(١) في (أ)، (ب): ويدخلهم. وفي (ج): فيدخلهم في ذلك جبراً. ولفقت النص من الجميع.

(٢) في (ج): طاعة.

(٣) في (أ): القليل.

(٤) في (أ)، (ب): وهو فلم يشرك.

(٥) في (أ)، (ب): أن.

٢٥١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: ليس رسول الله صلى الله عليه وآله في شك ^(١) مما أنزل إليه، بل هو على أيقن يقين.

ولم يقل الله سبحانه: إنه في شك، وإنما قال: ﴿إِنْ كُنْتَ فِي شكٍ﴾، وليس هو عليه السلام في شك، بل هو على بصيرة ثابتة، وعزيمة ماضية، بعيدة ^(٢) من الشك والارتياب، وليس يظن أحد أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان ^(٣) في شك، إلا أعمى القلب، بعيد الذهن، كثير الجهل، وهذه المخاطبة في لغة العرب، تستعملها وتكلم بها، ويخاطب ^(٤) بعضهم بعضا فيها وبها، يقول القائل: إن كنت في شك من قطع هذا السيف، فيك فجرّب. وهو فلا يشك بل هو موقن ^(٥)، ويقول الرجل لصاحبه: آتينا غدا عسى أن نأكل، فأدخل عسى لجاز الكلام، وإنما أراد: أن نأكل، ولم يكن شاكا في ذلك، بل كان قصده له، قال الله سبحانه: ﴿وَذَا آلِ ثَوْنٍ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]. ولم يكن يظن ^(٦) صلى الله عليه وآله أن الله عز وجل لا يقدر عليه، بل هو موقن بقدره الله ونفاذ أمره، وقد يخرج ﴿فَظَنَّ﴾ على الاستفهام، كما يقول القائل: لم باع فلان طعامه وترك نفسه؟ أظن أنه لا يحتاج إلى الأكل؟ وهو فلم يظن ذلك، وهذا مما تعارفه العرب في لغتها، وتجيّزه في كلامها.

(١) في (ج): يشك.

(٢) في (ج): بعيد.

(٣) سقط من (أ)، (ج): كان.

(٤) في (ج): يخاطب.

(٥) في (أ)، (ب): بل يوقن.

(٦) في (أ): ولم يظن. وفي (ب): وهو لم يظن.

ومعنى ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]. فإنما أراد عز وجل: كتبهم الميزة^(١)، وما فيها من القصص^(٢)، وأخبار الأنبياء عليهم السلام، وما لقوا وما امتحنوا به من أممهم^(٣)، مما قص الله عليه من أخبارهم، فأقامهم مقام كتبهم، لأنهم لو كانوا قصدوا بالمسألة لكانوا في موضع الصدق، ولو صدقوا ما خالفوا أمر الله عز وجل، ولا نبيه صلى الله عليه، ولكن حرفوا وكذبوا، وغيروا وبدلوا، ومن كانت هذه حاله لم يكن في موضع المسألة^(٤)، ولكن أراد الله سبحانه^(٥) ما في كتبهم من القصص والأخبار.

وقد قيل: إن الذين أمر بمسألتهم هو من كان معه مسلما، من مؤمني أهل الكتاب^(٦)، وليس المعنى فيه إلا على ما شرحنا.

ألا تسمع كيف يقول الله سبحانه: ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢، الشورى: ٧]. وأم القرى فإنما هي: مكة، فأقام القرى^(٧) مقام أهلها.

(١) أخرج أبو الشيخ، عن الحسن في قوله: ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: سؤالك إياهم نظرك في كتابي كقولك: سل عن آل المهلب دورهم. الدر المنثور ٣٩٠/٤.

(٢) في (ج): الميزة وقصصهم.

(٣) في (ج): لقوا وامتحنوا به من أممهم.

(٤) في (ج): مسألة.

(٥) في (أ)، (ب): ولكن الله عز وجل أراد.

(٦) أخرج ابن جرير، وأبو الشيخ، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ قال: التوراة والإنجيل الذين أدركوا محمدا صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب فآمنوا به، يقول: سلهم إن كنت في شك بإنك مكتوب عندهم. الدر المنثور ٣٨٩/٤ - ٣٩٠.

(٧) في (أ): أم القرى.

ومثل ما قال وذكر سبحانه ^(١) في قصة يعقوب عليه السلام حين يقول: ﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف: ٨٢]. والقرية فإنما هي لبنٌ وحجارة، والعير فهي الإبل، وليس هي تتكلم، ولكن أقيمت مقام أهلها. ومثل قوله سبحانه: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٣]. والعجل فلا يشرب، وإنما أراد حب العجل، ومحمد صلى الله عليه وآله فأشد الخلق معرفة بالله سبحانه وإعظاما له، لعلمه ^(٢) وفضله وما من الله عز وجل به عليه من تفهيمه وتعريفه، فرحمة الله ورضوانه وصلواته وبركاته عليه.

٢٥٢- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الأنعام: ١١٨] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا أمر من الله سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه للمؤمنين، أن يأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، ثم نهاهم عز وجل ألا يأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه، (فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ﴾ [الأنعام: ١٢١] ^(٣)). فنهاهم الله سبحانه عن أكل ذبائح الملحدين والجاحدين المشبهين، والكفرة المتمردين، لأن هؤلاء كلهم غير عارف بالله عز وجل ولا مقرب به ^(٤)، وإنما يعرفه من آمن به وصدق رسله ووحَّده، وذبائحهم فميتة غير ذكية، لا يحل أكلها، ولا يسع مسلما الانتفاع بها.

٢٥٣- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ؟

(١) في (أ): ومثل قوله.

(٢) في (أ): لله سبحانه وإعظاما لعلمه.

(٣) سقط من (ج): ما بين القوسين.

(٤) سقط من (أ)، (ب): به.

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا إخبار من الله عز وجل عن الظالمين، الخونة الكافرين، أنهم إذا جاءهم آية من آيات الله سبحانه مع محمد صلى الله عليه تبهر العقول وتصح النبوة، قالوا: لن نؤمن حتى نؤتى مثلها كما أوتيتها، فإذا أوتينا ذلك آمنا، وصدقنا أنه من الله.

فقال عز وجل ^(١): ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، أراد: أنكم لستم في موضع الرسالة، ولا منزلة الطهارة، ولا بأهل ثقة ولا أمانة، فاختار سبحانه لرسالته، وما أنزل من حجته ^(٢)، محمداً صلى الله عليه، لأمانته وفضله، ومعرفته بالله عز وجل، وقدره ^(٣) عنده.

وقد يروى أن الذي قال هذه المقالة: الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبو مسعود الثقفي ^(٤).

(١) سقط من (أ)، (ب): فقال.

(٢) في (ج): حججه.

(٣) في (ج): ومعرفة الله وقدره.

(٤) أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قول الله: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ قال: يعني بالقريتين مكة والطائف، والعظيم الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب بن عمير الثقفي.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ قال: يعني ﴿من القريتين﴾ مكة والطائف، والعظيم: الوليد بن المغيرة القرشي، وحبيب بن عمير الثقفي.

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ قال: يعنون أشرف من محمد، الوليد بن المغيرة من أهل مكة، ومسعود بن عمرو الثقفي من أهل الطائف. الدر المنثور ٣٧٤/٧.

وأخرج عبد بن حميد، وابن المنذر، عن مجاهد رضي الله عنه في قوله: ﴿على رجل من القريتين عظيم﴾ قال:

٢٥٤- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الأنعام: ١٣٠]. فقلت: ما معناها ^(١)؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: هذا قول من الله سبحانه لهم في الآخرة عند مصيرهم إلى النار.

يقول: ألم يأتكم رسل منكم، ينذرونكم هذا اليوم ^(٢). وما صرتم إليه من العذاب، فيشهدون على أنفسهم بالكفر والتقصير، حين يقولون: ﴿شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ قال ^(٣): ﴿وَعَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾. بما أنزل الله إليهم، مخالفين لما أمروا به ^(٤) من طاعة ربه. وقلت: هل كان إلى الجن رسل ^(٥)؟

أفلا تسمع كيف يقول الله سبحانه في كتابه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنَّ يَاسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأحقاف: ٢١]. فكان رجوعهم إلى قومهم، وإنذارهم

عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل بن كنانة الثقفي من الطائف، وعمير بن مسعود الثقفي، وفي لفظ: وأبو مسعود الثقفي. الدر المنثور ٣٧٥/٧.

(١) في (ج): ما معنى هذه الآية.

(٢) في (أ)، (ب): أعاد الآية السابقة الذكر.

(٣) سقط من (أ)، (ب): قال.

(٤) في (ج): أمرهم.

(٥) في (أ): رسول.

لهم، إقامة حجة ^(١) عليهم، ومحمد صلى الله عليه فكان الحجة على الثقلين، وقد تقدم تفسير ذلك إليكم ^(٢).

وفي هذه الآية لك شفاء وكفاية، والقرآن فيفسر بعضه بعضا، ويشهد بعضه لبعض، هدى للناس، ومُذْهِباً لِلشَّكِّ وَالْالْتِبَاسِ.

٢٥٥- وسألت عن قول الله سبحانه ^(٣): ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام ^(٤): كذلك الله عز وجل، لم يظلم خلقه، ولم يتعد على أحد من بريته، ولم يكن ليهلك القرى بظلم، لأنه تبارك وتعالى عدل في حكمه، رؤوف بعباده، فأخبر سبحانه أنه لا يهلكهم وهم غافلون.

لأن الإهلاك لهم على غفلة من غير دعوة ظلم، والله عز وجل بريء من ذلك متعالى عنه، لا يعذب إلا من بعد الإعذار والإنذار، فإذا أرسل الله سبحانه إلى أهل القرى المرسلين فدعواهم إلى طاعته ^(٥)، وأمروهم بأمره، ونهواهم عن نهيه، وأقاموا عليهم الحجة، وأوقفوهم على المحجة ^(٦)، زاح عنهم بذلك الجهل والعمى، وتمت عليهم من الله سبحانه النعمى، وعرفوا ما أنكروا، وأوقفوا ^(٧) على ما إليه دُعوا، وبه أمروا، وإن أبوا واستعصموا، وصدوا عن الحق وأدبروا، قامت ^(٨) الحجة

(١) في (ج): الحجة.

(٢) في (ب): إليكم. وسقط من: (أ).

(٣) سقط من (ج): وسألت عن قول الله سبحانه.

(٤) سقط من (ج): قال محمد بن يحيى عليه السلام.

(٥) في (أ)، (ب): الطاعة.

(٦) سقط من (ج): وأوقفوهم على المحجة.

(٧) في (ج): ووقفوا.

(٨) في (ج): وقامت.

عليهم، ولم يكونوا حينئذ بغافلين عما دُعوا إليه، إذ قد أوقفوا عليه، فحق عليهم العذاب عند قيام الحجة^(١)، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]. يقول: ما كان عز وجل ليأخذ قوماً^(٢) على ظلم حتى يبينه، ويدعوهم إلى تركه، ثم يأخذهم عند كراحتهم لأمره، وبعدهم عنه، وثباتهم على ضده، فعند ذلك يستوجبون من الله البلاء.

٢٥٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١] ؟

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: معنى ﴿أَنْشَأَ﴾، فهو: خلق وجعل هذه الجنات التي ذكرهن سبحانه، فالمعروش منها ما كان مثل العنب، يعرش تحته ويرفع، فقال سبحانه: إن مما خلقنا من هذه الجنات، ما هو معروش، فدل عليه بعينه، والعنب فلا ينتصب باسقاء في السماء، وإنما يذهب على الأرض منبسطة، فلما أن كان كذلك، لم يكن له بد من العرش والرفع من الأرض، وإلا فسد حملة، وتغير أكله، ﴿وَعَبَّرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾، فهو: ما كان من الأشجار مثل النخل والرمان، وما أشبه ذلك مما ينتصب ولا يعرش تحته، كل ذلك خلق الله سبحانه، وإقامة الحجة منه على عباده، ونعمة وتفضل^(٣) على بريته، وإنعام عليهم ليشكروه، ويدكروا آلاءه ويحمدوه، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِهِ﴾ - سبحانه كما قال - الشُّكُورُ ﴿[سبا: ١٣]﴾^(٤).

٢٥٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَعَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١] ؟

(١) في (ج): العذاب بغتا والحجة.

(٢) في (ج): ما كنا لنا أخذ قوم على ظلم حتى يبينه، وتدعوهم إلى تركه، ثم تأخذهم عند كراحتهم له، وبعدهم عنه، وينا لهم.

(٣) في (ب): وتفضلا.

(٤) في (ج): ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِي الشُّكُورِ﴾.

قال محمد بن يحيى عليهما السلام: حقه فهو: زكاته، وما جعل الله فيه لضعفة عباده.

وقلت: هل تجب الزكاة في قليله وكثيره، وما جعل الله سبحانه فيه لضعفة عباده؟ واعلم - حاطك الله - أن الزكاة قد جعل الله سبحانه لها حداً، فإذا بلغ شيء مما تخرجه الأرض ذلك الحد، فقد وجبت فيه الزكاة، وإذا نقص عنه فلا زكاة فيه، وتفسير ذلك غير مجهول عندكم، ولا مستتر عنكم، بل قد وصل بكم من قبلنا شرحه وتبيينه.

وقلت: ما أكل منه وانتفع به من قبل ^(١) حصاده هل تجب فيه الزكاة ^(٢)؟ وكل ما قطع أو أكل وانتفع به، وأكثر الأخذ منه، ففيه الزكاة، إذا كانت الزكاة واجبة في أصله، وما كان مما يأكل الداخل للضيعة والطائف فيها، فقد رخص في ذلك، والحيلة في الدين أصلح.

واحتجوا في ترخيصهم بقول الله سبحانه: ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٤١]. فجعلوا ذلك لهم حجة، فصاروا يحملونه، ويقطعون به ويأكلونه، من قبل حصاده، حتى يذهبوا منه بأكثر من ربعه وثلثه، ثم يزعمون ألا زكاة فيه، ويقولون: إنما تجب علينا ^(٣) الزكاة فيه عند حصاده، وهذا قول فاسد مدخول.

وقد يخرج في تفسير الآية ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ أن يأكلوا من ^(٤) الثمر، ويؤدوا الحق فيه ^(٥)، فكان ذلك منه عز

(١) سقط من (أ): رأيت. ومن (ج): من

(٢) في (ج): زكاة.

(٣) في (أ): عليك.

(٤) سقط من (أ): من.

(٥) في (أ): الحق الذي.

وجل^(١) رحمة لهم، وإنظاراً بما يجب عليهم فيه، ولو حضره عز وجل عليهم^(٢) حتى يحصدوه، لأضر ذلك بهم ولأتعبهم، ولكن أطلق لهم سبحانه أكله، وأمرهم بتأدية ما يجب في أوله وآخره عند كماله.

وقلت: إن الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، كان يوجب الزكاة في ما أخذ منه قبل الحصاد؟

فعلى ما ذكرت لك كان يوجب الزكاة، لأنهم كانوا يأخذون عامة الثمار، ويسرفون في ذلك غاية الإسراف^(٣)، وكذلك كان جدي القاسم صلوات الله عليه أيضاً، لم يجز لهم أن يسرفوا، والقول مؤتلف^(٤).

فأما ما ذكرت أن الهادي عليه السلام جعل في ما تبلغ قيمته من الفواكه مائتي درهم، العشر كاملاً، على قدر شرب الماء، فكذلك فعل رحمة الله عليه، في كل ما كان يحمل في الحول مرة واحدة، أو مراراً، وكان يقول عليه السلام في ذلك: إذا بلفت قيمة الخضر والفواكه مائتي درهم في السنة، أخذ في ما سقي بالدلاء نصف العشر، وما سقي سيحاً أو بماء السماء أخذ منه العشر كاملاً.

وقلت: إني جعلت في ورق التوت زكاة قبل يحول الحول عليه؟

وحال الورق كحال القصب، والفواكه، وحال ما يأتي في السنة مراراً مثل القطن وغيره، فإن كان هذا الورق يأتي في السنة مرة واحدة، قوّم عند حضوره، وإن كان يأتي في السنة مراراً أخذ منه بحساب ذلك، إذا كان يوفي في السنة مائتي درهم، وكان من الأموال المستغلة.

وذكرت القز، وما أوجب فيه القاسم والهادي عليهما السلام؟

(١) سقط من (ج): منه عز وجل.

(٢) سقط من (ج): ولو حضره عز وجل عليهم.

(٣) في (أ): ويتصرفون في ذلك غاية التصرف.

(٤) إلى هنا انتهت نسخة (ج).

وما هو إلا مال من الأموال.

٢٥٨- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٣] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هو ما كان له ظفر يعرف به، ويقع عليه اسم الظفر، فهو عليهم محرم، ولكن أباحوه وأكلوه وتعدوا فيه.

٢٥٩- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ﴾ [الأنعام: ١٥٢، الإسراء: ٣٤] ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا أمر من الله عز وجل لعباده في أموال الأيتام ألا يقربوها إلا بالتي هي أحسن، والذي هو أحسن^(١) فهو: الإصلاح فيها والحفظ والتوفير لها.

٢٦٠- وسألت عن قول الله^(٢) سبحانه: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: ١٥٨] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هو حضور الموت، فلا ينفع عبداً إيمانه عند نزول ذلك به^(٣).

٢٦١- وسألت هل يجوز للرجل أن يقر عند مرضه بالديون التي عليه ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ذلك عليه واجب، لا يسعه غيره، ولا يحل له إلا تبينه وشرحه، فإن اهتم المقر له بالدين أنه له ولج إليه استحلف أن هذا الدين حق^(١) واجب على المقر له، وما ولج إليه، ثم يقبض حقه وما أقر^(٢) له به.

(١) سقط من (ب): والذي هو أحسن.

(٢) في (ب): قوله سبحانه.

(٣) في (ب): نزول الكربة.

٢٦٢- وسألت عن رجل يقول: إن موضع كذا وكذا معروفًا لامرأته فلانة، ولم يذكر هبة ولا صدقة، إلا أنه قال: إنه لها، وليس لأحد فيه سبيل عليها؟ قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن كان ذلك الموضع يعرف من ماله، فلم يرد به إلا هبة لها، لأن قوله: لا سبيل لأحد عليها، يدل على تسليمه إليها، ولكن كثيرًا من الناس لا يحسن الشرح.

وقلت: هل يجوز إن كان أكثر من الثلث؟

وهو جائز إن أجازته الورثة، وإن أنكروا ذلك وكرهوه رجع إلى الثلث، ولا يجوز للميت أن يوصي بأكثر من ثلثه، للخبر الذي جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله، والكتاب أيضًا ينطق بذلك في قول الله عز وجل: ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا﴾ [النساء: ٣٢]، ولم يقل: كلما اكتسبوا.

٢٦٣- وسألت هل يجوز لرجل أن يهب ثلث ماله لموهوب، ثم يهب له ثلثًا آخر، ثم يهب له أيضًا أو لغيره ما بقي من ماله؟

(١) في (أ): حق له.

(٢) في (ب): وما أوحى.

(٣) أخرج البخاري برقم (١٢١٣)، ومسلم برقم (٣٠٧٦) بلفظ: عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُوذُنِي عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي فَقُلْتُ إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الْوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرْتَبِي إِلَّا ابْنَةُ أَفَاتُصْدُقُ بِنْتُي مَالِي قَالَ لَا فَقُلْتُ بِالْشُّطْرِ فَقَالَ لَا ثُمَّ قَالَ الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ أَوْ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَذَرُ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أَجَرْتَ بِهَا حَتَّى مَا تَحْتَلُ فِي فِي أَمْرَاتِكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْلَفُ بَعْدَ أَصْحَابِي قَالَ إِنَّكَ لَنْ تُخْلَفَ فَتَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا إِلَّا أَزْدَدْتُ بِهِ دَرَجَةً وَرَفَعَةً ثُمَّ لَعَلَّكَ أَنْ تُخْلَفَ حَتَّى يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْسَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ اللَّهُمَّ أَمْنُصِ لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَى أَعْقَابِهِمْ لَكِنَّ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خُوَلَةَ يَرْتِي لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ مَاتَ بِمَكَّةَ.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ما أحب لأحد من المسلمين أن يفعل ذلك، لأنه يضر بولده ويهلك نفسه، ويخالف تأديب ربه، ولا يحظر عليه فعله في ماله، فإن مات كان لورثته في ذلك نظر وكلام، على قدر ما يعرف من قوله ^(١)، وما قصد إليه في مذهبه، ويكون فيه نظر لأهل العلم، يوفق الله عز وجل له، وقد جاءت في ذلك أخبار وروايات، وقد يكون هذا من فعل الفاعل على طريق الظلم لورثته، والتوليع عنهم.

وقد شرح الهادي عليه السلام هذا في كتاب الأحكام وبينه، وهو عندكم، نسأل الله العون والتوفيق والهداية والتسديد بمنه ورأفته.

٢٦٤- وسألت عن رجل قتل رجلاً عمداً أو خطأ فعفا الأولياء عن القود والدية في الخطأ والعمد. فقلت: هل يجوز ذلك له؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إذا عفا الأولياء عن الدية من بعد أن يعرض عليهم، فذلك جائز حسن.

ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ [النساء: ٩٢]. فأجاز الهبة والتصدق ^(٢) بها، والإحسان فيها، وقد قال الله ^(٣) عز وجل في موضع آخر: ﴿وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] فإذا وهب الولي الدية التي حكم الله بها فذلك جائز.

٢٦٥- وسألت عن من لزمه عتق رقبة عن ^(٤) قتل الخطأ فأعتق عنه رجل آخر؟

(١) في (أ): فعله.

(٢) في (ب): والصدقة.

(٣) سقط من (أ): الله.

(٤) في (ب): في.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن كانت هذه الرقبة التي أعتقها عنه غيره قد وهبها له، فقد صارت في ملك صاحب الكفارة، فجائز له عتقها، وهي تجزي عنه، وتقوم بكفارته^(١)، وإن كان الرجل أعتقها هو عن صاحب الكفارة، ولم يعتقها صاحب الكفارة، فهي من مال المعتق، وعلى صاحب الكفارة رقبة، لأنه لا يجوز له ولا يخلصه إلا عتق رقبة يملكها، فإن برّه أخوه المسلم، ووهب له رقبة فأعتقها هو من بعد ملكه إياها، كان ذلك له جائزاً، وعنه مقبولاً.

وقلت: أما أفضل في كفارة القتل، العبد أم الأمة؟

والعبد والأمة في ذلك سواء إذا كان مؤمنين، لأن الله سبحانه يقول: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾. ولم يذكر عبداً ولا أمة.

وأما قاتل العمد فإذا قاد من نفسه فصصح عنه ولي الدم، وقبلت^(٢) الدية منه، وأناب إلى الله عز وجل، فقد خلص من ذنبه، لأنه قد أقاد نفسه، وفعل ما أوجب الله عز وجل فعله عليه، فصصح الأولياء عنه^(٣)، وليس عليه إلا دية يسلمها، فإن وهبوا له الدية فحسن، وذلك له جائز، وليس عليه رقبة، غير أني أحب له من غير أن أوجه عليه أن يعتق، لأن في عتق الرقبة أجراً عظيماً، ويخلص الله سبحانه التوبة من ذنبه، وما ارتكبه نم عظيم فعله، وفي عتق الرقبة له فضل عظيم وأجر، لأن الله سبحانه^(٤) يقول: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ﴾ [البقرة: ١٨٤]. وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. ودية الخطأ على العاقلة، ودية العمد إذا عفا عن صاحبها، ولم يقتل، وقبلت الدية منه فهي في ماله، وليس على العاقلة منها شيء،

(١) في (أ): لكفارته.

(٢) في (ب): قاد نفسه فصصح عنه وقبلت.

(٣) سقط من (ب): عنه.

(٤) في (ب): فضل وأجر، لأن الله تبارك وتعالى.

لأن العاقلة لا تعقل عمداً ولا عبداً ولا اعترافاً ولا صلحاً، فافهم هديت ما عنه سألت.

٢٦٦- وسألت عن قوم شركوا^(١) في شبكة كانوا يصطادون بها، فمرض أحدهم واصطاد شركاؤه وعملوا بها، فطالبهم المريض بحصته التي تلزم له في جزئه وحقه من الشبكة؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: هذا على قدر ما بنى عليه المتشاركون أمرهم^(٢)، فإن كانوا بنوا أمرهم على الشركة في الشبكة، على أنهم إن اصطادوا بها مجتمعين^(٣) أو مفترقين فهم فيه سواء، وجعلوا ذلك مثل المشتركين المتفاوضين فله حقه، وإن مرض ولم يحضر، فإن كانوا جعلوا الشركة على أنهم يصطادون كلهم^(٤) معاً ويتعاونون، فمرض أحدهم واصطاد الآخرون، فالصيد لهم وعليهم أن يعطوه ما يجب له من كرى الشبكة، فإن كانوا خمسة فله خمسها، فينظر كم يكون كرى الشبكة في الأيام التي اصطادوا بها وهو مريض، ثم يعطونه خمس الكرى، وفي هذا أيضاً باب حسن إذا وقع مثل هذا، أو التبس^(٥) ولم يميز بتحديد دخل بينهم بصلح، فإن الله يقول: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

٢٦٧- وسألت عن قوم من الموحدين خرجوا مع قوم من الفاسقين في حرب أعدائهم من الكفرة الظالمين بغير إمام، خوفاً على أموالهم وحرمهم وديارهم،

(١) في (ب): تشركوا.

(٢) في (أ): المشاركون أمرهم.

(٣) في (أ): مجتمعين.

(٤) في (ب): أنهم كلهم يصطادوا.

(٥) سقط من (ب): يكون.

(٦) في (ب): والتبس.

فقاتلوا حتى قهروا عدوهم، وغنموا أموالهم ثم انصرفوا إلى بلدهم، ولم يعنوا في الأرض فساداً؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن كان هؤلاء القوم الموحدين خرجوا في حرب عدو قد قصدهم، يريد: إهلاكهم وهتك حرمتهم، واستعانوا معهم بغيرهم ليدفعوا به عن أنفسهم، ويقولوا بهم ^(١) على الدفع لهذا العدو ^(٢) الظالم القاصد لهم، الطالب لهلكتهم، فذلك جائز حلال، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون عقله بغير ^(٣) فهو شهيد» ^(٤)، والله سبحانه يقول: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. كك ولا تهلكة أشد من ترك ظالم يهتك الحرم، ويسفك الدماء وهو يقدر على إبعاده ومنعه من ذلك ^(٥)، وقال سبحانه: ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ آعْتَدَ عَلَيْكُمْ فَاَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آعْتَدَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. فإذا قصد المسلمين ظالم يريد إهلاكهم، وكانوا يطبقون الانتصار منه فعليهم أن يحموا دماءهم وكرامتهم، وما أنعم الله عز وجل عليهم به من نعمهم، ولا أحب هؤلاء الموحدين أن يسيروا إلى هذا الظالم إلى موضعه، ولا يقاتلوه في

(١) في (ب): به.

(٢) سقط من (أ): العدو.

(٣) في (ب): ماله وحريم فهو شهيد، ومن قتل دون بعيره.

(٤) أخرج أحمد برقم (١٥٦٥)، والترمذي برقم (١٣٤١)، والنسائي برقم (٤٠٢٩)، وأبو داود برقم (٤٠٢٣) بلفظ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمَارٍ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَوْفٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرَ مِثْلَهُ.

(٥) سقط من (أ): ما بين القوسين. وترك مكانه بياضاً.

بلده ^(١) إلا أن يكونوا مع إمام، فأما إذا قصدهم فجائر حرب، حلالٌ عند الله عز وجل جهاده، وإن كان عدوهم هذا على مسيرة ^(٢) عشرة أيام منهم وكانوا له خائفين ولم يقصدتهم، ثم جاء ^(٣) ظالم يقصد هذا العدو يطمع بقتله وإزالته وأخذ مكانه، فليس لهم أن يسيروا معه إلى العدو الذي يخافون، لأن هذا الظالم يقصد ظالماً يطلب ما في يده، ويحاربه على بلده، يريد الرياسة والظلم، والنهب والغشم، فلا يحل اتباعه، لأنهم إذا تبعوه فقد قواه، وإذا قواه فقد أظهره، وإذا أظهره فقد أعانوه على هلاك الإسلام والمسلمين، وشركوا معه في ما أهلك من المؤمنين، وثبتوا عزه، ونصبوا ملكه، ومن فعل ذلك فليس من الله في شيء، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

فعلى من فعل ذلك التوبة، والرجعة والإقلاع والإنابة، فإن الله سبحانه ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥]، وفي هذه المسألة جواب لو فسّرناه وفرّعناه لكان كثيراً، وقليل ينفع ويجزي خير من كثير لا ينفع ولا يغني. نسأل الله سبحانه العون والتوفيق والهداية والتسديد، فإن من وفقه الله فقد سدد، ومن سدده فقد أمن الزلل والخطأ، وصار إلى أفضل درجة وأكمل نعماء.

٢٦٨- وسألت عن رجل ظالم منع الناس طريقهم، وقطع عليهم سبلهم ^(٤)، وكان في جواره رجل لم يرض بفعل هذا الظالم ثم أدخل هذا الظالم، نصف هذه الطريق في داره، وقطع طريق ^(٥) المسلمين المسلوكة، وأضر في ذلك بهم،

(١) سقط من (أ): في بلده.

(٢) في (ب): مسير.

(٣) في (ب): حتى جاء. وفي (أ): ويطمع.

(٤) في (ب): سبلهم.

(٥) في (ب): طرق.

وضيق بفعله عليهم، وبقي نصف الطريق مما يلي جاره ^(١) معطلا. فقلت: هل يحل لجار هذا الظالم أن يزرع بقية هذا ^(٢) الطريق. وقلت: إن زرعه فما حال ثمره ؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إن كان هذا الغاصب لطريق المسلمين الظالم لهم، قطع الطريق طولاً، فقد ضيق مسلكها ^(٣) وظلم في أخذها، ولا يجوز لجاره ^(٤) أن يأخذ باقيها، بل يتركه ينفذ فيه من احتاج إليه، وسار فيه ووسعه، وإن كان أخذها عرضاً فقد قطعها عليهم، فلا يحل لجاره أن يأخذ ما فضل عنده منها، لأن هذا قد ظلم وتعدى.

ولو وجد المسلمون من ينصفهم ^(٥) لهدم الحاكم ما بنى، وعاقبه فيما فعل وأتى، لأن قطع طرق المسلمين حرام، وعلى من فعل ذلك أكبر الآثام، وإن زرع هذا الرجل باقي هذه ^(٦) الطريق فقد زرع فيما لا يملك، وحاله كحال من زرع في غير أرضه فيكون حكمه كحكم غيره ممن زرع فيما لا يملك ^(٧)، فيأخذ بذره وما يجب له في أرض لو عملها لغيره بغير أذنه، ويخرج ^(٨) باقيها للمساكين، وضعفة المسلمين، فهذا أقرب له إلى الخلاص ولا يعود لزرعها. وقد قيل في هذا بأسباب رخص فيها، ولسنا نرى ذلك صواباً ولا نقول به.

(١) في (ب): داره.

(٢) في (أ): هذه.

(٣) في (ب): سلكتهم.

(٤) في (أ): نجب لجارها.

(٥) في (أ): ينصفهم منه.

(٦) في (ب): هذا.

(٧) سقط من (أ): ما بين القوسين.

(٨) في (ب): ويكون.

٢٦٩- وسألت عن رجل تزوج بامرأة فزنت قبل أن يدخل بها. فقلت: هل يدفع إليها مهرها أم لا؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: حالها في مهرها إذا زنت قبل دخوله بها ^(١)، كحالها إذا فعلت ذلك بعد دخوله بها، لأنها ^(٢) إذا أتت بغيا وهي عنده ^(٣) وقامت عليها البيعة بذلك، أقيم عليها الحد ورجمت، وكان مهرها لورثتها يرثونه كما يرثون مالها، وإذا ما أتت بغيا ^(٤) قبل الدخول بها، فإن طلقها فلها نصف مهرها، وإن حبسها واستتاها بعد الحد الذي يمضي عليها، وبانت له توبتها ثم دخل بها فلها المهر كاملاً، وأحب إلي له وأشبه بأخلاق المؤمنين، وأفعال الصالحين، أن يفارقها ولا يدخل بها، لما كان من حدثها، وعظيم جرمها.

وقد قال بعض أهل العلم: إنما حرم نكاح الزانية إذا عُرِفَتْ بذلك وعُلم منها، فلا يحل لأحد أن ينكحها، ولم يبن له توبة. فأما إذا كانت في حبال الزوج ثم زنت، فإنما تزوجها وهي مستورة، ثم أتت بغياً بعد ذلك فأقيم الحد عليها واستتيت، فحائز الإمساك لها، وإن فعل ذلك بعد توبتها لم نضيقه عليه ^(٥)، والذي هو عندي أفضل وأصلح، فالفراق لها والبعد من قربها.

٢٧٠- وسألت عن رجل أعطى دراهم بقز دون سعر يومه، وكان يوم أعطاه الدراهم بثلاثة طيبا شيخ ^(٦)؟

(١) سقط من (أ): بها.

(٢) سقط من (ب): لأنها.

(٣) إلى هنا انتهت نسخة (أ).

(٤) في (ب): ماتت بغيا. وما أثبت اجتهاد.

(٥) في (ب): عليها. وما أثبت اجتهاد.

(٦) كذا في المخطوط. بيد أن الكلمة الأولى مهملة.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن كان ذهب في هذا الفعل إلى حد السلم وقصده، فالسلم له حدود وشروط، قد شرحناها لكم وبينناها.

فمن قاربها وعمل بما شرحنا فيها، فحائز السلم على ما فسرنا لكم فيه، فإن كانت هذه المعاملة للزيادات والأرباح فلا يجوز. كمثل رجل اشترى من رجل من قز بخمسة دنانير إلى أجل، والقز يسوى في ذلك الوقت بالنقد ثلاثة دنانير، فهذا لا يحل، وهو الربح العجلان، وكل بيع أو معاملة وقع فيها الفساد، رد كل إنسان ما أخذ سواء.

٢٧١- وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ (الحجر: ٩١) فقلت: ما تفسير ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هم نفر من قريش كانوا يقولون إذا قرأ رسول الله عليه وآله السلام، عليهم القرآن: يعضنوا، وكانوا يقولون: هذا عضين، يريدون: هذه عضة، فيستهزؤون بالقرآن، ويجعلون الظاء ضاداً، ويزيدون فيها الباء والتون، استهزاء منهم واستخفافاً بما جاء به خاتم النبیین عليه وآله السلام.

٢٧٢- وسألت عن حديث العقيلي. حين سأل رسول الله عليه وآله السلام، أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال رسول الله عليه وآله السلام: كان في غمامة تحته هواء وفوقه هواء^(١)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث باطل كذب على رسول الله عليه وآله السلام، كان عليه وآله السلام أعرف بالله عز وجل من أن يقول فيه بهذا القول، لأن هذا من قول المشبهة، ومن لا يعرف الله سبحانه، لأن هذه الغمامة لا تخلو من أن تكون لم تنزل مع الله عز وجل، فقد جعلوا مع الله عز وجل شيئاً أزلياً،

(١) أخرج أحمد برقم (١٥٦١١)، وابن ماجه برقم (١٧٨)، والترمذي برقم (٣٠٣٤) بلفظ: عَنْ وَكِيعٍ بْنِ خُنُسٍ عَنْ عَمِّهِ أَبِي زَرْبٍ الْعُقَيْلِيِّ أَنَّهُ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَالَ فِي غَمَامَةٍ مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ وَتَحْتَهُ هَوَاءٌ ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ.

أو لم تكن ثم كانت، فقد كان ولا مكان ولا سماء ولا أرض ولا سحب ولا ليل ولا نهار، المستغني^(١) عن الأمكنة، لا تنقصه الليالي^(٢) والأزمنة، ولو كان في سحب تحمله لكان محدوداً، وكان من غيره خالياً ومنه معدوماً، تعالى الله عز وجل عن هذه الصفة علواً كبيراً، وفي هذا من الحجج كثير^(٣) غير أن هذا الحديث حديث لا يقول به مسلم.

٢٧٣- وسألت عن الحديث الذي يروى في المراء في القرآن كفر^(٤)؟

ولعمري إن المراء فيه بالباطل والتحريف له عن مواضعه، والتأويل له على خلاف ما جعله الله سبحانه لكفر، لا يحل ذلك ولا ينبغي لأحد فعله.

٢٧٤- وسألت عن الحديث الذي يروى في القرآن أنه على سبعة أحرف^(٥)؟

وقد روى ذلك كثير من الناس غير أنهم قد قرأوا ذلك باختلاف، أخرجوه من اللغة، والقرآن فإنما هو عربي، فما زال عن لغة العرب فقد حُرِّفَ عما أنزله عز وجل في كتابه، آية أجرت^(٦) عن النظر في كلامهم واختلافهم، حين يقول سبحانه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٢٨].

(١) في (ب): لمستغني. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في (ب): لا تنقصه من الليالي. وما أثبت اجتهاد.

(٣) في (ب): كثيرا. وما أثبت اجتهاد.

(٤) أخرج أحمد برقم (٣٩٨٧)، وأبو داود برقم (٣٩٨٧) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٦٠٨)، ومسلم (١٣٥٤)، والترمذي (٢٨٦٧)، والنسائي (٩٢٧)، وأبو داود (١٢٦١)، وأحمد (١٥٣)، ومالك (٤٢٣).

(٦) كذا في المخطوط.

وأصح القراءة عندنا قراءة أهل المدينة ^(١)، وقد وجهت إليكم بمصحف على قراءة أهل المدينة، فاقصروا عليه، وعلى شكله إن شاء الله تعالى.

وقلت: إن كفر إنسان بحرف من القرآن وجحدته، هل كفر بالقرآن كله؟
واعلم - حاطك الله - أن من جحد منه آية أو حرفاً، وقال ليس من الله، فقد استوجب الإستتابه، فإن تاب وإلا كان كافراً، يجب عليه من الحكم ما يجب على مثله، لأن من جحد فعل الله عز وجل في شيء من خلقه، كمن جحدته في سماواته وأرضه، سواء سواء.

وأما الحديث الذي يروى في التمني ^(٢) فلا نعرفه، عنه عليه وآله السلام.

٢٧٥- وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا أمر من الله عز وجل، أمرهم ألا يتمنوا ما فضل الله به بعضهم على بعض، وهذه في المواريث، جعل بعضهم أكثر من بعض، وإذا تمنوا خلاف ما حكم الله سبحانه به، كانوا بذلك غير مسلمين لحكمه، ولا راضين بقسمه، ومن فعل ذلك فهو من المخطئين ^(٣)، وعند الله عز وجل من المسيئين.

وقد قيل: إنه يدخل في هذه أيضاً ما فضل الله سبحانه [به] النبيين.

٢٧٦- وسألت عن الحديث عن رسول الله عليه وآله السلام: هل يخالف الكتاب؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: اعلم - هداك الله وأعانك - أن كل حديث صح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فإنه غير مخالف للكتاب، بل الكتاب

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) لعله يقصد حديث الغرائق.

(٣) في المخطوط: التخطين. وما أثبت اجتهاد.

يشهد عليه بالحق، وينطق فيه بالصدق، وفي ذلك ما يروى عنه عليه وآله السلام، أنه قال: «يكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله، فما وافقه فهو مني وأنا قلته، وما خالف كتاب الله فليس مني، ولم أقله».

٢٧٧- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام: «إن عم الرجل صنو أبيه»^(١)، فقلت: ما معناه؟

ومعنى ذلك أنه أراد عليه وآله السلام بقوله: «صنوا أبيه»، أي: أخو أبيه، وابن الرجل أقرب إليه من أخيه.

٢٧٨- وسألت عن ﴿صِنَوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]، ما معناها؟

والصنوان فهي: ما كان من النخيل مجتمعاً، وأصل واحد تسميه العرب صنواناً.

٢٧٩- وسألت عن حديثه عليه وآله السلام، أنه قال: «لا يموت المؤمن ثلاثة أولاد فمسته النار»^(٢)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: المؤمن على كل حالاً تمسه النار، مات له ولد أو لم يموت، والحديث فلا أعرفه كذا من النبي عليه وآله السلام، غير أنه إذا مات للمسلم ولد أُجِرَ في التسليم لأمر الله سبحانه، والرضا بحكمه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

٢٨٠- وسألت عن رجل حلف لأفعلن كذا وكذا، ثم فعل شيئاً منه دون شيء؟

(١) أخرجه مسلم برقم (١٦٣٤)، والترمذي برقم (٣٦٩٤)، وأبو داود برقم (١٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٢١٩)، ومسلم برقم (٤٧٦٦)، والترمذي برقم (٩٨٠)، والنسائي برقم (

١٨٥٢)، ومالك برقم (٤٩٥).

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن كان هذا الشيء أشياء مختلفة، حلف فيها فقد حنث، إن لم يفعلها كلها، إن كانت مما يرضي الله سبحانه، وإن كانت شيئاً واحداً لا ينقسم فقد برّ.

٢٨١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ [مرم: ٧١] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عز وجل: بورودهم إياها: حضورهم لها، ولم يرد دخولهم فيها، فلما أن كانوا يشاهدونها ويصرونها، قال سبحانه: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. والقرآن فعربي، وإنما خاطب الله سبحانه العرب بلغتها، والعرب تقول وردنا البئر، ولم يريدوا برودها دخولاً فيها، ولكنهم دنوا منها وأشرفوا عليها، ولو كانوا يدخلونها كما تقول العامة، لكان ذلك خلافاً لقوله سبحانه حيث يقول: ﴿لَا يَخْزُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيْنَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣]. وقال عز وجل: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]. وأي خزي هو أشد من دخول النار؟! ويقول سبحانه: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢]. وإذا دخلوها فقد ذاقوا حرها، وسمعوا حسيستها، وأرف^(١) بهم بأسها، وانطبق عليهم لخبها، وهذا من القول فمحال، لا يقال به في الله ذي العزة والجلال.

والحديث الذي ذكرت أنه يروى عنه عليه وآله السلام في الأرض، فلسنا نعرفه. وأما ما سألت عنه من خلق الله سبحانه لعباده حنفاء، وأضلهم الشيطان^(٢) ؟

(١) كذا في المخطوط.

(٢) الحديث أخرجه مسلم برقم (٥١٠٩)، وأحمد برقم (١٦٨٣٧) بلفظ: عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُحَاشِبِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أَعْلَمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَنَّمَنِي يَوْمَئِذٍ هَذَا كُلُّ مَا لَمْ تَحْلُثْهُ عِبَادًا حَلَالًا وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حَنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَّمْتَ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ

فلعمري ما خلق الله سبحانه خلقه إلا لطاعته، ونهاهم عن معصيته، وأقام عليهم الحجة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]. فأجازوا الكفر لنفوسهم، وتبعوا الشياطين في إغوائهم، وأصبح من كان كذلك من الخاسرين، وعند الله سبحانه من المالكين.

٢٨٢- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، في صلاة الضحى

؟

وليس ذلك عندي بصحيح، ولا نرويه عنه، بل يروى أنه نهي عن صلاة الضحى، ونظر إلى رجل يصلي الضحى، فقال: ما له ينحر الصلاة نحره الله^(١).

٢٨٣- وسألت عن معنى لبيك اللهم لبيك ؟

الْأَرْضِ فَمَنَعَهُمْ رَبُّهُمْ وَعَجَمَهُمْ إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَقَالَ إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَتَّبِلِكَ وَأَتَّبِلِيَ بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ تَقَرُّوهُ نَائِمًا وَيَقْظَانِ وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا تَلَقَّوْا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً قَالَ اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرِجُوكَ وَاغْرُهُمْ نَعْرًا وَأَنْفَقَ فَسَنَنْفِقَ عَلَيْكَ وَأَبْعَثْ جَيْشًا تَبْعَثْ خَمْسَةَ مِثْلَهُ وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ قَالَ وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌ مُوَفَّقٌ وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٌ وَعَقِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...

(١) أخرج زيد بن علي في المسند/١٣٢ عن علي عليه السلام. والبخاري برقم (١١٠٨)، ومسلم ٤٩٨/١) (٣٣٦)، والطبراني في الكبير ٤١٧/٢٤ (١٠١٦)، وأبو داود ٢٨/٢ (١٢٩٠)، والترمذي ٣٣٨/٢ (٤٧٤)، وغيرهم، واللفظ للبخاري: عَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ قَالَ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَكَانَ ضَخْمًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَا أَسْتَطِيعُ الصَّلَاةَ مَعَكَ فَصَنَعَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَعَامًا فَدَعَا إِلَى بَيْتِهِ وَتَضَعُ لَهُ طَرَفَ خَصِيرٍ بِمَاءٍ فَصَلَّى عَلَيْهِ رَكَعَتَيْنِ وَقَالَ فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ بَنِي جَارُودٍ لَأَنْسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَكَاَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي الضُّحَى فَقَالَ مَا رَأَيْتُهُ صَلَّى غَيْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ.

وذكر الإمام الهادي عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نظر إلى رجل يصلي الضحى فقال: ما له ينحر الصلاة نحره الله. المنتخب/٦٣.

ولبيك فهو: إجابة الله سبحانه، وتعظيم لما نذب إليه من الحج، وقوله لا شريك لك، يقول: لا شريك لك في العبادة، ولا إله معك، والحمد فهو: الشكر له عز وجل على نعمه، وقوله: والنعمة لك، التي على العبد، والملك فهو: ملك الله عز وجل للأشياء جميعا، لا شريك له في ذلك، ولا نظير.

٢٨٤- وسألت عن الحديث الذي روي عنه عليه وآله السلام، في قتل شيوخ

المشركين، واستحياء شرحهم؟

وشرحهم، فهو صبيّا فهم، فقد نهي عليه وآله السلام، عن قتل الصبيان، وأمر بقتل من عتد عن الحق من شيخ وشاب بالغ، وقد يدخل في شرح الشباب أبناء الثلاثين والأربعين، وهؤلاء إذا لم يطيعوا، وحاربوا فهم من المقتولين، والذي نهي عنه رسول الله عليه وآله السلام فقتل الصبيان والنساء، وأما الحديث الذي يروى أنه كره عليه السلام الشكال في الجمل^(١)، فهذا حديث لا نعرفه، ولم نسمع به.

وأما الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، أنه خطب الناس على راحلته، وهي تقصع بجرتها^(٢)، فذلك حديث صحيح، وإنما كان هذا منه عليه وآله السلام في السفر لا في القرية والحضر.

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٤٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ الشَّكَالَ مِنَ الْخَيْلِ.

وَالشَّكَالَ مِنَ الْخَيْلِ أَنْ تَكُونَ ثَلَاثُ قَوَائِمٍ مُحَجَّلَةٌ وَوَاحِدَةٌ مُطْلَقَةٌ أَوْ تَكُونَ الثَّلَاثَةُ مُطْلَقَةً وَرَجُلٌ مُحَجَّلَةٌ وَلَيْسَ يَكُونُ الشَّكَالَ إِلَّا فِي رَجُلٍ وَلَا يَكُونُ فِي الْيَدِ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٠٤٧) بلفظ: عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ وَأَنَا تَحْتَ جِرَانِهَا وَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا وَإِنْ لَعَانَهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَفَيْيَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ اللَّهَ أَغْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَلَا وَصِيَّةَ لَوَارِثٍ وَالْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ رَغْبَةً عَنْهُمْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا.

٢٨٥- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام أن المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء^(١)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد كان ذلك منه عليه وآله السلام، وقد روي أنه قاله، وذلك أن رجلاً من أهل الشرك قدم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فبات عنده، فأمر له بعشاء فأمر له بعشاء كثير يكفي رجلين، فأكله ولم يشبع، ثم أمر له بقدر لبن فشربه فلم يشبع، ثم أمر له بطعام فعمل أكثر من الأول، وسقي لبناً من بعده فشبع. فلما أن صلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصبح أمر له بطعام كثير فعمل [كما عمل أولاً]، ثم أسلم الرجل على يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر به فقدم إليه الطعام، فلم يؤثر منه إلا أثراً ضعيفاً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ألا تأكل؟! فقال يا رسول الله: ما أطيق أكثر مما أكلت. فعند ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «المؤمن يأكل في معاء واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء».

٢٨٦- وسألت عن الحديث الذي يروى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»^(٢)، فلعمري أن من لم يستح لجدير

(١) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ٤٠٧/٢.

وأخرجه مسلم برقم (٣٨٤٣) بلفظ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عِيسَى أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَافَهُ ضَيْفٌ وَهُوَ كَافِرٌ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَحَلَبَتْ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أُخْزِيَ فَشَرِبَهُ ثُمَّ أُخْزِيَ فَشَرِبَهُ حَتَّى شَرِبَ حِلَابَ سَنَعِ شِيَاهُ ثُمَّ إِنَّهُ أَصْبَحَ فَأَسْلَمَ فَأَمَرَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَاةٍ فَشَرِبَ حِلَابَهَا ثُمَّ أَمَرَ بِأُخْزَى فَلَمْ يَسْتَمِعْهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُؤْمِنُ يَشْرَبُ فِي مَعَى وَاحِدٍ وَالْكَافِرُ يَشْرَبُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٤١٦٢) بلفظ: عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَهُوَ يَعْطُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَعْنِي فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ.

أن يفعل ما أحب، والحياء من الدين كما قال عليه السلام ^(١)، ولا دين لمن لا حياء له، ومن لم يستنج من الله لم يطعه، ومن لم يطعه كان حقيقاً بجهنم.

٢٨٧- وسألت عن الحديث الذي يروى في المصلي إن الشيطان يقول له في تطويل صلاته: إنك ترأي؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا ينبغي لأحد أن يشغل نفسه بوسواس الشيطان، ولا يفسد نيته بمعارضه، وليمض على نيته وقصده.

٢٨٨- وسألت عن العج والثج ^(٢)؟

والعج فهو: التلبية والدعاء إلى الله عز وجل، والثج فهو: النحر.

٢٨٩- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: «إن الخراج بالضمان» ^(٣).

والخراج فهو: الغلة، وهو للمشتري إذا استحق عليه المال، بما يشغل من بضاعته.

٢٩٠- وسألت رجل دفع بقرة حلوبا إلى رجل، على أن يحفظها ويرعاها،

ويكون الولد الذي تلد بينهما نصفين، ومع البقرة ولد ولم يشترط في اللبن

شيئاً، ولا في الولد الذي معها، وإنما اشترط فيما تلد مستقبلاً، ثم بدا له أن

يأخذها من يده بعد ما مر عليه أشهر. فقلت: كيف الحكم في ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ما فعل هذان الرجلان فحرام لا يجوز، لأن

صاحب البقرة استأجر الراعي بشيء عَدَمَ لم يوقف عليه، وهذا فاسد، وله أجرة

(١) رواه الهادي في الأحكام ٥٤٧/٢.

(٢) أخرجه الدارمي برقم (١٧٢٩) بلفظ: عَنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ سُلِّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ قَالَ النَّعِجُ وَالنَّجُ النَّعِجُ يَعْنِي التَّيْبَةَ وَالنَّجُ يَعْنِي إِهْرَاقَ الدَّمِ.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٢٠٦)، والنسائي برقم (٤٤١٤)، وأحمد برقم (٢٤٨٠٦) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَضَى أَنَّ الْخَرَاجَ بِالضَّمَانِ.

مثله في مدته التي رعاها، وإن خلفها عنده بأجرة، ثم تلفت بوجه ضياع، وتقصير ضمن وغرم، وإن تلفت بما لا حيلة فيه ولا تضييع، فليس عليه ضمان، وإن تلفت بشرطهما الأول فلا ضمان عليه، إلا إن يكون قتلها أو يعمل في إتلافها، فأما ما يطالب به الأجير في أجرته من الضمان، فلا يلزم هذا، لأنه لم تصح له أجرة في معاملته الأولى.

٢٩١- وسألت عن رجل له غنم ويقر فأراد أن يدفعها إلى رجل كيف يعمل ؟ قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: يفعل فيها أحد معنيين، إما استأجره فيها بنقد مسمى إلى مدة معروفة، وإما أن يعطيه بعضها على أن يرعاها كذا وكذا سنة، فذلك جائز.

٢٩٢- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « لا جزية على مسلم »^(١). فقلت: كيف تكون على مسلم جزية ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إنما أراد عليه وآله السلام بقوله: « لا جزية على مسلم »، أنه لا جزية على أحد من أهل الكتاب بعد أن يسلم، مثل اليهودي يسلم عند وجوب الجزية عليه، فيطلب منه ما وجب عليه من الجزية قبل إسلامه، فلا يجوز أن يؤخذ منه شيء، لأن الإسلام قد طرح منه ما كان عليه أولاً.

٢٩٣- وسألت عن الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « في النهي عما كانوا يتعاملون به في المزارعة من اشتراطهم ثلث جداول وما سقى الربع »؟

وهذه معاملة حرام لا تجوز، وليس الخبر فيها بصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لأنه قد نهي عن الغرر.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٢٦٥٥)، والترمذي برقم (٥٧٤)، وأحمد برقم (١٨٤٨) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ جَزِيَّةٌ.

وأما الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «من يسره أن يذهب وحر صدره فيصم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر»^(١). فقد روى عنه عليه وآله السلام أنه دل على فضل صيام ثلاثة أيام في كل شهر، وهي تسمى أيام البيض، وروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: «من صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر»^(٢).

وشهر الصبر فإن كان روي عنه بهذه اللفظة، فالذي أراد شهر رمضان، لأن صيامه واجب، وليس لأحد رخصة في ترك صيامه، إلا من ذكر الله سبحانه.

٢٩٤- وسألت عن قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من تعلم القرآن ونسيه حشر يوم القيامة أجذم»^(٣)؟

(١) أخرجه النسائي برقم (٢٣٦٦) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ شَهْرُ الصَّبْرِ وَثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَوْمُ الدَّهْرِ.

وأخرج النسائي أيضا برقم (٢٣٤٤) بلفظ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شَرْحَبِيلٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ قِيلَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ يَصُومُ الدَّهْرَ قَالَ وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَطْعَمْ الدَّهْرَ قَالُوا فَتَلْتَنِيهِ قَالَ أَكْثَرَ قَالُوا فَصَفَّهُ قَالَ أَكْثَرَ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يَذْهَبُ وَحَرَ الصَّدْرِ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٣٩) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا عَبْدَ اللَّهِ أَلَمْ أُخْبِرْ أَنَّكَ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقُومُ اللَّيْلَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَلَا تَفْعَلْ صُمْ وَأَفْطِرْ وَقُمْ وَتَمَّ فَإِنْ لَجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِرُؤُوسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنْ لِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ كُلَّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فَإِنْ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فَإِنْ ذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ فَتَشَدَّدْتُ فَتَشَدَّدْتُ عَلَيَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً قَالَ فَصُمْ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَا تَرُدَّ عَلَيْهِ قُلْتُ وَمَا كَانَ صِيَامَ نَبِيِّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ يَصِفُ الدَّهْرَ فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يَقُولُ بَعْدَ مَا كَبِرَ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةً النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (١٢٦٠) بلفظ: عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ أَمْرٍ يُقْرَأُ الْقُرْآنُ ثُمَّ يُنْسَاهُ إِلَّا لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَجْذَمًا.

فهذا حديث أكرمك الله لا نعرفه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذه المسائل أحاديث ضعيفة لم يروها عالم، وليس لها أصل، فما كان مثل هذا فليس للنظر فيه معنى، لأن ما لم يصح ولم ينقله الثقة، ولم يشهد له الكتاب، فليس هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٢٩٥- وسألت هل يسب المؤمنُ الفاسقُ إذا سبه ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا نحب لمؤمن أن يشاتم فاسقاً، لأن الفاسق جرى على قبيح الكلام والبهتان، والمؤمن فلا يحل له أن يتكلم بما لا يحل من الكلام، والله عز وجل يقول في كتابه: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾.

٢٩٦- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَإِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾

﴿[الشورى: ٣٩] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: البغي فهو: في الدين، فيجب على المسلمين أن يحاموا عن دينهم، ويجاهدوا مع الأئمة على إقامة أحكام الكتاب، وإظهار السنة، لأن من بغى على الله عز وجل وعلى رسوله وعلى ما افترض من دينه، فقد أوجب الله عز وجل قتله وقتاله.

ومن البغي أيضاً: الظلم والتعدي، مثل قوم يعمشون ^(١) قوماً يريدون أخذ أموالهم، وهتك حریمهم، فقد جعل الله عز وجل لهم السبيل إلى الدفع عن أنفسهم، والقتال للباطل عليهم، وقد ذكر الله عز وجل في كتابه، فقال سبحانه: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. وكل من نفى وظلم، فقد جعل الله سبحانه السبيل إلى الانتصار منه، بما أنزل سبحانه من حكمه، ففي ما حكم الله عز وجل على الظالمين من أحكامه

(١) كذا في المخطوط.

كفاية للمكافين، ولا يجوز لأحد أن يتعدى في المكافاة، وما جعل الله سبحانه من الحكم، ومن فعل ذلك كان من الظالمين^(١)، وكل تعد فهو بغي وظلم.

٢٩٧- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَجَزَّوْا سَيِّئَةً سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٣٢] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عز وجل ﴿سَيِّئَةً مِّثْلُهَا﴾ مما حكم به سبحانه منها، مثل رجل يقتل رجلاً، فحكم الله عز وجل عليه بمثل فعله، فقال تبارك وتعالى: و ﴿النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ [المائدة: ٤٥]. ومثل رجل يقطع يد رجل ظليماً فيقطع يده، وآخر يقطع عين إنسان فيقطع عينه، كما قال الله سبحانه: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]. فهو من المعتدي ظلم وابتداء، وهو من المستنصف حكم وجزاء.

٢٩٨- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعباً جاداً »^(٢). فقلت ما معنى هذا الحديث ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد يكون اللاعب الجاد الذي يأخذ لصاحبه شيئاً، فإن فطن به قال إنما كنت لاعب، وإن غيى عنه أخذه ومضى به على وجه السرقة.

وأما الحديث الذي يروى في منع نفع البير، فإنما هي عنه عليه وآله السلام عن المنع للماء^(٣)، وإن كثيراً من الناس في دهرك هذا ينعون ماء البير ودلوها، ولا يجوز ذلك في أخلاق المؤمنين.

(١) في المخطوط: المظلمين. وكتب فوقها (كذا). وما أثبت اجتهاد.

(٢) أخرجه أحمد برقم (١٧٢٦٣) بلفظ: عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا يَأْخُذْنَ أَحَدُكُمْ مَتَاعَ صَاحِبِهِ لَعِبًا جَادًا وَإِذَا أَخَذَ أَحَدُكُمْ عَصَا أَخِيهِ فَلْيَرُدُّهَا عَلَيْهِ.

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٢٤٧٠) برقم: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُنْتَعُ

وأما الحديث الذي يروى في: « منع الماء ليمنع الكلاء »^(١)، فقد يفعل ذلك كثير من الأعراب الرعي.

٢٩٩- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « كان إذا استفتح القرآن قال: أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم ومن غمزه ونفته ونفخه »^(٢)

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما الاستعاذة في الصلاة من الشيطان الرجيم، فقد كان عليه وآله السلام يفعلها، وذلك في كتاب الله عز وجل، حين يقول: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل: ٩٨].
وأما النفث والنفخ فلسنا نعرفه، وهذا من زيادات أصحاب الحديث، وقد ذكروا في النفث أنه الشعر، ولو كان ذلك ما قاله أمير المؤمنين عليه وآله السلام.

فَضْلُ الْمَاءِ وَلَا يُمْتَعُ نَفْعُ الْبَيْرِ.

وأخرجه أيضا أحمد برقم (٢٣٩٣٦) بلفظ: أحمد عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُمْتَعَ نَفْعُ الْبَيْرِ قَالَ يَزِيدُ بَعْضُ فَضْلِ الْمَاءِ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢١٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تَمْتَعُوا فَضْلَ الْمَاءِ لِمَتَعُوا بِهِ فَضْلَ الْكَلْبِ.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٤٠٦٨) بلفظ: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ قَالَ سَأَلْتُ عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْتَتِحُ صَلَاتَهُ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَتْ كَانَ إِذَا قَامَ كَبَّرَ وَيَقُولُ اللَّهُمَّ رَبِّ جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفْتُ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ قَالَ يَحْيَى قَالَ أَبُو سَلَمَةَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْثِهِ وَنَفْخِهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هَمْزُهُ وَنَفْثُهُ وَنَفْخُهُ قَالَ أَمَا هَمْزُهُ فَهَذِهِ الْمَوْتَةُ الَّتِي تَأْخُذُ بَنِي آدَمَ وَأَمَا نَفْثُهُ فَالشَّعْرُ وَأَمَا نَفْخُهُ فَالْكَبِيرُ وَأَمَا نَفْثُهُ فَالشَّعْرُ.

٣٠٠- وسألت عن ذي القرنين وما روى أنه دعا قومه إلى الله سبحانه فضربوه على قرنيه^(١). وقلت: ما كان؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما ما ذكروا عن ضربه على قرنيه، فليس ذلك بشيء، وإنما هو اسم يسمى به، وقد قيل: إنه رأى في اليوم أنه أخذ بقرني الشمس فعبه له المعبر أنه يملك الشرق والغرب. وإنما كان عبداً صالحاً.

٣٠١- وسألت عن قول الله سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. فقلت: أكان داود أم غيره؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ليس هو بداود، ولكنه نبي من أنبياء بني إسرائيل، وإنما داود عليه السلام كان من بعد قيام طالوت، وداود فهو الذي قتل جالوت، وكان من خير داود وطالوت ما قد بلغكم من عجائب أخبارهما، وطرائف حديثهما، وما كان من جرأة طالوت على داود، ونكباته^(٢) فيما كان جرى بينه ونبيه.

(١) أخرج ابن عبد الحكم في فتوح مصر، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن الأنباري في المصافح، وابن مردويه، من طريق أبي الطفيل، أن ابن الكواء سأل علي بن أبي طالب عن ذي القرنين: أنبيا كان أم ملكاً؟ قال: لم يكن نبياً ولا ملكاً، ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه، ونصح الله فنصحه... فبعثه الله إلى قومه فضربوه على قرنيه فمات، ثم أحياه الله لجهادهم. ثم بعثه إلى قومه فضربوه على قرنيه الآخر فمات. فأحياه الله لجهادهم. فلذلك سمي ذا القرنين، وإن فيكم مثله.

وأخرج أبو الشيخ في العظمة، عن أبي الورقاء قال: قلت لعلي بن أبي طالب: ذو القرنين ما كان قرناه؟ قال: لعلك تحسب أن قرنيه ذهب أو فضة، كان نبياً فبعثه الله إلى أناس فدعاهم إلى الله تعالى، فقام رجل فضرب قرنيه الأيسر فمات، ثم بعثه الله فأحياه، ثم بعثه إلى ناس فقام رجل فضرب قرنيه الأيمن فمات، فسماه الله ذا القرنين. الدر المنثور ٤٣٥/٥ - ٤٣٦.

(٢) في المخطوط: حرة. ونكباته. مهمة.

٣٠٢- وسألت عن الحديث الذي يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه: « كان إذا صلى بالليل فمر بآية فيها ذكر الجنة سأل، وإذا مر بآية فيها ذكر النار تعوذ، وإذا مر بآية فيها تزيه لله عز وجل سبح وهلل »^(١)، فقلت: هل كان ذلك في فريضة أو نافلة؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث فاسد لم يصح عنه عليه وآله السلام، وفي هذه الأحاديث التي سألت عنها أحاديث باطلة فاسدة، لم يقلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يفعلها قط. منها: ما قد طرحناه، ومنها ما احتجنا فيه بما يحسن من التأويل، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن يتكلم في نافلة ولا فريضة، ولا يستحل ذلك، وهذا باطل من الحديث محال.

٣٠٣- وسألت عن الإمام يصلي برجل واحد فيركع فيسمع في المسجد حسن قوم. فقلت: هل يطول الركوع حتى يلحقوا أم يرفع رأسه؟ وكذلك في السجود؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا نحب^(٢) لمن اعتقد الصلاة بواحد، ولم ينو أنه يصلي بغيره أن يصلي بأحد حتى يعقد الصلاة والنية لجميعهم، وكذلك لو أنهم دخلوا والإمام يصلي وحده، فركعوا بركوعه وسجدوا بسجوده، لم نر أن صلاحهم تامة، لأنه لم ينو الصلاة بهم ولا الأئمة لهم. وإذا دخل الإمام فصلين برجلين، واعتقد الصلاة بالجماعة، جاز أن يصلي بصلاته من لحقه فيها، لأنه

(١) أخرجه مسلم برقم (١٢٩١) بلفظ: عَنْ خُذَيْفَةَ قَالَ صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَأَفْتَحَ السَّبْرَةَ فَقُلْتُ يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ ثُمَّ مَضَى فَقُلْتُ يُصَلِّي بِهَا فِي رُكْعَةٍ فَمَضَى فَقُلْتُ يَرْكَعُ بِهَا ثُمَّ أَفْتَحَ النَّسَاءَ فَقَرَأَهَا ثُمَّ أَفْتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا يَقْرَأُ مَرَّسًا إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ وَإِذَا مَرَّ بِتَعْوِذٍ تَعَوَّذَ ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مَرَّ رَكَعَ ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ قَالَ وَفِي حَدِيثٍ خَرِيرٍ مِنَ الزِّيَادَةِ فَقَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ.

(٢) في المخطوط: لا يجب. وما أثبت اجتهاد.

اعتقد أن يؤم من صلى وراءه، ومن لحق الإمام في الركوع اعتد بالركعة، ومن لحقه في السجود لم يعتد بها، واستأنف الصلاة عند قيام الإمام، والله سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. ومن لم يركع فلم يؤد ما ذكر الله عز وجل من تمام الصلاة.

٣٠٤- وسألت عمن نسي القنوت، وعمن لحق الإمام في الركعة الثانية من الصبح ففقت الإمام. فقلت: هل يقنت معه الرجل أم لا ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: من نسي القنوت فصلاته تامة غير فاسدة، وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه: « كان يقنت حتى يقال: لا يتركه، وربما تركه عليه وآله السلام »^(١) وإذا قنت الإمام فلا نحب^(٢) لأحد أن يعيد القنوت، لأن قنوت الإمام وجهه مجزي لمن خلفه عن القنوت، كما قراءته إذا جهر بها مجزية لهم عن القراءة، وهذا الذي لحق الإمام في الركعة الثانية، فإذا سلم الإمام قام فأتم وقت.

٣٠٥- وسألت عن الحديث الذي يروى أن آخر من يدخل الجنة رجل يمشي على الصراط فينكب مرة، ويمشي مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا جاوز الصراط ترفع له شجرة، فيقول: يا رب أدني من هذه استظل بها، ثم ترفع له أخرى فيقول مثل ذلك^(٣) ؟

(١) أخرجه مسلم برقم (١٠٩٢) بلفظ: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَنَتَ شَهْرًا يَدْعُو عَلَى أَحِبَّاءٍ مِنْ أَحِبَّاءِ الْعَرَبِ ثُمَّ تَرَكَهُ.

(٢) في المخطوط: فلا يجب. وما أثبت اجتهاد.

(٣) أخرجه أحمد برقم (١٠٧٨٤) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ النَّحْتِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قَبْلَ النَّحْتِ وَمَثَلُ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ ظِلٍّ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ قَدَمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَأَكُونُ فِي ظِلِّهَا فَقَالَ اللَّهُ هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا قَالَ لَا وَعِزَّتِكَ

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: اعلم أن هذا الحديث - أكرمك الله - باطل عن النبي عليه وآله السلام، وإنما هذا من روايات الحشوية وأهل الباطل، وليس في الآخرة شمس فيستظل منها، وإنما هي دار نور، والشمس فتكون كما قال سبحانه: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وتكويرها فهو: فناؤها، فلا يلتفت إلى هذه الأحاديث المخترعة، والأقاويل المختلفة، فإنها معمية للقلب، مخالفة للكتاب، والكتاب يكذبها ويشهد بباطلها، وإنك إن شغلت نفسك بالنظر فيما لا يصح من الحديث، وقعت في بحور عميقة، يطيش فيها الفهم، ويتحير فيها القلب، وفقك الله للهدى، وجنبك الغي والردى.

وأما الحديث الذي يروى عن عدي بن حاتم فهو أيضا مزبور فيه، غير مثبت أصله.

وأما الحديث الذي يروى في المدينة أنه عليه وآله السلام قال: « يخرج منها قوم إلى اليمن والشام والمدينة خير لهم لو كانوا يعملون ». فهذا حديث لم نروه عنه عليه وآله السلام، ولكن رويناه عنه في الحرمين، أنه قال: « يأتي على الناس دهر ينور فيه الإسلام بين الحرمين، ويكونان أول البلد فتنة ».

فَقَدَّمَهُ اللَّهُ إِلَيْهَا وَمَثَلُ لَهُ شَجَرَةٌ ذَاتُ ظِلٍّ وَتَمَرٍ فَقَالَ أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا فَقَالَ اللَّهُ لَهُ هَلْ عَسَيْتَ أَنْ أُعْطِيكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعَزَّتْكَ فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَتَمَثَّلُ لَهُ شَجَرَةٌ أُخْرَى ذَاتُ ظِلٍّ وَتَمَرٍ وَمَاءٍ فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا وَأَكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا فَيَقُولُ لَهُ هَلْ عَسَيْتَ أَنْ تَفْعَلَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ فَيَقُولُ لَا وَعَزَّتْكَ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَبْرُزُ لَهُ بَابُ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ قَدَّمَنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ فَأَكُونُ تَحْتَ نَجَافِ الْجَنَّةِ وَأَنْظُرَ إِلَى أَهْلِهَا فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ إِلَيْهَا فَيَرَى أَهْلَ الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا فَيَقُولُ أَيُّ رَبِّ أَذْخَلَنِي الْجَنَّةَ قَالَ فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ فَإِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ قَالَ هَذَا لِي قَالَ فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ تَمَنَّى فَيَتَمَنَّى وَيَذْكُرُهُ اللَّهُ سَلِّ مِنْ كَذَا وَكَذَا حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ النَّاسَانِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ لَكَ وَعَشْرَةٌ أَثْنَاهُ قَالَ ثُمَّ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَيَقُولَانِ لَهُ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا وَأَحْيَاكَ لَكَ فَيَقُولُ مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ قَالَ وَأَذْنَى أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يُنْعَلُ مِنْ نَارٍ يَنْعَلِينَ يَغْلِي دِمَاعُهُ مِنْ حَرَارَةِ نَعْلَيْهِ.

٣٠٦- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: « لا ضرر في الإسلام »^(١) ؟

فإنما أراد عليه وأهله السلام: لا ضرورة بأهل الإسلام، لأن ترك الإضرار من الإسلام، وليس من أخلاق المؤمنين التضار ولا التحاسد ولا إدخال الضرر بعضهم على بعض، وإنما كان ذلك في الجاهلية، فهي عنه عليه وآله السلام.

٣٠٧- وسألت عن الحديث الذي يروى في: « حرشة الأرض ». فقلت: ما معنى ذلك ؟

٣٠٨- قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الحرشة فهي: الضب والوتر والوزل فأشبهه هذا فيما يكون في الجبل والسهل، مما لم يأت فيه تحريم، وهو يسمى من حرشة الأرض، وحرشة الجبال، وقد يروى أنه أهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ضباب فلم يأكلها، وأكلها أصحابه، فلم ينههم عنها »^(٢)، وكلما جاز أكله وحل، فإذا حواه صاحبه في حرزه ثم سرق، ففيه القطع إذا بلغت قيمته عشرة دراهم فقله.

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٢٣٣٢)، وأحمد برقم (٢٧١٩).

(٢) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ٤٠٣/٢.

وأخرجه البخاري برقم (٢٣٨٧) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذْتُ أُمَّ حُفَيْدٍ خَالَةَ ابْنِ عَبَّاسٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْطًا وَسَمْنَا وَأَصْبًا فَأَكَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَافِطِ وَالسَّعْنِ وَتَرَكَ الضَّبَّ تَقْدَرًا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَكَلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَوْ كَانَ حَرَامًا مَا أَكَلَ عَلَى مَائِدَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأخرجه البخاري أيضا برقم (٦٧٢٥) بلفظ: كَانَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ سَفْعٌ فَذَهَبُوا يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمٍ فَذَادَتْهُمْ امْرَأَةٌ مِنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ لَحُمٌ ضَبٌّ فَأَمْسَكُوا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُلُوا أَوْ اطْعَمُوا فَإِنَّهُ حَلَالٌ أَوْ قَالَ لَا بَأْسَ بِهِ شَكٌّ فِيهِ وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَعَامِي.

وأما الحديث الذي ذكرت في: «الرؤيا التي رآها رجل، فاستهاها، فقال: خلافة نبوة»، فهذا حديث لا نعرفه، وهو مما اختلف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، غير أنا قدر رويناه عنه عليه وآله السلام، أنه قال: «إذا رأى أحدكم رؤيا تغمه فلينفث عن يمينه وعن شماله، ويقول: أعوذ بالله الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض من شر هذه الرؤيا، ومن شر ما أخاف وأحذر».

٣٠٩- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: «شر النساء المحتالة المترجة»؟

قال محمد بن يحيى عليه السلام: إنما أراد عليه وآله السلام بالمحتالة المعجبة بنفسها، المخطئة لطريق رشدائها، التي لا تقبل نصيحة من نصحتها، والمترجة فهي: التي تظهر زينتها، وتكشف رأسها، وتصدى للرجال، وتهتك حجابها، فتلك مستوجبة للنقم، لا تدخل الجنة، ولا ينظر الله سبحانه إليها.

٣١٠- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش والخنا ويخون الأمين»^(١)؟

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند برقم (٦٥٧٧) بلفظ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ مَطَرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ سَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ فِي الْحَوْضِ فَقَالَ لَهُ أَبُو سَيْرَةَ رَجُلٌ مِنْ صَحَابَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَإِنْ أَبَاكَ حِينَ انْطَلَقَ وَأَفْدَا إِلَى مُعَاوِيَةَ انْطَلَقْتُ مَعَهُ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو فَحَدَّثَنِي مِنْ فِيهِ إِلَى فِيَّ حَدِيثًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمْلَأَهُ عَلَيَّ وَكُتِبَتْهُ قَالَ فَإِنِّي أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ لَمَا أَعْرِفْتَ هَذَا الْبِرْدُونَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِالْكِتَابِ قَالَ فَرَكِبْتُ الْبِرْدُونَ فَرَكَضْتُهُ حَتَّى عَرِقَ فَأَتَيْتُهُ بِالْكِتَابِ فَإِذَا فِيهِ حَدِيثِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ الْفُحْشَ وَالْفَحْشَ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُخَوِّنَ الْأَمِينُ وَيُؤْتِمَنَ الْخَائِنُ حَتَّى يَظْهَرَ الْفُحْشُ وَالْفَحْشُ وَقَطِيعَةُ الْأَرْحَامِ وَسُوءُ الْجَوَارِ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الْقِطْعَةِ مِنَ الذَّهَبِ نَفَخَ عَلَيْهَا صَاحِبُهَا فَلَمْ تَغْيَرْ وَلَكِنْ تَنْقُصُ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ لَكَمَثَلِ الثُّخْلَةِ أَكَلَتْ طَبِيًّا وَوَضَعَتْ طَبِيًّا وَوَقَعَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَلَمْ تُفْسُدْ قَالَ وَقَالَ أَلَا إِنِّي لَبِي حَوْضًا مَا بَيْنَ نَاحِيَّتَيْهِ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ أَوْ قَالَ صَنْعَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ وَإِنْ فِيهِ مِنَ الْبَارِبِ مِثْلُ الْكَوَكِبِ هُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد يروى عن رسول الله عليه وآله السلام أنه قال: «إن الأرض ستملأ عدلاً ويظهر فيها الحق ويموت فيها الفسق بأئمة العدل، حتى إذا كان آخرهم، وتمت النعمة من الله سبحانه فيما أظهر بهم، فعند موت الخامس عشر من الأئمة، وهو الذي ينسب حكمه وأمره في الآفاق جميعاً، وعند وفاته يدخل النقصان في دينهم، ثم يفشو ذلك حتى لا يغير أحد منكراً، ويمضي الرجل بالفاسق مرتكباً^(١) للفاسقة، فلا يقول له اتق الله، وعندها تغزل النعمة، وتزول النعمة، ويكثر الخروج ويعظم المروج، وتظلم الأرض، وتكثر الفتن، وتسفلك الدماء، ويحمل الحق، ويظهر الباطل، ويخصب دهرهم، لما أراد الله عز وجل من الإملاء لهم، ويفتح يأجوج ومأجوج، ويكون منهم من الإفساد والإهلاك للعباد ما يعظم أمره، ويحل خطره، ويطول شرحه، يأخذهم على غفلة، فإذا هم مبلسون».

٣١١- وسألت [عن الحديث] الذي روي عن النبي عليه وآله السلام فيه النهي [عن نكاح الشغار] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: فهو يتزوج الرجل بنت الرجل، ويتزوج الآخر بأخته أو ابنته، فيطرح مهرها بمهر هذه، فهذا هو الشغار، الذي لا يحل ولا يجوز، وهو حرام من الله عز وجل محرم.

٣١٢- وسألت عن الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه: «كان يعوذ على الحسن والحسين عليهما السلام، فيقول: أعيذهما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»^(٢) ؟

أبداً قال أبو سبرة فأخذ عبيد الله بن زياد الكتاب فجزعت عليه فلقيني يحيى بن يعمر فشكوت ذلك إليه فقال والله لأنا أخفظ له مني لسورة من القرآن فحدثني به كما كان في الكتاب سواءً.

(١) كذا في المخطوط.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٣١٢٠) بلفظ: عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وآله

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما كلمة الله سبحانه التامة فهي القرآن، لأنه تبارك وتعالى يقول: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. ويقول عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وهو القرآن العظيم الكريم المبارك، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، فعوذ عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام بالقرآن العظيم، من شر الشيطان ووساوسه وشدة بلائه، نزغه وأعوانه. والهامة فهي: الدواب، مثل الحيات والعقارب، وأشباه ذلك من الهوام المتلفة. والعين اللامة، فهي: عين الحسد والمكيدة من بني آدم، لأن العرب تقول: نظرونا بعين سوء، يريدون بذلك: المكيدة لهم والحسد وقول الباطل.

٣١٣- وسألت عن عما روي عنه عليه وآله السلام أنه قال: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والأحمق من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله عز وجل»^(١). فقلت: ما تفسير ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى «دان نفسه»: منعه إياها في الدنيا، ومحاسبته رجاء لما أعد الله له في الآخرة، والأحمق فهو: الذي لا يميز طريق رشد، ولا سبيل نجاته، فهو متبع نفسه - كما ذكر - هواها، غير صاد^(٢) لها فيما

وَسَلَّمَ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَيَقُولُ إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَّامَةٍ.

(١) أخرجه الترمذي برقم (٢٣٨٣)، وابن ماجه برقم (٤٢٥٠)، وأحمد برقم (١٦٥٠١) بلفظ: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ.

(٢) في المخطوط: صاص. ولعلها كما أثبت أو نحوها، مما يؤدي معناها.

يدعوه إليه من هلكتها، والتمني على الله عز وجل، وقد نرى كثيراً من الجهال يقول: أرجو عفو الله سبحانه وإحسانه، ويتمنى مالا يلحقه إلا بعمله.

٣١٤- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام في قوله: «اللهم إني أسألك غناي وغنى موالي»^(١). فقلت: ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: الموالي فهم أهل بيته، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في كتابه حين يخبر عن نبيه زكريا عليه السلام، إذ يقول: ﴿وَإِنِّي خِفْتُ آلَ الْمُؤَلَّى مِنْ وِرْآءِي﴾ [مرم:٥]. والموالي يخرج في لغة العرب: الأقارب وبني العم، والنبي عليه وعلى آله السلام، فإنما أراد بهذه الدعوة أهل بيته خاصة.

٣١٥- وسألت عن السبع المثاني؟

وهي - أكرمك الله - الحمد لله رب العالمين^(٢)، وقد ذكر عن النبي عليه وعلى آله السلام فيها من الفضل أمر يجل عن الوصف حتى قال عليه وعلى آله السلام: «ما قرأت على مريض إلا شفاه الله عز وجل، ولا قرأها مغموماً إلا فرج الله عز وجل غمه، ولا ذو حاجة إلا قضى الله عز وجل له حاجته»، ثم قال عليه وعلى آله السلام: «هي لما قرأت له».

(١) أخرجه أحمد برقم (١٥١٩٤)، وبرقم (١٥١٩٦) بلفظ: عَنْ أَبِي صِرْمَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ غِنَايَ وَغِنَى مَوْلَايَ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤١١٤)، والنسائي برقم (٩٠٤)، وأبو داود برقم (١٢٤٦)، وابن ماجه برقم (٣٧٧٥)، وأحمد برقم (١٥١٧١)، والدارمي برقم (١٤٥٤)، واللفظ للبخاري: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بْنِ الْمُعَلَّى قَالَ كُنْتُ أَصَلِّي فِي الْمَسْجِدِ فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أَجِبْهُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ أَصَلِّي فَقَالَ لَمْ يَقُلِ اللَّهُ ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، ثُمَّ قَالَ لِي لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ قُلْتُ لَهُ لَمْ تَقُلْ لَأَعْلَمَنَّكَ سُورَةً هِيَ أَعْظَمُ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أَوْتِيَهُ.

٣١٦- وسألت من أَلَفَ القرآن بعد النبي عليه وعلى آله السلام ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما السور فالله عز وجل أَلَفَهَا، ومحمد عليه وآله السلام قرأها، وأما كتابة ^(١) القرآن وتأليفه، الأول فالأول من السور، فعلي بن أبي طالب عليه السلام، أَلَفَهَا وكتب المصحف بخطه.

٣١٧- وسألت عن سورة المأتين وما ذكر من قراءة النبي عليه وعلى آله السلام السبع الطوال ؟

فأما السبع الطوال فلا نعرف.

وأما قراءته بالمأتين، فلم نسمع أنه قرأ في صلاته بمأتي آية، وكان يقرأ بالسور القصار، وهذا كلام لم نُثَوِّقْنَا منه على بيانه. فنحجيك على شرحه.

٣١٨- وسألت عما روي عنه عليه وعلى آله السلام أنه قال: « بثس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت وكيت ليس هو نسي ولكن نسي، واستذكروا القرآن فلهو أشد تقصيا من صدور الرجال من النعم من عقلها » ^(٢). فقلت: ما معنى ذلك ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى قوله عليه السلام: « بثس ما لأحدكم »، فإنما أراد بقوله: « بثس » من طريق ^(٣) التقييح للفعل، والذم لمن قرأ القرآن ثم نسيه، ومعنى قوله: « ليس هو نسي ولكن نسي »، أراد عليه وعلى آله السلام: لو واضب عليه وقرأه ولم يغفله ^(٤) لم ينسه، فلما أن تركه واشتغل بأشغال دنياه،

(١) في المخطوط: كتاب. وما أثبت اجتهاد.

(٢) أخرجه الدارمي برقم (٢٦٢٧)، وبرقم (٣٢١٣)، ومسلم برقم (١٣١٤)، وأحمد برقم (٣٧٦٤) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْمَأُ لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ بَلْ هُوَ نَسِيَ اسْتَذْكِرُوا الْقُرْآنَ فَلَهُوَ أَشَدُّ تَقْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعَمِ يُعْطَلُهَا.

(٣) في المخطوط: بثس ما لأحدكم بثس من طريق ... مكرر.

(٤) في المخطوط: يعقله. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

كانت تلك الأشغال المنسية له، وقوله عليه وآله السلام: «استذكروا القرآن»، أي: تذكروا القرآن بالتدريس له والقراءة، لأنه إذا غفل عنه يفلت من قلب الحافظ، كما تفلت الإبل من عقلها فتذهب.

٣١٩- وسألت عن الحديث الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله: «لا تمككوا على غرمائكم»^(١)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وعلى آله السلام بالتمكك: المطل وسوء العشرة، والتغلب والإحلاق للغريم، فنهى عن ذلك، لأنه ظلم فلا نخب لأحد عندما يمكنه قضاء دينه أن يمنع صاحبه منه عند طلبه إياه، وحاجته إليه.

٣٢٠- وسألت عن القاشرة والمقشورة^(٢)؟

وهذه لغة لا نعرفها، ولم نسمع بها عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن قد سمعنا أن العرب تسمي الرجل إذا كان مساوما قاشورة، فأما الحديث الذي رويت فلنسنا نعرفه.

٣٢١- وسألت عن قول النبي عليه وعلى آله السلام: «مثل المؤمن والإيمان كمثل القريين يحول ثم يعود إلى أخيته»؟

فهذا حديث لا نعرفه، ولغة غير صحيحة، ليست تخرج الأخية في العربية.

(١) قال ابن منظور: وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((لا تمككوا على غرمائكم. يقول: لا تلحوا عليهم إلحاحا يضر بمعايشهم، ولا تأخذوهم على عسرة وارفقوا بهم في الاقتضاء والأخذ، وأنظروهم إلى ميسرة ولا تستقصوا)). لسان العرب، مادة: مك.

وأخرجه البخاري برقم (٢١٢٥) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ فَإِذَا اتَّبَعَ أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ.

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٤٩٣٣) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُلْعَنُ الْقَاشِرَةَ وَالْمَقْشُورَةَ وَالْوَاشِمَةَ وَالْمُوشِمَةَ وَالْوَاصِلَةَ وَالْمُتَّصِلَةَ.

٣٢٢- وسألت عما روي عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «سمع قراءة في المسجد فقال: ما له رحمة الله لقد أذكرني آيات كنت نسيتها من سورة كذا وكذا»^(١). فقلت ما معنى ذلك؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث غير صحيح عن النبي عليه وعلى آله السلام، لأنه لم يكن يذهب شيء^(٢) من كتاب الله عز وجل، بل كان به غارفاً وله حافظاً.

٣٢٣- وسألت عما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «شر ما أعطي العبد شح هالع، وجبن هالع»^(٣)؟

والشح فهو: شر ما في العبد، والله سبحانه لا يعطيه إياه، وإنما أعطاه العبد نفسه، وجشَّمها^(٤) إياه، ومعنى^(٥) «شح هالع»، فالشح هو اللوم والضنائة من العبد حتى لا يخرج شيئاً، والهلع فهي: إعظام الشيء وكبره^(٦) في عينه حتى لا يخرج. والجبن الخالع فهو: الذي يخلع القلب، وذلك أيضاً من العبد اكتساب، ولو كان من الله عز وجل ما ذمهم عز وجل على جبنهم، ولا مدحهم في شجاعتهم، لأن الله عز وجل لا يذم فيما خلق، كما أنه لو خلق رجلاً أعمى ما ذمه في ترك البصر

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٦٥٠)، ومسلم برقم (١٣١١)، وأبو داود برقم (١١٣٤)، وأحمد برقم (٢٣١٩٩)، واللفظ للبخاري: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَقْرَأُ فِي سُورَةٍ بِاللَّيْلِ فَقَالَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي كَذَا وَكَذَا آيَةً كُنْتُ أَنْسِيْتُهَا مِنْ سُورَةٍ كَذَا وَكَذَا.

(٢) في المخطوط: شيئاً. والصواب ما أثبت.

(٣) أخرجه أحمد برقم (٧٦٦٨)، (٧٩١٥)، وأبو داود برقم (٢١٥٠).

(٤) جشَّمها: كلفها.

(٥) في المخطوط: ومعناه. ولعل الصواب ما أثبت.

(٦) في المخطوط: وكثره. ولعل الصواب ما أثبت.

والجهاد، ولو جعله جباناً ما ذمه في القرآن، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ۖ﴾ [المتحنة: ١٢]. ويقول عز وجل: ﴿وَمَنْ يُؤَلِّمْ يَوْمَئِذٍ دُبرَهُ إِلَّا مَتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَرِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٦]. فلما أن ذمهم الله على فرارهم، علمنا أن ذلك من أفعالهم، وقد يمكن أن يكون معنى قوله: «جن هالع» أي: خالغ من الطاعة لله عز وجل في قتال عدوه، والجهاد في سبيله، فقد انخلع من طاعته، وخرج يقينا من أمره.

٣٢٤- وسألت عما روي عن النبي عليه وآله في: «الذجال أنه جفال الشعر»^(١). فقلت ما معنى جفال الشعر؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: جفال الشعر هو الكثير المتراكم. وأما ما سألت عنه من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس أحد يدخل بعمله الجنة. قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته»^(٢). فقلت: ما معناه، وهل هو صحيح؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: إن الجنة لا يدخلها إلا من عمل، وهذا الحديث فليس بصحيح، ولا يخرج من جهة إلا أن يكون المتأول يتأول في قوله: «يتغمدني الله برحمته»، أن يغفر الذنوب في الدنيا، وإذا غفرها سبحانه فقد تغمدها، وبسط في الرحمة والإقالة، فعلى هذا يخرج معنى الرحمة.

(١) أخرجه مسلم برقم (٥٢٢٢)، وابن ماجه برقم (٤٠٦١)، وأحمد برقم (٢٢١٦٦)، وبرقم (٢٢٢٧٦) بلفظ: عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالُ أَغْوَرُ عَيْنٍ يُسْرَى جُفَالُ الشَّعْرِ مَعَهُ حَتَّىٰ وَنَارَ فَنَارُهُ حَتَّىٰ وَجَنَّتْ نَارٌ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٩٨٢) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُسْجَىٰ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَكَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَكَأَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا وَقَارَبُوا وَاغْدُوا وَزَوَّحُوا وَشَيَّءٌ مِنَ الدَّلْجَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدُ تَبَلَّغُوا.

٣٢٥- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وعلى آله السلام أنه قال: «لو لا بنو إسرائيل ما خثر الطعام، ولا أنتن اللحم، كانوا يرفعون الطعام يومهم لغدهم»^(١). فقلت: هل يكره أن يتخذ الطعام لغد أو لأكثر منه؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث لا نعرفه عن رسول الله عليه وعلى آله السلام، وهذا من عجائب أصحاب الحديث وزياداتهم، فلا تشغل نفسك بهذه الأسباب التي ليس لك فيها منفعة، ولا لك عائدة، واعتمد في أمرك على كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه عليه السلام، تجد فيهما شفاء قلبك، وجلاء صدرك، وحبس الطعام فليس بمذموم، بل هو جائز أن يخبز ليومين وثلاث، وكل ذلك جائز مباح.

٣٢٦- وسألت عن قول رسول الله عليه وعلى آله السلام حين ذكر المدينة فقال: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله إلى يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل»^(٢). فقلت: ما معنى ذلك؟

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْوَهُ يُعْنِي لَوْلَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْتَرْ اللَّحْمُ وَلَوْلَا حَوَاءُ لَمْ تَخُنْ أُنْتَى زَوْجَهَا.

وأخرجه البخاري أيضاً برقم (٥٩٨٢) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَنْ يُسَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالُوا وَلَا أَنتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا وَقَارِبُوا وَاعْتَدُوا وَرَوْحُوا وَشَيءٌ مِنَ الدَّلَجَةِ وَالْقَصْدِ الْقَصْدُ تَبَلَّغُوا.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٦٢٥٨) بلفظ: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ وَهَذِهِ الصَّحِيفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَائِثٍ إِلَى كَذَا مِنْ أَحَدَثٍ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَقَالَ ذِمَّةُ الْمُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ وَمَنْ تَوَلَّى قَوْمًا يَغْيِرُ إِذْنُ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ قَالَ أَمْرُ عَبْدِ اللَّهِ عَدْلٌ فِدَاءً.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وعلى آله السلام من أحدث حدثاً بفساد وإظهار منكر، فعليه لعنة الله، وكذلك من آوى فيها وستر ومنع محدثاً، فعليه لعنة الله أيضاً. ومعنى «لا يقبل منه صرف ولا عدل» في يوم القيامة إذا مات ولم يتب، والصرف فهو: الانصراف عما كان عليه، والعدل فقد قيل: إنه الفدية.

٣٢٧- وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿لَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: ١٩] ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ﴿فَقَدْ كَذَبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ [الفرقان: ١٩] فهو: بما حتم به من الوحي والتزيل، وكرهوه فلم يقبلوه ونسوه فأنكروه، ثم قال عز وجل: ﴿لَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾. ومعنى: لا يستطيعون صَرْفًا وَلَا نَصْرًا [الفرقان: ١٩] فهو: لا يستطيعون في الآخرة صرف العذاب عن أنفسهم، ولا ينصر بعضهم بعضاً مما يترل بهم من عقاب ربهم، لأنهم في الدنيا التي جعلت لهم فيها المهلة، قد استطاعوا الإكذاب والجحдан، ولا يستطيعون ذلك في الآخرة لما يترل بهم من عقوبة النيران.

٣٢٨- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، أنه: «كره عشر خلال فمناها تغيير النسب، بغير سرقة، وعزل الماء عن محله» (١) ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: ذكرت أن النبي عليه وآله السلام كره عشر خلال ثم لم تسمها، فنحيك عليها، وأن النبي عليه السلام فقد كره أشياء كثيرة،

(١) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٨٦)، وأحمد برقم (٣٥٨٦)، والنسائي برقم (٥٠٠١). واللفظ لأبي داود: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَزْمَةَ أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ كَانَ يَقُولُ كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَكْرَهُ عَشْرَ خِلَالٍ الصُّفْرَةَ يَغْسِي الْخُلُقُوقَ وَيَغْيِرُ الشَّيْبَ وَحَرَّ الْإِزَارِ وَالنَّحْتَمَ بِالذَّهَبِ وَالتَّبَرُّجَ بِالزَّيْنَةِ لَغَيْرِ مَحَلِّهَا وَالضَّرْبَ بِالْكَعْسَابِ وَالرُّفَى إِلَّا بِالْمَعْرُودَاتِ وَعَقْدَ التَّمَائِمِ وَعَزَلَ الْمَاءَ لَغَيْرِ أَوْ غَيْرِ مَحَلِّهِ أَوْ عَنْ مَحَلِّهِ وَفَسَادَ الصَّبِيِّ غَيْرَ مُحَرَّمِهِ قَالَ أَبُو دَاوُدَ انْفَرَدَ بِإِسْنَادٍ هَذَا الْحَدِيثِ أَهْلُ الْبَصْرَةِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

أكثر من عشر وعشر، فأما تغيير النسب، فقد نهي عنه، وقال: « ملعون من انتفى من نسبه وإن دق، ولا يحل لأحد أن ينتسب في غير نسبه »^(١).
وأما عزل الماء عن محله، فإنما نهي عليه وآله السلام عن ذلك، إذا كان على وجه المضارة للمرأة، فأما إذا عزل رجل خوفاً من فساد الدهر، وشرارة أهله، فلا بأس بذلك، لأنه إنما طلب في ذلك نظراً لنفسه، لا إدخال ضرر على امرأته.

٣٢٩- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، أنه قال: « قافية رأس أحدكم ثلاث عقد، فإذا قام الليل وتوضأ وصلى، انحلت عقدة »^(٢)، فقلت ما معنا؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا مما جاء به أصحاب الحديث، وهو من بدعهم، وليس بصحيح عن رسول الله عليه وآله السلام.

٣٣٠- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام، « من منحه المشركون أرضاً فلا أرض لهم »^(٣)؟

(١) أخرجه ابن ماجة برقم (٣٧٥١) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ فَرِيَّةٌ لِرَجُلٍ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرَهَا وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَرَزَى أُمَّهُ.

وأخرجه أيضاً ابن ماجة برقم (٢٧٣٤)، وأحمد برقم (٦٧٢٣)، والدارمي برقم (٢٧٣٧)، وبرقم (٧٣٨)، واللفظ لابن ماجة: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ كَفَرُ بِأَمْرِي ادْعَاءُ نَسَبٍ لَا يَعْرِفُهُ أَوْ جَحْدُهُ وَإِنْ دَقَّ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٠٧٤)، ومسلم برقم (١٢٩٥)، والنسائي برقم (١٥٨٩)، وأبو داود برقم (١١١١)، وابن ماجة برقم (١٣١٩)، وأحمد برقم (٧٠٠٧)، ومالك برقم (٣٨٣)، واللفظ للبخاري: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَغْدُو الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عَقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عَقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عَقْدَةٌ فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ الثَّنَسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ الثَّنَسِ كَسَلَانًا.

(٣) أخرجه أبو داود برقم (٢٩٤٨) بلفظ: عَنْ ابْنِ رَافِعٍ بْنِ خَدِيجٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ جَاءَنَا أَبُو رَافِعٍ مِنْ عِنْدِ

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وآله السلام بالمنيحة العارية، والعرب تسمى الشاة والناقة إذا أعارها إنسان إنسانا بجلبها قالوا: منيحة^(١)، وفلان^(٢) منح فلاناً، فأراد عليه السلام، أن كلما أعار المشركون من أرض، ثم ظهر المسلمون عليها فهي لهم، لا للذي منحها.

٣٣١- وسألت عن حديث النبي عليه وآله السلام: «من بنى مسجداً ولو مثل مفحص قطاة، بنى له بيت في الجنة»^(٣)؟

فهذا حديث قد روي عنه عليه وآله السلام، ومعنى «بنى مسجداً»، فهي هذه المساجد الذي تصلى فيها، لأن المساجد من عمارة الدين، ومن أخلاق المؤمنين، والله سبحانه يقول في كتابه: ﴿فِي بُيُوتِ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لِيُذَكِّرُوا فِيهَا نَسَمُهُمْ﴾ [النور: ٣٦]. وقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨]. وفي بيان المساجد من الأجر والثواب كثير لو ذكرناه، وفيما ذكرنا كفاية وغنى، لمن أراد الحق والهدى.

٣٣٢- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، حين ذكر الله عز وجل، فقال: «حجابه النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره»^(٤)؟

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ نَهَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَمْرٍ كَانَ يَرَفُقُ بِنَا وَطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ أَرْفُقُ بِنَا نَهَانَا أَنْ يَزْرَعَ أَحَدُنَا إِلَّا أَرْضًا يَمْلِكُ رَقَبَتَهَا أَوْ مَنِيحَةً يَمْنَحُهَا رَجُلٌ.

(١) قال ابن منظور: منحه الشاة والناقة يَمْنَحُه وَيَمْنَحُه: أعاره إياها. وقال الجوهري: والمنيحة: منحة اللب كالناقة أو الشاة تعطى غيرك يحتلبها ثم يردّها عليك. لسان العرب مادة: منح.

(٢) في المخطوط: وفلاناً. وما أثبت اجتهاد.

(٣) أخرجه ابن ماجة برقم (٧٣٠٩)، وأحمد برقم (٢٠٥٠) بلفظ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ جَابِرٍ عَنْ عَمَارٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ مَنْ بَنَى لِلَّهِ مَسْجِدًا وَلَوْ كَمَفْخَصِ قَطَاةٍ لَبَيَّضَها بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا عن رسول الله عليه وآله السلام، باطل، وهذا من روايات المشبهين، ومذهب من مذاهب الملحدين، عز الله سبحانه وجل عن هذه الصفة، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

٣٣٣- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام، أنه قال: «أكبر الكبائر أن تقاتل أهل صفقتك وتبدل سنتك، وتفارق أمتك»، فقلت: ما معناه؟ قال محمد بن يحيى عليه السلام: أراد عليه وآله السلام، بأهل صفقتك: أهل البيعة، والقتال فقد يكون بالإتلاف والسيوف والظلم لهم، وتبديل السنة، فهو: تبديل ما كان عليه من الحق، وما سنه ودعا إليه، لأن تبديل الحق رجوع عنه. «وتفارق أمتك»، فالأمة هم أهل الديانة، والجماعة المؤتلفة على المقالة. والعرب فتسمي الجماعة: أمة، وذلك في كتاب الله عز وجل موجود، حيث يقول: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣]. فسمى الجماعة: أمة.

٣٣٤- وسألت عنه عليه وآله السلام، أنه قال: «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء، عفراء كفوصة النقي، ليس فيها معلم لأحد»^(١)؟

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٣)، وابن ماجه برقم (١٩١)، وأحمد برقم (١٨٧٦٥) واللفظ لمسلم: عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ فَقَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ وَلَا يَتَبَغَّى لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ حِجَابُهُ النُّورُ وَفِي رَوَايَةٍ أَبِي بَكْرٍ الثَّارِ لَوْ كُتِفَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْفِهِ.

(٢) رواه الموفق بالله في الاعتبار ٤٥٤/ بلفظ: ((أرض بيضاء نقية كأنها الفضة لم يسفك فيها دم حرام ولم يعمل عليها خطيئة))، وهو في مجمع الزوائد ٤٥/٧، عن ابن مسعود، وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وفيه جرير بن أيوب البجلي وهو متروك. ورواه في الكبير، موقوفاً على عبد الله، وإسناده جيد،

واعلم - هداك الله - أنه قد روي في ذلك روايات الله أعلم بذلك، وأما معنى العفراء فهي: البيضاء، ومعنى « لا معلم لأحد » أراد به: لا ملك فيها لأحد.

٣٣٥- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، أنه: « صلى عليه فروخ من حرير »^(١)

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث ليس بصحيح عن النبي عليه وآله السلام، ما سمعنا به ليس حريرا، بل « كان ينهى أن يصلى فيها »^(٢)، وروي عنه عليه وآله السلام، أنه: « أهدي إليه ثياب من حرير، فأمر علياً عليه وآله السلام،

وأورده في الجمع أيضا ٣٤٥/١٠، وقال: رواه البزار. وهو في كتر العمال برقم (٤٤٦٠)، وعزاه في موسوعة أطراف الحديث إلى الدر المنثور ٩٠/٤، وتفسير ابن كثير ٤٣٨/٤، وحلية الأولياء ٩٠/٤، والطبراني ١٠/١٩٩، وإتحاف السادة المتقين ٤٥٤/١.

وأخرجه البخاري برقم (٦٠٤٠)، ومسلم برقم (٤٩٩٨)، واللفظ للبخاري: عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يُخْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٦٢) بلفظ: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ أَهْدِيَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرُوجَ حَرِيرٍ فَلَيْسَ فَصَلَّى فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ فَتَزَعَهُ تَزَعًا شَدِيدًا كَالْكَارِهِ لَهُ وَقَالَ لَا يَتَّبِعُنِي هَذَا لِلْمُتَّقِينَ.

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم (٣٥٨١) بلفظ: عَنْ نَافِعٍ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ أَخْبَرَهُ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَأَى حُلَّةَ سَيَرَاءٍ مِنْ حَرِيرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ ابْتِغَتْ هَذِهِ الْحُلَّةُ لِلْوَفْدِ وَلِیَوْمِ الْجُمُعَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

وأخرجه أحمد برقم (٥٤٨٧) بلفظ: عَنْ أَبِي يُوسُفَ حَاتِمِ بْنِ مُسْلِمٍ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ يَقُولُ رَأَيْتُ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَى ابْنِ عُمَرَ بِمَنْى عَلَيْهَا دِرْعُ حَرِيرٍ فَقَالَتْ مَا تَقُولُ فِي الْحَرِيرِ فَقَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُ.

وفي لفظ آخر لأحمد برقم (٢٥٥٣٢): عَنْ جُوَيْرِيَةَ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ لَيْسَ تَوْبٌ حَرِيرٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَوْبًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فقسمها على النساء»^(١)، ولم يلبسها عليه السلام، ولا أمير المؤمنين عليه الرضوان.

٣٣٦- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، أنه قال لما فتح مكة: «لا يغز قريش بعدها»^(٢)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وآله السلام، أنه لما فتح مكة، وأسلموا على يده، أن الغزو قد انقطع عنهم بإسلامهم، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قبل إسلامهم يغزوهم، ويبعث السرايا في طلب غيرهم، والمضار لهم، ثم انقطع عند قهره لهم، وإيمانهم به عليه وآله السلام.

٣٣٧- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام: «إن المسجد يتروى من النخامة، كما تتروى الجلدة من النار»^(٣)؟

(١) رواه الإمام الهادي في الأحكام ٤١٢/٢.

وأخرجه مسلم برقم (٣٨٦٣) بلفظ: عَنْ عَلِيٍّ أَنْ أَكْبَدَ دُومَةَ أَهْدَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نُوْبَ حَرِيرٍ فَأَعْطَاهُ عَلِيًّا فَقَالَ شَقَقَهُ خُمْرًا بَيْنَ الْفَوَاطِمِ وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَأَبُو كُرَيْبٍ بَيْنَ النَّسْوَةِ.

وأخرجه أحمد برقم (١٠٢٤) بلفظ: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ أَكْبَدَ دُومَةَ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُلَّةً أَوْ نُوْبَ حَرِيرٍ قَالَ فَأَعْطَانِيهِ وَقَالَ شَقَقَهُ خُمْرًا بَيْنَ النَّسْوَةِ.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٥٣٦) بلفظ: عَنْ الْحَارِثِ بْنِ مَالِكٍ ابْنِ الْبَرَصَاءِ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ يَقُولُ لَا تُغْزَى هَذِهِ بَعْدَ الْيَوْمِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وأخرجه أحمد برقم (١٤٨٦١) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُطِيعٍ بْنِ الْأَسَدِ أَخِي بَنِي عَدِيٍّ بْنِ كَعْبٍ عَنْ أَبِيهِ مُطِيعٍ وَكَانَ اسْمُهُ الْعَاصُ فَسَمَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُطِيعًا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَمَرَ بِقَتْلِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ بِمَكَّةَ يَقُولُ لَا تُغْزَى مَكَّةُ بَعْدَ هَذَا الْعَامِ أَبَدًا وَلَا يُقْتَلُ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ الْعَامِ صَبْرًا أَبَدًا.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٦٤٦) بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَيَّنَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّيَ رَأَى فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ نُخَامَةً فَحَكَّهَا بِيَدِهِ فَتَغَيَّطَ ثُمَّ قَالَ إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّ اللَّهَ حَيَّالٌ وَجْهَهُ فَلَا

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد نهي عليه وآله السلام عن النخامة في المسجد، لما في ذلك من تقذير المسجد، مع ما لا يؤمن من سجود الناس عليها، وتلطيف وجوههم بها، وهذا من أسمح فعل يفعله الناس في المساجد، وإنما المساجد للصلاة ولذكر الله عز وجل والطهارة، فإذا جعل للوسخ لم يحل ذلك، ولم يسع.

٣٣٨- وسألت عن حديثه عليه وآله السلام: «إن منبري على ترعة من ترع الجنة»، وفي حديث آخر: «إن قدمي على ترعة من ترع الحوض»، «وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة»^(١). فقلت: ما تأويله؟

يَتَخَمَّنُ حَيَالٌ وَجْهَهُ فِي الصَّلَاةِ.

وأبي داود برقم (٤٠٦)، وأحمد برقم (١٠٧٥٦) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُحِبُّ الْعَرَاجِينَ وَلَا يَزَالُ فِي يَدِهِ مِنْهَا فَيَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَرَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ فَحَكَّهَا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ مُغَضَّبًا فَقَالَ أَيْسُرُ أَحَدَكُمْ أَنْ يُبْصَقَ فِي وَجْهِهِ إِنْ أَحَدَكُمْ إِذَا اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَإِنَّمَا يَسْتَقْبِلُ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَلَكَ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَتَقَلُّ عَنْ يَمِينِهِ وَلَا فِي قِبْلَتِهِ وَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ فَإِنْ عَجَلَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَقُلْ هَكَذَا وَوَصَفَ لَنَا ابْنُ عَجَلَانَ ذَلِكَ أَنْ يَتَقَلُّ فِي نَوْبِهِ ثُمَّ يَرُدُّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

(١) حديث: ((إن منبري على ترعة من ترع الجنة)). أخرجه أحمد برقم (٨٣٦٤) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِثْرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ.

وبرقم (٢١٧٧٤) بلفظ آخر: عَنْ أَبِي حَازِمٍ عَنْ سَهْلِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ مِثْرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ فَقُلْتُ لَهُ مَا التُّرْعَةُ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ قَالَ الْبَابُ.

حديث: ((إن قدمي على ترعة من ترع الحوض)). أخرجه أحمد برقم (١٠٤٨٧) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مِثْرِي هَذَا عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرْعِ الْجَنَّةِ وَمَا بَيْنَ حُجْرَتِي وَمِثْرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ.

حديث: ((وما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة)).

أخرجه البخاري برقم (١٧٥٥) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِثْرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِثْرِي عَلَى حَوْضِي.

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد روي ذلك عن رسول الله عليه وآله السلام وذكر، وقد يمكن أن يكون قوله: «روضة من رياض الجنة»، وقوله: «منبري موضوع على ترعة من ترع الجنة»، ما يظهره على منبره ويدعو إليه، ويتكلم به من الهدى والدين، الذي به النجاة والوصول إلى الثواب، وإلى الحوض لمن تبعه، لأنه لما أن كان رسول الله عليه وآله السلام، وما جاء به من الهدى الذي به النجاة طريقا إلى الجنة وإلى نعيمها، جاز أن يقول هذا. والعرب تقول بالموضع، إذا كان طاهرا مطهرا، لا فساد فيه ولا منكر: هذا من بقاع الجنة، وقد كان بين منبره عليه وآله السلام وبين بيته الذي فيه قبره، موضع طاهر زكي، ليس فيه خنا ولا ظلم، فشبه بالجنة.

٣٣٩- وسألت عما روي عنه عليه وآله السلام، أنه كان يقول: «خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله، كلما سمع بهممة طار إليها، أو رجل في شعبة في غنيمة حتى يأتيه الموت»^(١)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إن الممسك بعنان فرسه في سبيل الله أفضل الخلق، وأعظمهم درجة عند الله عز وجل، وهذا حديث صحيح عنه عليه وآله السلام، وأما الرجل اللازم لشعب الجبال، فذلك إذا عدم الجهاد، وكثر الفساد، ووقعت الهروج، وكثرت المروج، وأسخط الرحمن، وأرضى الشيطان، فعندها تطلب سكنا رؤوس الجبال، وتحب

وأخرجه النسائي برقم (٦٨٩) بلفظ: عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي هَذَا رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ .

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٥٧٦) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ رَجُلٌ مُمَسِّكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ رَجُلٌ مُعْتَرِلٌ فِي غَنِيمَةٍ لَهُ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهَا أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ يُسْأَلُ بِاللَّهِ وَلَا يُعْطَى بِهِ قَالَ أَمْرُ عَيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ وَيُرْوَى هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. والنسائي برقم (٢٥٢٢)، ومالك برقم (٨٥٢)، والدارمي برقم (٢٢٨٨).

المهاجرة عما كان هكذا من البلدان، فذلك لفاعله أفضل حال، وأسلم من الهلكة في بقية الآجال.

٣٤٠- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وآله السلام، إذ يقول: « ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب، كما تتابع الفراش في النار »^(١) ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أراد عليه وعلى آله السلام، بقوله: « ما يحملكم »، يقول: ما يدعوكم إلى ذلك؟! وما يحضكم عليه، في أشياء^(٢) بعضكم لبعض في الكذب وتفعلونه، وتهوون فيه كما يهوي هذا الفراش في الصباح، فتهلكوا نفوسكم عند الله، بقول الكذب، كما تهلك الفراش في الزيت والنار.

٣٤١- وسألت عن الحديث الذي يروى عنه عليه وعلى آله السلام، أنه: « نهي عن الصلاة في ثلاثة أوقات »^(٣) ؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث صحيح عنه عليه وعلى آله السلام، « نهي عن الصلاة حيث تبرز الشمس، حتى تستعل وتبيض، وعن الصلاة حيث يقوم كل شيء في ضله ويتنصف النهار حتى تزول الشمس، وعن الصلاة عند تظليل الشمس واصفرارها إلى أن يغرب ضوءها ».

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٦٢٨٩) بلفظ: عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ مَا يَحْمِلُكُمْ عَلَى أَنْ تَتَابَعُوا فِي الْكُذْبِ كَمَا يَتَابَعُ الْفَرَّاشُ فِي النَّارِ كُلُّ الْكُذْبِ يُكْتَسَبُ عَلَى ابْنِ آدَمَ إِلَّا ثَلَاثَ حِصَالٍ رَجُلٌ كَذَبَ عَلَى امْرَأَتِهِ لِرِضْيَتِهَا أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ فِي خَدِيعَةٍ حَرْبٍ أَوْ رَجُلٌ كَذَبَ بَيْنَ امْرَأَتَيْنِ مُسْلِمَتَيْنِ لِيُصْلِحَ بَيْنَهُمَا.

(٢) كذا في المخطوط.

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) بلفظ: عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ يَقُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْرَأَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظُّهْرِ حَتَّى تَعْمِلَ الشَّمْسُ وَحِينَ تَضَيِّفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ. والنسائي برقم (٥٥٧)، والترمذي برقم (٩٥١)، وأحمد برقم (١٦٧٣٧)، والدارمي برقم (١٣٩٦).

٣٤٢- فأما ما سألت عنه من قول الله سبحانه: ﴿ أَقِمَّ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ ﴾ [الإسراء: ٧٨]. فمعنى ذلك أن ذلوك الشمس هو: زوالها، وهي الظهر، ومعنى ﴿ غَسَقَ اللَّيْلِ ﴾ فهو: عند غسق الليل، وعند وإلى حرفان من حروف الصفات، يعقب أحدهما الآخر.

٣٤٣- وسألت عن الكالي بالكالي^(١)؟

هو الدين بالدين.

٣٤٤- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وعلى آله السلام، إذ سأله رجل، فقال: « يا رسول الله إنا نصيب هوائاً الإبل، فقال عليه وآله السلام، حرق النار »^(٢)، فقلت: ما معنى الحدث؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: معنى الهيم، وهي^(٣) التي تميم على وجهها، وتعجز في الطلب صاحبها، فهذه تسمى: الهيم، حتى لعل الطالب لها لا يجدها في شهرين، من شدة إمعانها، وذهاها، وفي [ذلك] ما يقول الشاعر:

رجزه يشربن من دعيح الهيم

أراد: الإبل العطاش، التي قد طال هيمانها وعدمها للماء، وتشرب من الماء كثيراً، وحرق النار، فهو: الإثم لمن أخذ الضالة لنفسه، واقتطعها بظلمه.

٣٤٥- وسألت عن رجل وجد دراهم، في صرة. فقلت: هل له أن ينتفع بها غنياً كان أو فقيراً؟

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٧/٢. قال عبد الله بن عمر: هو النسيئة بالنسيئة.

(٢) أخرجه ابن ماجة برقم (٢٤٩٣)، وأحمد برقم (١٥٧٢٤) بلفظ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَوَاءٌ الْإِبِلِ نُصِيبُهَا قَالَ ضَالَّةُ الْمُسْلِمِ حَرَقُ النَّارِ.

والترمذي برقم (١٨٠١) بلفظ: عَنْ الْجَارُودِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ضَالَّةُ الْمُسْلِمِ حَرَقُ.

(٣) في المخطوط: وهي. وما أثبت اجتهاد.

وقد تقدم تفسير هذه المسألة، في الشرح للقطعة كيف يفعل بها.

٣٤٦- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله عليه وعلى آله السلام: «أنه أمر النساء ألا يعذبن أولادهن بالذعر».

والذعر فليس يعرف في اللغة، إلا أن يكون من طريق الذعر الذي يذعر إنسان في متاع إنسان، يتأوه عليه ويأخذه منه، فإن كان هذا فليس يحل أن يغذى به صغير ولا كبير، وإن كان المعنى ^(١) غير هذا فليس يعرف في اللغة. وأما الذي قال أمير المؤمنين عليه وآله السلام: «لا قطع في الذعرة» ^(٢)، فهي مثل الرجل يذعر في السوق فيختلس شيئاً، فليس في ذلك قطع، لأن النبي عليه وعلى آله السلام قال: «لا قطع في خلصة» ^(٣).

٣٤٧- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وعلى آله السلام أنه قال: «على المسلمين أن لا يتركوا مقدوحاً في قذى، أو عقل»؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا خبر صحيح عنه عليه وعلى آله السلام، لأنه يجب على المسلمين أن يرفدوا المسلم في غرمه، وفادح أمره، الذي لزمه في غير معصية ولا سرف، وقد يجب أيضاً على الإمام أن يقوم بذلك إذا كان قائماً، لأن الله سبحانه قد جعل في أمواله للغارمين سهماً.

(١) في المخطوط: لمعنى. وما أثبت اجتهاد.

(٢) لم أقف على الرواية بهذا اللفظ. ولعله يريد قول علي عليه السلام: لا قطع على خائن ولا مختلس ... أخرجه الإمام زيد في المسند / ٣٣٨، وهو في كثر العمال برقم (١٣٩١٩).

والذعرة: الخلعة. قال ابن منظور: وفي حديث حذيفة قال له ليلة الأحزاب: قم فأت القوم ولا تدعهم علي. يعني: قريشاً. أي: لا تفرعهم، يريد: لا تعلمهم بفضلك وامش في خفية. لسان العرب مادة: ذعر.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٣٦٨) بلفظ: عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَيْسَ عَلَى خَائِنٍ وَلَا مُتَّهِبٍ وَلَا مُخْتَلِسٍ قَطْعٌ. والنسائي برقم (٤٨٨٥)، وأبو داود برقم (٣٨١٧)، والدارمي برقم (٢٢٠٧).

٣٤٨- وسألت عن الحديث الذي يروى عن النبي عليه وعلى آله السلام في: «
النهى عن الثوب المصلى»^(١)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: لا نعرف هذا الحديث، ولا معنى للثوب المصلى، إلا أن يكون المعنى في المصلى، الثوب المصور فيه الصور، فإن كان هكذا، فقد نهى عنه رسول الله عليه وعلى آله السلام، عن الصلاة فيه.

٣٤٩- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وعلى آله السلام أنه قال: «لأن
يتملى جوف أحدكم قبحاً، خير له من أن يتملى شعراً»^(٢)؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: هذا حديث ليس يصححه أهل العلم في كل الشعر، لأن الشعر يفترق على معنيين، أحدهما جائز، والآخر حرام، فأما الجائز فما كان فيه موعظة وأدب وحكمة، وأمر حسن جميل لا منقصة فيه ولا عيب، فذلك جائز، وقد كان النبي عليه وآله السلام، يسمعه ويستشهره، وكان أمير المؤمنين عليه السلام، يرويه ويقرضه.

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٧١٢): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الثَّوْبِ الْمُصْنَتِ.

وفي لفظ آخر لأحمد برقم (١٧٨٣): عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الثَّوْبِ الْمُصْنَتِ مِنْ قَرَّ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا السَّدَى وَالْعَلَمُ فَلَا تَرَى بِهِ بَأْسًا. حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ يَعْنِي ابْنَ سُلَيْمَانَ الرَّقِّيَّ قَالَ: قَالَ خُصَيْفٌ: حَدَّثَنِي غَيْرُ وَاحِدٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: إِنَّمَا نَهَى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمُصْنَتِ مِنْهُ فَأَمَّا الْعَلَمُ فَلَا. وَأَبُو دَاوُدَ برقم (٣٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٨٩)، ومسلم برقم (٤١٩١)، والترمذي برقم (٢٧٧٨)، وأبو داود برقم (

٤٣٥٦)، وابن ماجه برقم (٣٧٤٩)، وأحمد برقم (٧٥٣٥).

وأما المعنى الثاني الذي لا يجوز، فما كان من الكذب، والهجاء والرفث، ونعت حُرْم المسلمين، والذم للصالحين، فهذا معنى من قاله، كان مأثوماً، وكان حاله في جوفه كحال القيح، الذي ذكره الرسول عليه وعلى آله السلام، وهذا فعل من أفعال الغواة، وأقوال المتمردين.

٣٥٠- وسألت عما روي في المدينة، وعن قول النبي عليه وعلى آله السلام: « بارز الإسلام إليها »^(١)، فقلت: ما معنى بارز؟

فالأرز هو البيوت في الموضع والوقوف فيه، ومعنى أيضاً يبرز فهو يثيب ويحمد ويعف، وهما حرفان مختلفان في اللفظ، والمعنى واحد.

٣٥١- وسألت عن الحديث الذي يروى عن رسول الله عليه وعلى آله السلام: « أن أقواماً أتوه فقالوا: يا رسول الله إنا نركب أرماتنا لنا في البحر، فتحضر الصلاة، وليس عندنا إلا سقاهنا، فنتوضأ بما البحر؟ فقال عليه وآله السلام: هو الطهور ماؤه، والحل ميتته »^(٢)، فقلت: ما معنى ذلك، وهل تجوز أكل ميتة البحر؟

(١) لم أقف على هذه الرواية.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٦٤)، والنسائي برقم (٥٩)، وأبو داود برقم (٧٦)، وابن ماجه برقم (٣٨٠)، وأحمد برقم (٨٣٨٠)، ومالك برقم (٣٧)، والدارمي برقم (٧٢٣). وفي لفظ لأحمد برقم (٢٢٠١٧): حَدَّثَنَا يَزِيدُ أَخْبَرَنَا يَحْيَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ الْكِنَانِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ بَعْضَ بَنِي مُذَلِّجٍ أَخْبَرَهُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرْكَبُونَ الْأَرْمَاتَ فِي الْبَحْرِ لِلصَّيْدِ فَيَحْمِلُونَ مَعَهُمْ مَاءً لِلْسَّفَرِ فَتَذَرُكُهُمُ الصَّلَاةُ وَهُمْ فِي الْبَحْرِ وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا إِنَّ تَوَضُّأً بِمَائِنَا عَطِشْنَا وَإِنْ تَوَضُّأً بِمَاءِ الْبَحْرِ وَجَدْنَا فِي أَنْفُسِنَا فَقَالَ لَهُمْ هُوَ الطَّهَوْرُ مَاؤُهُ الْحَلَالُ مَيْتَتُهُ

وفي لفظ الترمذي: عَنْ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي بُرْدَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ فَإِنْ تَوَضُّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا أَفَتَوَضُّأُ مِنْ مَاءِ

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: أما التمسح بما البحر فجائز حلال، وقد أجاز به عليه وعلى آله السلام فلم يجرمه، وأما ميتته فحرام أكلها، وليس ما روي عنه عليه وآله السلام، في أكلها بصحيح^(١) وقد حرم الله سبحانه أكل الميتة، ولم يذكر بحراً

الْبَحْرِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ الْجِلُّ مَيْتَتُهُ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٣٠٣)، ومسلم برقم (٣٥٧٦)، والترمذي برقم (٢٣٩٩)، والنسائي برقم (٤٢٧٦)، وأبو داود برقم (٣٣٤٣)، وابن ماجه برقم (٤١٤٩)، وأحمد برقم (١٣٨١٧)، ومالك برقم (١٤٥٦)، والدارمي برقم (١٩٢٧). وفي لفظ أحمد: عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول غزونا جيش الخبط وأميرنا أبو عبيدة بن الجراح فجعلنا جوعاً شديداً فألقى لنا البحر حوتاً لم نر مثله يقال له العنبر فأكلنا منه نصف شهر وأخذ أبو عبيدة عظماً من عظامه فكان الرأكب يمر تحت حوتنا محمد بن بكر أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يخبر نَحْوًا من خبر عمرو هذا وزاد فيه قال وزودنا النبي صلى الله عليه وسلم جرأنا من تمر فكان يقبض لنا قبضة قبضة ثم تمر تمر فتمضممها وتشرب عليها الماء حتى الليل ثم نهد ما في الجراب فكنا نجتني الخبط بقسنا فجعلنا جوعاً شديداً فألقى لنا البحر حوتاً ميتاً فقال أبو عبيدة غزاة وجياع فكلوا فأكلنا فكان أبو عبيدة يتصب الصلغ من أضلاعه فيمر الرأكب على بعره تحت ويجلس التفر الخمسة في موضع عينه فأكلنا منه وأدهنا حتى صلحت أجسامنا وحسنت سحتنا قال فلما قدمنا المدينة قال جابر فذكرناه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رزق أخرجه الله لكم فإن كان معكم منه شيء فأطعمونا قال فكان معنا منه شيء فأرسل به إليه بعض القوم فأكل منه.

وفي لفظ مسلم: عن جابر قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر علينا أبا عبيدة تلقى عيراً لقرينش وزودنا جرأنا من تمر لم نجد لنا غيره فكان أبو عبيدة يعطينا تمر تمر قال فقلت كيف كنتم تصنعون بها قال تمضممها كما يصي الصبي ثم تشرب عليها من الماء فتكفينا يومنا إلى الليل وكنا نضرب بعصينا الخبط ثم نبله بالماء فأكله قال وانطلقنا على ساحل البحر فرفع لنا على ساحل البحر كهفة الكبيب الضخم فأثبناه فإذا هي دابة تدعى العنبر قال قال أبو عبيدة ميتة ثم قال لا بل نحن رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله وقد اضطررتم فكلوا قال فأقمنا عليه شهراً ونحن ثلاث مائة حتى سمنا قال ولقد رأيتنا نعترف من وقب عينه بالقلال الدهن ونقطط منه الفدر كالنور أو كقندر النور فلقد أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلاً

ولا غيره، فكلما وقع عليه اسم الموت فحرام أكله، في بحر كان أو بر، وأما الأرمات، فهو اسم لبعض المراكب الصغار، لأنها قد تسمى بتيدا أو خلانا، وزواريقا، وقواربا، وكل هذه أسماء لها تسميها بها الناس، وهذا الاسم أيضا من بعض أسمائها، وأما ما روي عنه عليه وعلى آله السلام، من قوله: «أنا فرطكم على الحوض»^(١)، فإنما أراد عليه وعلى آله السلام: أنا سابقكم، والعرب تسمى كل من تقدم وسبق: فرطاً، يقول القائل: طلبت فلانا ففرطني، أي: سبقني.

٣٥٢- وسألت عما روي عن بعض أصحاب النبي عليه وعلى آله السلام أنه قال: «تحرفت عنا الحرف، وأحرق بطوننا التمر»^(٢).

فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقَبٍ عَلَيْهِ وَأَخَذَ ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ فَأَقَامَهَا ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَسَاتِقٌ فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ هُوَ رِزْقُ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٍ فَتُطْعِمُونَا قَالَ فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ فَأَكَلَهُ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٠٨٩)، ومسلم برقم (٤٢٥٠)، وابن ماجة برقم (٣٠٤٨)، وأحمد برقم (٣٤٥٧). وفي لفظ لمسلم برقم (٤٢٤٣): عَنْ أَبِي حَازِمٍ قَالَ سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ وَرَدَ شَرِبَ وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَطْمَأْ أَبَدًا وَلِكِرْدَنَ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرَفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قَالَ أَبُو حَازِمٍ فَسَمِعَ الثُّغَمَانُ بْنُ أَبِي عِيَّاشٍ وَأَنَا أَحَدُهُمْ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ هَكَذَا سَمِعْتُ سَهْلًا يَقُولُ قَالَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَ وَأَنَا أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ يَزِيدُ يَقُولُ إِنَّهُمْ مَنِي فَقَالَ إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سَخِفًا سَخِفًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي.

(٢) لعل الحديث تصحّف عند السائل.

أخرجه أحمد برقم (١٥٤١٩) بلفظ: عَنْ أَبِي حَرْبٍ أَنَّ طَلْحَةَ حَدَّثَهُ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَتَيْتُ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ لِي بِهَا مَعْرِفَةٌ فَتَزَلْتُ فِي الصُّفَّةِ مَعَ رَجُلٍ فَكَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ كُلُّ يَوْمٍ مُدٌّ مِنْ تَمْرِ فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ الصُّفَّةِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحْرَقَ بَطُونُنَا التَّمْرَ وَتَحَرَّقَتْ عَنَّا الْخُفُّ فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَبَ ثُمَّ قَالَ وَاللَّهِ لَوْ وَجَدْتُ خَبْرًا أَوْ لَحْمًا لَأَطْعَمْتُكُمْوَهُ أَمَا إِنَّكُمْ تَوْشِكُونَ أَنْ تُذَرِكُوا وَمَنْ أَذْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ أَنْ يُرَاحَ عَلَيْكُمْ بِالْجِفَانِ وَلَيْسُونَ مِثْلَ أَسْتَارِ الْكَعْبَةِ قَالَ فَمَكَثْتُ أَنَا وَصَاحِبِي ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْمًا وَلَيْلَةً مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا

واعلم - أكرمك الله - أنه إنما أراد بانحراف الحرف عنهم، مطر الخريف الذي به تحيي الماشية، وتغزر به ألبانها، وينتفع بلحمها، فلما أن انحرف الخريف عن رب الغنم وعجفت، فأحرقهم التمر وحده، لأنهم كانوا يستعينون باللبن واللحم على التمر وحده.

٣٥٣- وسألت عن السبوة التي تروى أن رسول الله عليه وآله السلام « دخل على عائشة وهو عندها مرخى عليها سترة »؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: السبوة، فهي الصغيرة من المعز، في لغة العرب.

٣٥٤- وسألت عما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: « للأنصارية حيث سألته عن الحيض؟ خذي قرضة فتطهري بها »^(١)؟

معنى القرضة: قطنة من خرق قطن، أو صوف.

٣٥٥- وسألت عما روي عن رسول الله عليه وآله السلام، في الغائط، إذ يقول: « اتقوا الملاعن، واعدوا النبل »؟

قال محمد بن يحيى رضي الله عنه: قد يروى عنه عليه وآله السلام، أنه: « أمر من أراد الغائط، أن يتجنب ظل الشجرة، والحوائط، وحيث تقعد الناس، وموارد الماء،

الْبَرِيرَ حَتَّى جِئْنَا إِلَى إِخْوَانِنَا مِنَ الْأَنْصَارِ فَوَاسَوْتَنَا وَكَانَ خَيْرَ مَا أَصَبْنَا هَذَا الثَّمَرُ.

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٠٣)، ومسلم برقم (٤٩٩)، والنسائي برقم (٣٥١)، وأبو داود برقم (٢٧٠)، وابن ماجه برقم (٦٣٤)، وأحمد برقم (٢٣٧٦٠)، والدارمي برقم (٧٧٦)، بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ قَالَ خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسْكٍ فَتَطْهَرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ أَتَطْهَرُ قَالَ تَطْهَرِي بِهَا قَالَتْ كَيْفَ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطْهَرِي فَاحْتَبِذْهَا إِلَيَّ فَقُلْتُ تَتَّبِعِي بِهَا أَنْزَلَ الدَّمَ.

وقسوارع الطرق»^(١)، لأن من تغوط في شيء من هذه المواضع لم يجد^(٢) أحد إلا لعنه. وقوله: «اعدوا النبل»: أظنه زيادة في الحديث. وقد قيل: إن النبل: الحجارة التي يستحجر بها. تمت المسائل، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وأهله الأكرمين.



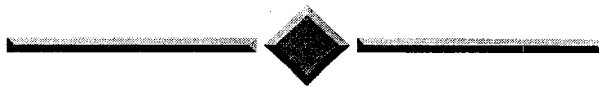
(١) أخرج أحمد بن عيسى بن زيد في أماليه عن علي: ((غانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يبرز الرجل ما بين القبور، أو تحت الشجر المثمرة، أو على ضفة نهر جار)) . أمالي أحمد بن عيسى [رأب الصدع ١ / ٢٧ (٤)]، وأخرج نحوه الطبراني.

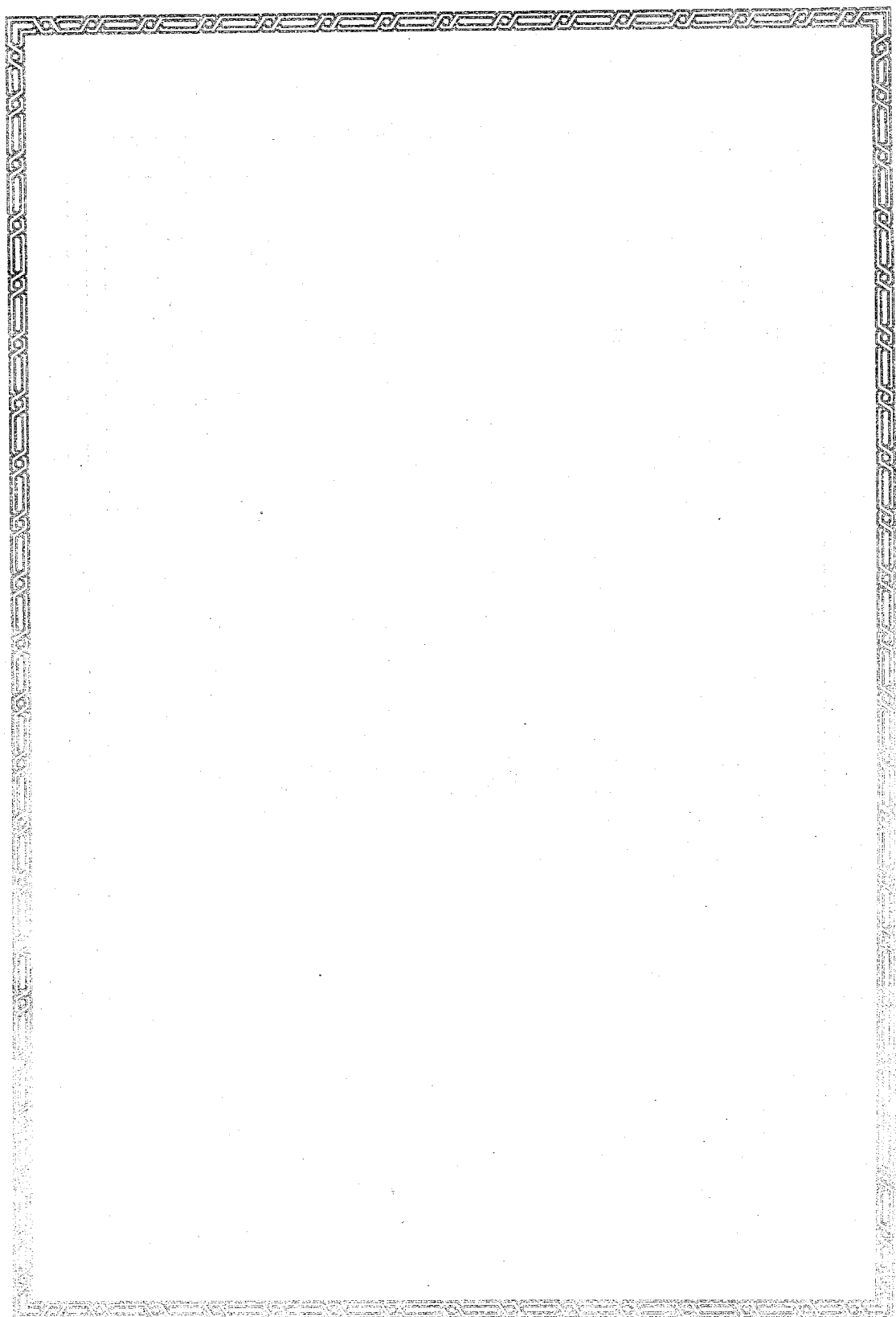
وأخرجه أبو داود برقم (٢٤)، وابن ماجه برقم (٣٢٣)، بلفظ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّقُوا الْمَلَأَةَ الثَّلَاثَةَ الْبَرَّازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ وَالظِّلَّ.

(٢) في المخطوط: بجز. ولعلها كما أثبت أو نحوها.



تفسير سورة الكهف





تفسير سورة الكهف

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله عز وجل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾.

قال محمد بن يحيى بن الحسين صلوات الله عليهم: معنى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ فهو: الحمد والثناء على الله، والشكر بما أوى، الذي أنزل الكتاب.

معنى ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ ﴾ فهو: الله، ﴿ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾، وعبداه فهو: محمد صلى الله عليه وعلى آله، و﴿ الْكِتَابَ ﴾ فهو: هذا الكتاب الذي فيه النور، والشفاء، والحق والهدى، وجميع ما يحتاج إليه من حلال وحرام، ونازلة من نوازل الأنام.

ومعنى ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْ ﴾، فذلك هو لا عوج فيه ولا فساد، ولا اختلاف ولا تضاد، ولا تبديل.

﴿ قَيِّمًا ﴾ فهو الثابت المصيب، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وكل ما فيه نور وحجة، ولمن عقله أكبر الدلالة، قيم بجميع أحواله، قاهر لمن ناظره، فالج لمن حاوله، لا خلل فيه ولا فساد، تزيل من ذي العزة والأيد، حكمة بالغة، ودلالة قاهرة.

ثم قال سبحانه: ﴿ لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَّدُنْهُ ﴾، ولدنه فهو: من عنده، والبأس فهو: العقوبة والتنكيل، والجزاء الدائم الطويل، فجعل كتابه حجة على خلقه، ومبيناً لجميع ما افترض على عباده، وقص عليهم فيه حلاله وحرامه، وحذرهم بما جعل من أليم عقابه، لمن عصاه، وخالف أمره سبحانه وهُداه، فهو توجيهه الرسول عليه السلام بالكتاب المبين، حجة بالغة وإعذاراً إلى جميع المخلوقين.

ثم قال: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾، فأمر سبحانه نبيه أن يبشر المؤمنين، ﴿ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾. فهو عطاء، وهبة وجزاء،

وهو مكافأة على طاعتهم، وإكرام من الله بذلك لهم. والحسن: فهو الكامل من العطاء، المبهج لمن صار إليه من أهل الجزاء.

ثم قال سبحانه: ﴿مَكِّيِّثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ﴾. فكانت هذه زيادة في البشارة، من بعد ما ضمن لهم من الأجر الحسن والعطية الكاملة، فأخبرهم أنهم ما كانوا فيه، غير زائلين عنه، ولا مستقلين منه، إذ كل نعمة زال عنها صاحبها وزالت عنه، فليست بغبطة ولا سرور، وإنما هي بلغة إلى حادث من الأمور، فكانت هذه الغبطة في الآخرة لهم من الله سبحانه دائمة، وعنهم غير منقطعة، ولا يفجعون فيها أبداً بنازلة.

ثم قال عز وجل: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ﴾. فأخبر سبحانه بإنذاره في كتابه، وعلى لسان نبيه، ﴿الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ﴾، لئلا يكون على الله حجة بعد الإعذار والإنذار، والتوقيف لهم على جهلهم، وعظيم ما اجترحوه من كفرهم، ونطقوا به من قبيح كلامهم.

ثم قال سبحانه: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ﴾. فأخبر سبحانه بجهلهم في ذلك وتقحمهم في الزور، وقبيح ما نسبوه وآباءهم إليه سبحانه من الأمور^(١).

ثم قال سبحانه: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۚ﴾. فذكر عظيم ما تكلموا فيه، ونطقوا به من أفواههم، وأتوا به من قبيح كلامهم.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۚ﴾. والكذب: فهو الزور، واجتراح الباطل من الأمور، جرأة وجهلا، وعماية وغشما، فأكذبهم الله سبحانه في قولهم، وزجرهم عما أتوا به من زور كلامهم، تعالى الله عما يقول الظالمون، وينسبه إليه الجاهلون.

(١) في المخطوط: ما نسبوه إليه سبحانه من الأمور وآبائهم. وما أثبت اجتهد.

ثم قال سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝﴾. والبائع بنفسه هو: الذي يسخو بها، فأراد الله سبحانه بقوله: ﴿بَنِيعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: متلفها غما وأسفا، على ما تعاین من تكذيبهم وصدودهم وشدة كفرهم، ولم نكلفك ذلك فيهم، ولم نفترض عليك أن تتلف نفسك بشدة الحزن والوجد والأسف، وإنما عليك الإعذار والإنذار، والله سبحانه المعاقب لهم والمجازي بالهلكة على فعلهم، من بعد قيام الحجة عليهم.

فكان صلى الله عليه وآله وسلم إذا اشتد ما يرى من صدودهم، وما يعاین من إقدامهم بالكذب على خالقهم، عظم لذلك حزنه، وتأكد وجده، والغم فقد يتلف النفس، ويستجلب الأمراض. ألا تسمع كيف أخبر الله سبحانه عن نبيه يعقوب صلى الله عليه وآله وسلم إذ يقول: ﴿وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ۝﴾ [يوسف: ٨٤]. فبلغ به الحزن إلى أن ذهب بصره وكظمه.

وكذلك أيضا أيوب عليه السلام، بلغ به الحزن إلى أن أذهب لحمه، وأنغل جلده، وأشرف على الموت لعلته، لولا ما كان من إبقاء الله لنفسه.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا ۝﴾. فكذلك كل ما جعل الله سبحانه عليها، وخلق ما فيها وذراؤها فهو زينة لها، وحجة له عز وجل وجل على أهلها، ودليل على وحدانيته، وشاهد على ربوبيته، وحد سبحانه في جميع ذلك أحكاما بيّنها وافترضها، فيما جعل على الأرض وذراؤه من جميع ما خلق فيها.

ثم قال سبحانه: ﴿لِنَبْلُوهُمْ ۝﴾، ومعنى ﴿لِنَبْلُوهُمْ﴾ أي: يمتحنهم ويختبرهم فيما خلقنا وجعلنا، وهم فممن خلق على ظهر الأرض بزینتها، ولما أراد الله سبحانه من إظهار حكمته وتدبيره، وحسن تقديره، وأمره لهم ونهيه. فابتلاهم بالأمر والنهي لتبين طاعة المطيعين، فيستوجبون بذلك الثواب من رب العالمين، وتظهر عند الأمر والنهي معصية العاصين، فيستوجبون بذلك العذاب المهين.

ثم قال سبحانه: ﴿ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ ﴾، عند الأمر والنهي ﴿ عَمَلًا ﴾ و طاعة واستقامة، ثم قال سبحانه: ﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾. الصعيد فهو: التراب، أراد سبحانه: أن جميع الخلق وما على وجه الأرض يصير صعيدا جرزا، يقول: رفاتا ذاهبا. والجرز فهي: الأرض التي ليس يحيطها مطر، ولا ينبت فيها شجر، فأخبر سبحانه أن حالهم كحال الصعيد، وهي الأرض الجرز التي لا تنبت شيئا.

ثم قال سبحانه: ﴿ أَمْرٌ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ ﴾. والكهف فهو: كل ما كان في الجبال مجوفا مضيئا، يسمى كهفا يسكن فيه، ويؤوى إليه، ويظل من الشمس والأمطار، ويدخل عند وهج النهار.

والرقيم: فهو الجبل الذي فيه الكهف، وقد قيل: إنه الموضع الذي فيه الكهف، وأي ذلك كان فحائز في المقال، والذي أقول به - والله أعلم - أن الرقيم هو الجبل.

﴿ كَانُوا مِنْ ءَايَتِنَا عَجَبًا ﴾، يقول سبحانه: إنهم لم يكونوا من أعظم الآيات، بل كان في آياتنا ما هو أعجب وأعظم من هؤلاء، وإن كان فيهم العجب العجيب لمن فكر، وعقل واعتبر وازدجر، أن يكون قوم ممن قد خلقهم الله كخلق آدميين، وركب فيهم من الأكل والشرب والروح وما ركب في جميع المخلوقين، ثم أقاموا بلا أكل ولا شرب ثلاث مائة سنة وتسع سنين، لم تتغير لمر السنين أعماؤهم، ولم تذهب بطول المدة لحومهم، ولم تؤثر الأرض في أبدانهم، فهذا من أعظم دلالة لمن أبصر، وأبين حجة لمن تفكر، وآمن بالله واعتبر، فكان الناس يتعجبون من بقائهم، وسلامة أبدانهم، على طول هذه المدة، فأخبرهم الله عز وجل أن من آياته التي يرون ما هو أعظم من ذلك.

ثم رجع القصص إلى ذكر الفتية فقال سبحانه: ﴿ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ ﴾. ومعنى أووا فهو: دخلوا فيه ونزلوا، وانضوا إليه وسكنوا، إنكارا على قومهم، واعتزالا لهم لما أظهروه من شرارهم، وعظيم كفرهم، فخرجوا إلى الله سبحانه هارين، ولقومهم تاركين، حتى صاروا إلى الكهف، ﴿ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ﴾، ومعنى ﴿ لَدُنْكَ ﴾ فهو: من عندك، ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا

ارتبطت قلوبهم، وثبتت على الحق عزائمهم، ولم ترغ مع من زاغ من قومهم، فكان ذلك من الله عز وجل عوناً لهم على طاعتهم له، وتثبيتاً على تعلقهم بأمره، فلما كان ذلك منهم ازدادوا نورا إلى نور، وخيرا إلى خير.

ثم قال: ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهَا إِنَّهَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ﴾. فأخبر سبحانه بإقرارهم به وإيمانهم، وما احتجوا به في وحدانيته من خلق السموات والأرض. ومعنى ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو: خالقهما ومالكهما، فاحتجوا بعظيم صنعه على وحدانيته. ومعنى ﴿لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهَا ۖ﴾، يقول: لن نتخذ من دونه إلها نعبد، وفي طاعة الله نشركه، ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ﴾. والشطط فهو: المحال من القول المهلك فعله، الباطل في نفسه.

ومعنى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهَا آلِهَةً ۖ﴾. إخبار منهم بفعل قومهم، وما اجترأوا عليه من عظيم كفرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ﴾. يريدون بقولهم: لولا يأتون عليهم بسلطان، والسلطان فهو: البرهان الذي يشهد لهم بالصدق في فعلهم، فاحتجوا عليهم بذلك فقالوا لو لا تأتون على ما ادعيتم من هذه الآلهة بحجة واضحة، وبينة نيرة، تصدق قولكم فيما ادعيتم من كذبكم، واتخاذكم من دون الله آلهة.

ثم قال عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ﴾. والافتراء فهو: الكذب، وقول ما لم يكن، وذلك أنهم كانوا يزعمون أنهم يعبدون الأصنام لتقرهم إلى الله سبحانه، ويقولون: إن ذلك له رضى سبحانه، وكان ذلك منهم افتراء على الله وكذبا، ولذلك سأل الفتية البرهان إذ نسبوا ذلك إلى الله سبحانه، فسألوهم تصديق قولهم، لأن الله عز وجل إذا أمر بأمر أو تعبد به، كانت معه شواهد تصدقه، وعلامات تؤكد، وحجج تبهر عقول الخلق وتبينه.

ثم ذكر عز وجل أمر الفتية وما كان من قولهم، إذ يقول: ﴿وَإِذْ أَعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْدَأُ إِلَى الْكَهْفِ ۖ﴾. ومعنى ﴿أَعْتَرَلْتُمُوهُمْ﴾ أي:

تركتموهم وباينتموهم، ﴿ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأُودِءُ ﴾، أي: صيروا إلى الكهف، والكهف فهو ما ذكرنا وفسرنا.

ومعنى: ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴾ ﴿١١﴾. فهو: يسر لكم الخير، ويهدكم ويثبتكم ويتولى أمركم، ومعنى ﴿ يُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرفَقًا ﴾، فهو: يوفق لكم من أمركم مرفقا، والمرفق فهو: الكفاية في جميع الحالات، لأن العرب تقول: أرفق علي بسبب، تريد: أعطني، فكان المرفق من الله سبحانه العطية لهم وكفاية المهم، مع الهدى والتسديد والعون والتوفيق.

ثم رجع القصص إلى ما تفضل الله به على أهل الكهف، فقال: ﴿ وَتَرَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ ﴾. ومعنى ﴿ تَزَاوَرُ ﴾ فهو: تنحرف. ﴿ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾. فأخبر بلطفه لهم في الشمس في طلوعها وغروبها، لأنها لو دخلت عليهم لأحرقت أجسادهم، وغيرت ألوأهم، فكانت إذا طلعت تزاورت عن كهفهم كما قال سبحانه: ﴿ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾، أي: تنكسر عنهم. ومعنى القرض فهو: تزول عنهم، وتدخل في طرف يسير منه لا تصل بهم، وكذلك تقول العرب: قرضت أرض بني فلان، أي: أخذت في شقها، ويقال في الثوب: قرض إذا كان في بعضه، وإنما سمي: القرض لذهاب الشيء اليسير من الكثير، فلما قرض بعضه وسلم أكثره، قيل: قرض، كذلك الكهف لما أن لم تنتشر الشمس في كله، وإنما كان دخولها في حرف منه، قيل: ﴿ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ﴾، فكان الكهف - والله أعلم - كان وجهه مقابلا لمغيب بنات نعش وللجدي.

﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ﴾. ومعنى ﴿ مِنْهُ ﴾ فهو: الكهف، والفجوة فهو: الموضع السالم من الشمس وغيرها، مما يضرهم في موضع سلامة وعافية. ﴿ ذَلِكَ مِنْ عَائِلَةِ اللَّهِ ﴾، ومعنى ﴿ مِنْ عَائِلَةِ اللَّهِ ﴾ فهو: من الدلائل على الله سبحانه. ثم قال عز وجل: ﴿ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴾ ﴿١٢﴾. كذلك الله سبحانه من اتبع هداه، وآمن به واتقاه، فقد

سلم واهتدى، ونجا بعون الله من المهالك والردى، ونال بفضل الله سبحانه الفضل عليه، وإحسانه إليه، أفضل الهدى، وكان كما قال الله سبحانه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ ١٧. ومعنى يضلل فهو: خذلان الله له، وتركه إياه من التوفيق والتسديد، والله عز وجل فلا يفعل ذلك إلا بعدد قد عصاه، وخالف أمره وهداه، فإذا كان من العبد استوجب من الله الخذلان، ومعنى ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ فهو: من بعد ترك العبد لطاعة الله سبحانه، ووقوع اسم الضلال عليه والخذلان من الله، لا تجد له وليا مرشدا، ولا إلى خير داعيا.

ثم رجع القصص إلى أهل الكهف فقال سبحانه: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾. يخبر عز وجل أنه لو نظر إليهم ناظر ظنهم أيقاضا، وقد يقال: إن أعينهم كانت مفتحة، وذلك لما أراد الله سبحانه من سلامتها، لأن الهوى والريح من منافع العين، ولو كانت مغمضة في طول هذه المدة لأحدث فيها طول الإغماض حدثا، فكانت أعينهم مفتحة وهم رقود لا يبصرون شيئا ولا يفهمونه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَنُقَلِّبُھُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾. معنى ﴿نُقَلِّبُھُمْ﴾ فهو: تحويله سبحانه من شق إلى شق، لطفاً من الله سبحانه لهم بذلك، لئلا يحدث في جنوبهم من طول المكث على الأرض فساد.

وقد يمكن أن يكون الله عز وجل يأمر بهم ملائكته، يقلبونهم لتراوح جنوبهم، ويفعل في ذلك ما شاء، إذ هو سبحانه إذا أراد شيئا قال له: كن فيكون.

ثم ذكر كلبهم الذي كان معهم، فقال: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾. والوصيد فهو: باب الكهف.

﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ١٨. وذلك أن الله سبحانه طرح عليهم الهيبة والجلالة، فكانت هيبتهم تملأ قلب ناظر لو نظر إليهم، حتى يدعوه ذلك إلى ما ذكر الله سبحانه من الفرار منهم.

قال: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾. والتساءل فهو: التخابر بينهم عما خالفوا فيه قومهم، فكان من كلامهم ما قال الله سبحانه: ﴿قَالَ

قَابِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴿١٠﴾ فلم يدروا كم لبثوا حتى قالوا: ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فاستكثروا اليوم، حتى قالوا: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، وقد أقاموا المدة الطويلة.

ثم رجعوا بالتسليم لله سبحانه فـ ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾. يريدون بذلك: كمال اليوم، أو بعضه.

ثم قالوا: ﴿فَاتَّبَعُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾. ومعنى الورق فهو: الفضة. والمدينة فهي: مدينتهم التي كانوا فيها.

ثم قالوا: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾. يريدون: أيها أزكى وأطهر فليشتر لكم منه، وإنما أرادوا بذلك: أي أهل القرية أصلح في إسلامه، وأثبت على طاعة ربه، فيشتري لهم من ذبيحته، ومما في يده، يريدون الطهارة والحلال.

وقد قيل: إن ﴿أَزْكَى طَعَامًا﴾ أي: أفضل طعاماً. والقول الأول أحب إلينا. ومعنى: فـ ﴿لْيَتَلَطَّفْ﴾. أرادوا في استتار وانكثام عن الناس، حتى يأخذ لهم حاجتهم، وينصرف بها إليهم.

ثم قال: ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ ﴿١١﴾.

ثم قال: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾ ﴿١٢﴾. فخافوا أن يظهروا عليهم، من بعد أن خرجوا من عندهم مغاضبين، ولهم مكفرين، أن يرحمهم.

ومعنى الرجم فهو: الرجم بالحجارة.

ثم قال: ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾. فأخبر أنهم لو دخلوا في ملتهم لم يكونوا بمفلحين، ولا عند الله سبحانه بناجين.

ثم قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾. ومعنى ﴿أَغَثَرْنَا﴾ أي: دللنا عليهم، وأوقعنا على

موضعهم، لما أراد الله سبحانه من الحجة على أهل دهرهم، من إبقائهم في الكهف، بلا طعام ولا شراب.

فكان هذا دليلاً على الله سبحانه، وحجة باهرة، وكان للفتية هداية، وزيادة في النية والبصيرة.

ومعنى ﴿حَقُّ﴾ فهو: الصدق الذي لا خلف فيه، ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾. فكان بعث الله سبحانه لهم من بعد طول هذه المدة، تصديقاً للساعة التي وعد بها.

فلما خرج الفتية من كهفهم، وهم يظنون عند أنفسهم أنهم أقاموا يوماً أو بعض يوم، فلما دخل المشتري لهم ببضاعتهم، دخل خائفاً وجللاً، فلم يعرف في القرية أحداً، وأنكر أهلها جميعاً، وأقبل يسألهم عن قوم كانوا بها، وعن ملكهم دقيانوس، الذي كان سبباً لتكفيرهم، فيقولون: فنوا أولئك وذهبوا، وقرن بعدهم، فلما أنكروا أمره، وكان خبر اعتزال هؤلاء الفتية شائعاً عند القرن، الذين خرجوا فيهم، وفيمن بعدهم من خبز من كان قبلهم، ممن انتهى إليه خبرهم، مع إخبار عيسى صلى الله عليه بهم، وذكره لقصتهم، وما يكون من خروجهم.

وذلك أن عيسى صلى الله عليه، بعث من بعد اعتزال الفتية لقومهم، فأخبر بأهل الكهف وبقائهم، ولم يكن يُعلم لهم بقاء، من بعد ما كان من اعتزالهم لقومهم، حتى أخبر بذلك عيسى صلى الله عليه، باطلاع الله له على أمرهم، فلم يسأله حتى فطنوا له، وأيقنوا أنه من أهل الكهف.

ثم رجع القصص إلى ما فعل الأولون، إذ يتنازعون بينهم، فقال عز وجل: ﴿إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ۖ﴾. والتنازع فهو: تنازع الكلام، والمحاورة والمجادلة في البنيان عليهم، فحجب الله عز وجل أبصارهم عنهم، فلم يروهم.

ثم ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾. فكل هذا كان من كلامهم ومحاورةهم، وما أدرأوا في أمرهم.

ثم قال سبحانه: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾. وهذا الكلام فهو من قول أهل الكتابين، فكان كلما يتكلمون به من عددهم، تخرصا وترجماً بالغيب.

ومعنى ﴿بِالْغَيْبِ﴾. فهو في الغيب.

يقول الرجل يتكلمون فيما لا يعلمون، وينطقون في ذلك بما لا يفقهون، إذ هو عنهم مغيب مستتر، لا يعلمه إلا الله، كما قال الله سبحانه، والرجم فهو: قول ما لا يُعلم. يقول للرجل إذا تكلم بما لا يعلم: أنت ترجم بالغيب.

ثم قال الله عز وجل: ﴿قُلْ رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. ومعنى ﴿مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، فهو: لا يعلم عدتهم إلا قليل من أهل عصرهم، ومن كان معهم في دهرهم، ممن نظر إليهم، عند خروجهم من قريتهم.

﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهَرًا﴾. فأمره سبحانه ألا يمار فيهم، إلا المراء الظاهر، والظاهر فهو: ما أعلمه الله به، وأظهره عليه في أمرهم، لأن كل متكلم تكلم بما لا يعلم، كان كلامه على غير صحة ولا بيان، رجما في المقال، ومخاطبة بالحال، فهاه الله عما عابه عليهم، وأمره بالمخاطبة الواضحة، والمقالة الصحيحة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ (١١). فأمره أن لا يستفتي فيهم منهم أحدا، فإنهم لا يصدقون في قولهم، ولا يخبرون بحق فيما يتكلمون به فيهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ (١٢) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ. فكان ذلك تأديبا من الله عز وجل لنبيه عليه السلام، ودلالة على ما هو أفضل عند مخاطبته، إذ دله على الاستثناء في كلامه، والتسليم لحكم الله في جميع أسبابه.

ثم قال عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا﴾ (١٣). فأمره بالذكر لربه.

ثم قال: ﴿عَسَىٰ﴾. وعسى هاهنا من الله إيجاب، ليست بشك ولا ارتياب، ﴿أَن يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾. يقول لأقرب مما أنتم تمارون فيه، وتكلمون به، فهذا الله سبحانه للصواب، وفهمه فيما كانوا يمترون فيه للجواب.

ثم قال: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾. فأخبر عز وجل عما لبثوا في الكهف من السنين.

ثم قال: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا﴾، كذلك الله سبحانه هو العالم بما لبثوا. لا يعلم ذلك غيره، ولا يحيط به سواه.

وقال: ﴿لَهُ غِيبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾. فهو عالم بغيها، وما استتر في جوانح أهلها، لا يعزب عنه صغيرة من خلقه ولا كبيرة، ولا يستتر عنه ظاهر ولا باطن، علمه بما ظهر وبان، كعلمه بما استتر وغي في الجنان.

ثم قال سبحانه: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾، ومعنى ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾، فهو: يوم القيامة، يقول: يبصرون ذلك اليوم البصر الجيد، والسمع الثاقب، لأن العرب تقول لمن غفل عن النظر في الشيء، والاستماع لما يرد عليه فيه، إذا وقعت مصيبة: أبصر به اليوم. يريدون: ما أجود بصره! من طريق التبكيث والتفريع، لما أن كان غفل عن النظر، حتى وقع في العظيم من الأمر، كذلك لما أن كان هؤلاء في هذه الدنيا غير ناظرين، ولا للحق مستمعين، ولا بما يرون من الآيات معتبرين. قال عز وجل: ﴿أَبْصِرْ بِهِ﴾ يوم القيامة ومعنى ﴿بِهِ﴾ أي: بهم. وذلك جائز في اللغة، والمخاطبة.

قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ [الانفطار: ٦]. وإنما أراد: يا أيها الناس.

وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تَوْسُوسُ بِهِ نَفْسَهُ﴾ [ق: ١٦]. وإنما أراد: الناس، يريد ما أجود أبصارهم وسمعهم عندما يعاينون جزاء ما كانوا به كذبوا، وعنه بالشهوة واللعب غفلوا.

وقال: ﴿ مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ ﴾. يقول: ما لهم في ذلك اليوم من دون الله من ناصر ينصرهم، ولا ولي يدافع عنهم، بل تقطعت بهم الأسباب، وذهب عنهم ما كانوا يتعلقون به من الأضداد، وصاروا بفعلهم إلى شر محل ومآب. ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴾. فكذلك الله عز وجل، له الحكم والأمر، لا شريك له في ذلك.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَأَنزَلْنَا مَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ ١٨. فأمره بتلاوة ما أوحى إليه، والوحي فهو: الكتاب والحكمة التي آتاه إياها، والدعاء إلى الله عز وجل، وإقامة الحجة، وأمره بإظهار ذلك وإباته.

ثم قال: ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ﴾. وكذلك الله عز وجل لا ناقض لحكمه، ولا مبدل لشيء من أمره، بحجة تقهره، ولا أمر يفسده، بل أمره القاهر، وحكمه النافذ.

ومعنى المتحد فهو: المأوى والمذهب والملجأ.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾. فأمره الله سبحانه بالصبر مع المطيعين له، والتعليم لهم والهداية لرشدتهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ ﴾. تفههما من الله سبحانه وتأديبا، ولم يكن صلى الله عليه ليزهد فيهم، بل كان لهم محبا، وعليهم مشفقا. ﴿ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾. فالزينة فهي: ما يعرف من زينة الدنيا وأسبابها، التي تقطع عن الله سبحانه.

ثم قال: ﴿ وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ ١٩. فكان هذا أيضا إخبارا لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، بأمر من عَدِمَ التوفيق من الله بفعله، واستوجب ذلك بمخالفته، حتى تبع هواه، ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾، والفرط هو: الإفراط في الشيء المجاوزة للقدرة، والإغراق فيه بمالا

يجوز، وما يخرج من القصد إلى الإسراف، والإغفال فهو: الخذلان بما استوجب عند المخالفة والعصيان، مثل من كان من قريش، وغيرها من أهل الكتاب، فيما كانوا عليه من الإبلاغ في الكفر، والإفراط والشرارة وقول الباطل والزور، وارتكاب الشرور، والكفر برب العالمين، وترك ما جاء به خاتم النبيين، حتى افراطوا في ذلك وجاوزوا كل حد.

ثم قال عز وجل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾. فأمره أن يقول الحق الذي أمره الله به.

ثم قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾. فأمره بقول الصدق، وما افترض من الحق، فمن شاء أن يقبله من المخلوقين قبله، وآمن به وصدق، ﴿وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ اختياراً من نفسه، وتعدياً في ذلك بفعله، لا بقضاء من ربه، ولا إدخال في معصيته، من بعد أن أقام الحجة عليه، وبَيَّن الحجة له.

وقد يخرج أيضاً في معنى ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ على الوعيد والتهديد والزجر، والتأكيد عليهم في الطاعة، والإغدار إليهم في المعصية، وهذا وجه حسن.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ فأخبر عز وجل أنه أعد للظالمين، والمعاندين للحق ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ وهو: عذابها، والتفاف جوانبها، ومصيرهم في قعرها، وهو السرادق.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾. فأخبر سبحانه أنهم عند استغاثتهم من العطش، يغاثون بماء كالمهل، والمهل فهو: صفو القطران، فيسقون من ذلك عند عطشهم، فيشوي وجوههم، ويقطع بحرّه أمعاءهم، ويتضاعف عند ذلك ما بهم^(١) من شدة ألمه.

(١) في المخطوط: ما هم. ولعل الصواب ما أثبت.

ومعنى ﴿ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ فهي: جهنم، يقول سبحانه ساء رفقتها، فأخبر عز وجل أن جميع ما فيها، من مائها وطعامها وأرفاقها، كلها من شر شديد متعب، لا منفعة فيه لطالبه، ولا راحة لمستشفع به عند حاجته.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۖ ﴾. فأخبر عز وجل أنه لا يضيع أجرهم، ولا يترهم شيئاً من أعمالهم، بل يضاعف ذلك لهم، ويدبه بفضله عليهم.

ثم قال سبحانه: ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ ﴾. فأخبر عز وجل أنها تجري من تحتهم الأنهار، وهم في أكرم محل وقرار، وفي الغرف العالية، والمنازل المرتفعة.

ثم قال سبحانه: ﴿ يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ۖ ﴾. والأساور فهي: هذه الأسورة التي تلبس في الأيدي، إكراماً من الله لهم، ومكافأة لهم على طاعتهم.

﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ ﴾. فأخبر سبحانه بلباسهم، وما من به عليهم من عظيم جزائه لهم، والسندس فهي: الثياب الخضراء، كما قال الله سبحانه، وهو اسم سماها الله به، والاستبرق فهي: الحمر السرية المرتفعة، وقد قيل: إنما جنس من الوشي، ثم قال: ﴿ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ ومعنى ﴿ عَلَى ﴾ فهو: في الأرائك، لأن على وفي حرفان يعقب أحدهما الآخر.

ثم قال: ﴿ نِعَمَ الثَّوَابُ وَحُسْنُ مَرْتَفَقًا ۖ ﴾. ومعنى ﴿ نِعَمَ ﴾ فهو: الكريم الفاضل، ومعنى ﴿ وَحُسْنُ مَرْتَفَقًا ﴾ فهو: حسن وعظم كل شيء فيها من رفقتها، وما جعل الله لأهلها من نعيمه، وعظيم عطاياه وفوائده.

ثم قال سبحانه: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ۖ ﴾. كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أَكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا ۖ ﴾. وهذا مثل ضربه الله عز وجل للقصة الأولى، وجعله موعظة وتنبها وفرقا بين المحقين والمبطلين.

ثم قال عز وجل: ﴿كَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ
 مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن
 تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۝ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي
 لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۝﴾ فكان هذا مثلاً أيضاً لأهل الظلم إذ أنعم الله
 عليهم بإحسانه، ورزقهم الأرزاق الوافرة، وأسبغ عليهم النعم الظاهرة، فلم
 يشكروا نعم الله عليهم، وإحسانه إليهم، بل زادهم ذلك طغياناً، وجرأة وتمرداً.

ثم ذكر عز وجل ما قال صاحبه حين يحاوره: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ
 يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا
 ۝ لَّكَئِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۝ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ
 جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا
 ۝ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا ۝﴾

[الكهف: ٣٨-٤٠]. والحسبان فهو: الآفة النازلة، والتلف والعذاب، ﴿مِّنَ السَّمَاءِ
 فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ۝﴾ أو يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا
 ۝ وَأَحِيط بِثَمَرِهِ فَأُصْبِحَ يُقْلَبُ كَفْيِهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ
 عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۝﴾. فهذه الآيات
 محكمات مفسرات لأنفسهن، لا يحتجن إلى مفسر لهن، إلا اليسير منهن وقد بيّنته،
 جعلهن الله عز وجل تنبيها ومثلاً ضربه فرقا بين الصالح والطالح.

ومعنى ﴿يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، فهو: عذاب من الله يترله بمن
 صد عنه، ونقمة يحلها بمن أدبر، وعن أمره عند استكبر.

ومعنى ﴿صَعِيدًا زَلَقًا﴾، فالصعيد هو: التراب، والزلق فهو: الذي ليس فيه
 شيء.

ومعنى ﴿خَاوِيَةٌ﴾ فهي: معطلة ميتة، لا ثمر فيها ولا عائدة، قد مات أصلها وغار
 مأوها، على عروشها.

معنى ﴿عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ فهو: خشبها التي تشرع به الأعناب، تكون تحتها تعرش
 عليها.

ثم قال: ﴿يَلْبِثُنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ٢٠ ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ ٢١ ﴿.

ومعنى ﴿يَلْبِثُنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ فإنما هو: تندم وحسرة على ما فاته. قال: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾، يخبر عز وجل أنه لا فئة له ينصرونه من دون الله، عند نزول العذاب به، ولا هو بمنتصر، والفئة فهي الجماعة. وهذه الآيات فهي أيضا مثل للآخرة، وما جعل الله فيها لمن أطاعه، من الجنان والنعيم، والثواب الكريم، والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ ٢٢. فأخبر أن ثوابه خير الثواب، وطاعته أحسن عاقبة، والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيْبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمْ الدُّنْيَا﴾ [الأحاف: ٢٠]. يريد: أذهبتم ما جعلت لكم من النعيم والطيبات، والعطايا العظيمة في الآخرة في الحياة الدنيا، لأن الله سبحانه قد جعل ما في الجنة جزاء للمطيعين، فلما عصوه في الدنيا وجانبوا حكمه، واتبعوا أهواءهم، وتركوا رشدهم، كان هذا إذهابا لطيباتهم التي جعلها لهم الله على الطاعة.

ثم قال سبحانه: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ ٢٣. فكان هذا مثلا عظيما حكيما منبها ميقظا من الغفلة، فأخبر الله سبحانه أن حال الدنيا وأهلها في تزيينهم لها وتزيينها لهم، كالماء النازل من السماء، فاختلط به نبات الأرض، يقول: خضرة الأرض وحشيشها، حتى تراه مخضرا ناظرا حسنا، ويصبح من بعد ذلك هشيما، تذروه الرياح يابسا مغبرا، فكذلك الدنيا وما فيها زائل كزوال هذه الخضرة، فنهاهم الله عز وجل عن الاغترار بها، والركون إليها.

ثم قال سبحانه: ﴿الْأَمْالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. وذلك كما قال الله عز وجل: زينة للدنيا وبهجة لها، يسر بها فيها أهلها.

ثم قال سبحانه: ﴿وَالْبَلَقِيْتُ الصَّلَاحُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾. وقد قيل: إن الباقيات: التسييح، وهو عندي - والله أعلم - التسيح وغيره من الأعمال الصالحة، التي تبقى للعبد عند فئائه، وتنفعه في يوم بعثه.

وقال سبحانه: ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾. يقول: إن الباقيات خير عطاء وثوابا وأملا، والأمل فهو: الرجاء، بما في الآخرة من النعيم والرفعة والعطاء، وذكر أن ذلك خير من المال والبنين اللذين هما مخلقان متروكان.

ثم قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾. ومعنى ﴿يَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ فهو: يوم القيامة، وتسييرها فهو إزهاؤها ونسفها، ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ أي: ظاهرة مكشوفة، ليس فيها شيء يستر بعضها عن بعض، وهي أرض الآخرة التي لا عوج فيها ولا أمتا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ﴾. يعني: الخلق، والحشر فهو الجمع. ﴿فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾. ومعنى ﴿لَمْ نُعَادِرْ﴾ لم يخلف ممن خلق أحدا، حتى رده سبحانه كما كان أولا في دنياه.

ثم قال: ﴿وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾. والصف فهو: اصطفتانهم في يوم حشرهم، ووقوفهم في آخرتهم، ﴿وَعَرَضُوا﴾ أي: أحضروا للحساب، والعقاب والثواب.

ثم قال سبحانه: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾. يقول: لقد جئتمونا على خلقكم الذي كنتم عليه أولا، تكيئا لهم لما كان يقول الظالمون المكذبون، ﴿أَعِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢، الصفات: ١٦، الواقعة: ٤٧]، فَوَقَّهَمُ اللَّهُ بقوله: ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ لم نغادر منكم أحدا عند الإرادة لبعثهم، فكان ذلك تصديقا لقوله سبحانه وتكذيبا لهم.

وقد يخرج ﴿جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾، يريد: - والله أعلم - أنه ردهم من بعد فئائهم وبوارهم، الذي كانوا يكذبون بالعودة عند كونه لهم، وإفناء الله لهم، فقال: ﴿جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ﴾. يقول: رددناكم على ما أنتم عليه

أولا من صوركم، لم تنتقصوا. مما كنتم عليه في حياتكم ودنياكم بعد البلاء، عند إرادتنا لردكم أحياء، والمعنى الأول فهو الصواب عندي.

ثم قال سبحانه تقرّبا لهم أيضا: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ۖ﴾ والموعّد فهو: يوم القيامة.

ثم قال: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ۖ﴾. وليس ثم كتاب مكتوب يقرأ، وإنما هذا مثل ضربه الله لهم، لأنهم يعلمون أن ما كان في الكتاب موقع غير ضائع ولا فائت، فأخبرهم الله عز وجل بما يعرفون، وإنما الكتاب هاهنا: علم الله سبحانه بأمورهم، وإحصاءه لجميع أفعالهم، كبيرها وصغيرها، كما قال الله سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ يَتَوَلَّاتُنَا مَالُ هَذَا الَّذِي كُتِبَ لَهُ لَا يُعَادَرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ﴾. يريد: جزاء ما عملوا حاضرا لهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۖ﴾. فكذلك الله عز وجل لا يظلم أحدا من خلقه، بل هو المحسن إليهم، الرحيم بهم، أرسل إليهم النبيين، معذرين ومنذرين، وأبان لهم الحجة، وأزاح عنهم بذلك الظلمة، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ۖ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ﴾. ومعنى ﴿اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ فهو: من أجل آدم عليه السلام، فكان السجود لله عز وجل لا لآدم، فلما أن سجدوا لله العظيم، لما ^(١) رأوا من خلق آدم عليه السلام، وما أبان الله من قدرته في ذلك، جاز أن يقول: ﴿لِآدَمَ﴾، كما قال سبحانه: ﴿لَتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٢، الشورى: ٧] فأقامها مقام أهلها.

ثم قال سبحانه: ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ ﴾. فذكر عز وجل ما كان من جرأة إبليس ومخالفته لأمر به.

وقد قال بعض عوام الناس: إن إبليس كان من الملائكة، وقد شرحنا ذلك في: (كتاب الإيضاح)، وليس يقول بذلك في الملائكة عليهم السلام إلا جاهل عمي، أو ظالم غوي، بل هم المكرمون المطيعون، الذين ﴿ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحرمة: ٦].

ثم قال سبحانه تحذيراً منه لكيد إبليس: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾. وذريسته فهم: أتباعه وأولياؤه، فمنهاهم الله أن يتخذوه وآباؤهم أولياء من دونه، قال عز وجل: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾. وهل يكون شيء أعظم كفراً ممن يتخذ الشيطان ومن يتبعه أولياء؟! ويصده عن الله وعن أمره؟! ومعنى ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾، فكذلك بئس لهم أن يستبدلوا الشر بالخير، والهلكة بالنجاة، فنعوذ بالله من العمى، ومن الضلالة بعد الهدى.

ثم قال سبحانه: ﴿ مَا أَشْهَدَتْهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾. فهذه آية محكمة عامتها لا تحتاج إلى تفسير، ومعنى ﴿ عَضُدًا ﴾ فهو: معينا وموازرا، ومعنى ﴿ الْمُضِلِّينَ ﴾ فهو: المغورون الصادون عن الحق، التاركون للصدق.

﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ۖ ﴾. ومعنى ﴿ يَوْمَ يَقُولُ ﴾ فهو: يوم القيامة، ﴿ نَادُوا شُرَكَاءِيَ ﴾ فهم: الذين آثرتموهم عليّ، وأشركنموهم في طاعتي، حتى أهلككم ذلك في آخرتكم، واستحققتهم به العذاب عند ربكم، ﴿ فَدَعَوْهُمْ - كما قال الله عز وجل - فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ۖ ﴾. وكيف يستجيب أو ينصرهم؟! أو يدفع ما نزل بهم؟! من هو في الهوان! والعذاب والنيران!!

ومعنى ﴿ شُرَكَاءِيَ ﴾ فإنما جاز ذلك من طريق التبكيت لهم والتقريع.

ثم قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۝٢١﴾. والموبق فهو: الهلكة التي وقعوا فيها، تقول العرب: أوبق فلانا، أي: أهلكه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَرَعَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا ۝٢٢﴾. وإنما هو: أيقنوا، وهذا في لغة العرب صحيح، أن يقال: ظن في موضع أيقن، يقول القائل: ظن أني لا أكل، وهو لا يظن ذلك، بل يوقن أنه يأكل، ويقول القائل: عسى أن أقوم، وعسى هي في موضع شك، وهو يوقن بأنه يقوم، وكذلك قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَا الثُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَضَّبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: ٨٧]. ويونس صلى الله عليه فلا يُنسب إليه جهل، وهو فلم يظن أن الله لا يقدر عليه، بل هو موقن بذلك، ولكن هذا في لغة العرب جائز.

تقول: ظن، وإنما هو في بعض المخاطبة أيقن، فكان ظنهم إيقاناً أنهم مواقعوها، ومواقعوها على ما قلنا به من الظن، قول الله عز وجل في كتابه: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِّنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ۝٢٤﴾ [البقرة: ٢٤٩]. فشهد لهم بالإيمان وقال: ﴿فَظَنُّوا ۝٢٥﴾، وإنما هو أيقنوا.

ومعنى: ﴿وَلَمْ يَحْدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ۝٢٦﴾. والمصرف فهو: المنحرف والذهاب، والفرار إلى غيرها فلا يجدون إلى ذلك سبيلاً، وكان عندما عاينوا العذاب كما قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٢٧﴾ [سبا: ٥١].

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۝٢٨﴾. وكذلك الله سبحانه قد ضرب لهم الأمثال تنبيهاً لهم وتعريفاً ليدذكروا.

ثم قال سبحانه: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٢٩﴾. والجدل فهو: المحاوراة والكلام والمخاصمة والمناظرة في ترديد الكلام، والمراجعة بالخطاب.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَوِّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٣٠﴾

﴿ لما كانوا عليه من الجحود والتمرد، والإنكار للحق والمكابرة فيه، حتى يترل بهم ما نزل بأولئك من صنوف النقم.

ومعنى ﴿سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ فهو: ما كان الله يترل بهم عند صدودهم، وذلك قوله سبحانه في غير هذه السورة: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا﴾ ﴿سُنَّةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ﴿[الأحزاب: ٦١-٦٢]﴾. وسنته فهو: حكمه فيمن خالف أمره، ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾، والعذاب فهو: ما يترل الله عز وجل بأهل المعصية، من الخسف والقذف والمسوخ والنار التي كانت تقع بهم، ومعنى ﴿قُبُلًا﴾ يقول: أو معابنا مقابل لهم، باغتيا في غفلتهم. ومن سنة الأولين: الاقتداء بفعلهم، والجددان كجدداهم.

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾. وكذلك هو عز وجل إنما أرسل المرسلين مبشرين بثواب الله ونعيمه، وما أعد سبحانه لأهل طاعته، أرسل معهم بالحق المبين، والصدق الزاهر المستبين، ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ فهو: محذرون معذرون لما بين أيديهم من العذاب.

ثم قال سبحانه: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾. ومعنى ﴿يُجَادِلُ﴾ أي: يحاورون ويتكلمون ويخاطبون.

ومعنى ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ فهو: ليفسدوا ويذهبوا ويغيروا الحق، والعرب تقول: دحض فلان، أي: سقط. فأراد يادحضاهم للحق: طرحه وتبديله.

ثم قال: ﴿وَاتَّخَذُوا عَائِيتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾. ومعنى ﴿عَائِيتِي﴾ فهو: ما جاءت به الأنبياء عليهم السلام من المعجزات، والآيات الباهرات، هزوا ولعبا، ونسبوها إلى السحر والحيل، فلم يعتبروا بعظيم ما فيها من الرشد والهدى، وما أبان الله فيها من الدلائل لمن آمن واتقى.

ومعنى ﴿مَا أُنذِرُوا﴾ من العقاب، والعذاب الشديد، فكان كل ذلك عندهم هزوا يهزأون به، ولا ينتفعون بشيء منه.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾. فكَذَلِكَ لَا أَظْلَمُ لِنَفْسِهِ مِمَّنْ ذَكَرَ بآيَاتِ رَبِّهِ، وَعَظِيمُ أَمْرِهِ، فَأَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ.

ومعنى أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ فهو: ترك الحق، وما أبان الله له من الصدق، حتى أَهْلَكَهَا، وَفِي أَلِيمِ عَذَابِ اللَّهِ أَوْقَعَهَا.

ومعنى ﴿نَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ فهو: نسيانه لمعاصيه، وما اجترحه من الذنوب المهلكة، وارتكبه من الخطايا الموبقة، فنسي تلك الذنوب التي قدم، ولم ينتفع بما ذكر، ولو رجع وتاب، وأقلع مما هو عليه من قبيح الأسباب، لغفر ذلك له.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾. وإنما معنى ﴿جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ تبكيته لهم وتقريعهم، لأنهم كانوا يزعمون، ويكذبون على الله ويفترون، ويقولون: إن الله قد جعل قلوبهم في أكِنَّة، ومنعهم من اتباع نبيه، والدخول في طاعته.

﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾، والوقر فهو: الصمم. ألا تسمع كيف يخبر الله عز وجل في غير هذا الموضع حين يقول: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَا﴾ [فصلك: هـ]. فأراد عز وجل: التقريع لهم بقولهم: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾، وتبكيته على قولهم الذي نسبوه إليه أولاً، والدليل على ذلك قوله سبحانه في هذه الآية: ﴿وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾. يقول: إن كان الأمر كما قالوا: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾. فاكذبهم سبحانه في قولهم، ووقفهم على قبيح كلامهم.

ثم قال: ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾. وكذلك الله عز وجل غفور حلیم، رؤوف رحيم، لو يؤاخذهم على

ذنوبهم، وما يكسبونه من قبيح أفعالهم، لأهلكهم، ولكن أملى لهم، كما قال في غير هذه السورة: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨].

ثم قال سبحانه: ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْيلًا﴾. فأخبر عز وجل أنه قد آخر عقوبتهم إلى يوم بعثهم، ومعنى ﴿مَوْيلًا﴾ فهو: مذهب ومعدل ومكان يولون إليه.

ثم قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾. فذلك كان فعل الله عز وجل فيمن سلف من أهل الظلم والعدوان، أهلكهم بما كان منهم من الفسق والعصيان.

ثم قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾. ومجمعهما فهو: انتهاؤهما جميعا الذي يجتمعان إلى الإنقطاع فيه.

ومعنى ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ أي: يمضي في طلب ذلك دهرًا طويلا، وسنين كثيرة. وقد قيل: إن مجموعهما بناحية البصرة، حيث اجتمع المالح والعذب معا، بقدرة الله سبحانه، والقول الأول أشبه عندنا بالحق، وأقرب بعون الله إلى الصدق.

﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾. والحوت فهو: حوت كان مع رسول الله صلوات الله عليه، يأكل منه هو وفتاه، فلما نهضا للرحيل نسيا الحوت، فرجع فتى موسى فوجده قد ذهب في البحر حيا سويا.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلُهُ إِتَيْنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾. ومعنى ﴿جَاوَزَا﴾ أي: خلفا الموضع الذي كانا فيه، ومعنى قوله: ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾. يعني: شدة وتعبا، ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾. ومعنى ﴿أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ فهو: نزلا عندها، وحطا تحتها.

ومعنى ﴿وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ فإن في حياة الحوت ودخوله البحر عجبا ^(١)، وأي ما عجب.

﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾. والذي قال ذلك فهو: موسى صلى الله عليه، أي: ذلك ما كنا نريد من آيات الله أن نراها ومثلها.

﴿فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾. يقول: رجعا إلى الموضع، والقصص يعني الأثر، والأثر فهو: أثرهما وطريقهما.

ثم قال سبحانه: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِمَّا لَدُنَّا عِلْمًا﴾. وقد قيل: إن العبد الذي وجداه هو: الخضر عليه السلام. وقد قيل: غيره من عباد الله.

ثم قال سبحانه مخبرا عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَىٰ - عليه السلام - هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾. قال إنك لن تستطيع معي صبرا ^(٢). فسأله موسى صلى الله عليه الصحابة وأستأذنه في التبع، على أن يتعلم من علمه، ويقتبس مما من الله به عليه، فأخبره أنه لن يستطيع معه صبرا.

ثم قال له: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾. فأخبره أنه لا يقدر على الصبر، لقلة إحاطته، وخبرته بما يفعله، وقال الله عز وجل يخبر عن موسى عليه السلام: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾. قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ^(٣). فقال العبد الصالح لموسى: إن اتبعتني فلا تسألني عن شيء أفعله، ولا تعارضني من الأمر فيما أعلمه، حتى أخبرك به، وبمعانيه وتأويله، ابتداء مني، وعقدا أمرهما على ذلك.

ثم قال سبحانه: ﴿فَأَنطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾. العبد الصالح، فاستنكر موسى من فعله، واستوحش لما عاين من عمله، ولم يقف على ما

(١) في المخطوط: عجب. والصواب ما أثبت.

أمر الله به الخضر في أمرها، وخشي موسى الغرق على أهلها، ولم يفهم العلة التي كان خرق السفينة من أجلها، ﴿قَالَ أَخَرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتُ شَيْئًا إِمْرًا ۝٦٦﴾. ومعنى ﴿إِمْرًا﴾ فهو: المبتدع المنكر.

ثم قال سبحانه يخبر عن رد العبد الصالح على موسى: ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧﴾. وهذا محكم لا يحتاج إلى تفسير، ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ۝٦٨﴾. فمعنى ﴿تُرْهِقْنِي﴾ أي: تكلفني وتحمل عليّ ﴿مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾، أي: شططا وتعبا.

ثم قال سبحانه: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَّكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا ۝٦٩﴾. ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٧٠﴾. فكان موسى صلى الله عليه يرى من أفعال الخضر أشياء ينكرها، ولا يقف على ما أمر الله به فيها، فيخطئه بها، ويعاتبه فيها، ولم يكن عنده معرفة أمرها على حقيقتها، فيكون منها على بصيرة، وكان العالم يفعل ما أمر الله، وما قد أطلعه عليه وأمره به فيه، فعجل موسى صلى الله عليه بالمخاطبة والكلام والإنكار، لعظيم ما يرى فيها، إذ ليس عنده صحة من أمرها، ولا علم بحكم الله سبحانه فيها.

ومعنى ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا نُكْرًا﴾. فهو: لقد جئت شيئا قبيحا مستنكرا، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾. وقد قيل: إن الغلام كان صبيا صغيرا، وليس ذلك عندنا بصحيح، بل كان الغلام كبيرا بالغا !! والعرب تسمي ابن العشرين والثلاثين سنة: غلاما.

﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ۝٧١﴾. فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ ۝٧٢﴾. ومعنى ﴿يَنْقُضُ﴾ فهو: يسقط.

ثم: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٣﴾. ومعنى ﴿أَجْرًا﴾ فهو: أجرة وجعلا.

﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۖ ﴾
 ﴿٧٦﴾ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدَتْ أَنْ أَعِيبَهَا
 ... إلى قوله: ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٦﴾^(١). وهذه الآيات
 محكمات مُبَيَّنَات لا يحتاجن إلى تفسير مفسر، لأن الله سبحانه قد بينهن
 وأوضحهن، وتلاوتهن وتفسيرهن واحد، وقد فسرنا منهن ما كان يحتاج إلى
 تفسير.

ثم قال سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴾^(٢). وذو القرنين فرجل من الروم كان عبدا
 صالحا، واسمه الإسكندر. وقد قيل: إنه سمي ذا^(٣) القرنين، لأنه بلغ مطلع الشمس
 ومغربها. وقد قيل: إنه رأى في النوم أنه أخذ بقربي الشمس. ومعنى ﴿ سَأَتْلُو
 عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۖ ﴾ أي: سأخبركم منه خيرا، وذكرنا مشروحا بينا.

ثم قال سبحانه: ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ۖ ﴾^(٤)
 ﴿ فكَانَ التَّمْكِينُ مِنَ اللَّهِ لَهُ فِي الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَالسَّبَبُ الَّذِي آتَاهُ
 اللَّهُ فَهُوَ سَبَبُ تَوْفِيقٍ وَتَسْدِيدٍ، وَنَصْرٍ وَتَأْيِيدٍ، وَمَعْنَى ﴿ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۖ ﴾ فهو: في
 كل شيء من أمره سببا.

﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ۖ ﴾^(٥). فالعين
 الحمئة هي: العين ذات الحمأة. وقد قيل: إن الحمئة: البعيدة. وقيل: إنها الحارة،
 والقول الأول أصوب.

﴿ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَلَيْدًا الْقَرْنَيْنِ أَمْ أَن تَعَذَّبَ وَإِنَّمَا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ
 حُسْنًا ۖ ﴾^(٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ
 عَذَابًا نُّكَرًا ۖ ﴿٧٧﴾^(٧). وكان ذلك أمرا من الله عز وجل بسطا له في الحكم، وكان

قول ذي القرنين رحمة الله عليه في ذلك عدلا، وكلام صدق رضى الله عنه، ومعنى ﴿يُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا﴾، فالنكر هو: الشديد الذي لا يعرف من عذاب الدنيا، لهوله وشدته.

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا﴾. فكل هذا قائم بنفسه، مستغن عن التفسير بنفسه.

ثم قال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾. ومعنى ﴿لَّمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا﴾، يقول: لم نجعل لهم من دونهما حجابا يحجبها عنهم، ولا يوارىها عن أعينهم.

ثم قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾. ومعنى ﴿لَدَيْهِ﴾ فهو: ما عنده، وما هو فيه، ﴿خُبْرًا﴾ والخبر فهو: العلم بجميع أمره، ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ يقول: اتبع سببا من أسباب الله التي أعطاه إياها، ووقفه لها، ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾، ومعنى لا ﴿يَفْقَهُونَ﴾ فهو: لا يفقهون ما يكلمون به، وقد يمكن أن يكون ذلك منهم لعجمة شديدة، أو لبلاهة وشدة حفاء، وبطو أذهان، وقد تقول العرب للإنسان إذا كان كذلك: ما يفقه شيئا.

ثم قال سبحانه يخبر عنهم: ﴿قَالُوا يَٰذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَاجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾. ويأجوج وماجوج اسمان لقبيلتين، كما قال: همدان وخولان، وقد يمكن أن يكونوا سموا يأجوج وماجوج لكثرة أجيحهم وعجيحهم، وموجان بعضهم في بعض، ولذلك سموا بهذين الاسمين، فكانوا يفسدون في الأرض ويعيثون ^(١) فيها فسادا وتخريبا، وهم خلق عظيم كثير جدا.

(١) في المخطوط: ويعثون. ولعل الصواب ما أثبت.

ثم قال سبحانه يخبر عنهم: ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۖ﴾ ﴿١٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ﴾. ومعنى ﴿خَرْجًا﴾ أي: مالا نسلمه إليك، وعطاء نجزله لك، على أن تدفع عنا شرهم، وتكفيينا ما قد أحاط بنا من شرهم، والقوة التي سألهم فهي: المعونة، وإحضار ما أمرهم به من زبر الحديد.

ثم قال: ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۖ﴾. والردم فهو: البناء الذي يوضع بعضه على بعض الكثيف المحكم.

ثم قال: ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ ۖ﴾. والزبر فهي: القطع الكبار.

﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾. والصدفان فهما: لحيا الجبلين، فردم - رحمة الله عليه - الحديد بعضه على بعض، حتى سد ما بين الجبلين، وبلغ بناؤه بالحديد رؤوس الصدفين.

ثم ﴿قَالَ أَنْفِخُوا ۖ﴾. والنفخ عليه فهو: إلهاب النار فيه، ونفخهم عليه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا﴾. يقول: حتى إذا صار نارا تتوقد، ﴿قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ ﴿١٦﴾. والقطر فهو: النحاس، ولما أن سكبوا النحاس فيه انسبك هو والحديد معا، وصار الردم قطعة واحدة، لا يتزحزح من مكانه، ولا يطبق أحد طلوعه.

ثم قال: ﴿فَمَا اسْطِيعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾ ﴿١٧﴾. ومعنى ﴿اسْطِيعُوا﴾ أي: لم يقدروا أن يظهروا فيه، لعلوه وشموخه، واستواء أرضه، ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، يقول: لم يستطيعوا أن ينقبوه لعظمه وشدته.

ثم: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ ﴿١٨﴾. يقول: إذا جاء وقت القيامة جعله الله دكا، والدك فهو: المهذوم المكسر الساقط، وخروجهم من ذلك السد من علامات الساعة والقيامة، وهو قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ ﴿٢١﴾ وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ - ٩٧].

ومعنى قوله: ﴿ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾. أي: فضل منه وإحسان عليكم، في استقامة هذا الردم، ولولا فضل الله جل شأنه ما نلنا ذلك، ولا قدرنا عليه.

وقد قيل: إن جماعة من ياجوج وماجوج هربوا منه عندما أراد أن يسد عليهم، فبلغه ذلك، فأمر جماعة يتبعوهم ليردوهم عند نفرتهم، فلم يلحقوهم وأعجزوا عن الرد لهم، فقيل له: إنهم قد أعجزوا وذهبوا. فقال رحمة الله عليه: اتركوهم اتركوهم، وهم هؤلاء الترك الذين يُعرفون، فسموا بقوله اتركوهم: الترك، استتقوه لهم من الترك.

ثم قال: ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾. يقول: صدقا لا خلف فيه، ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝١١ ﴾. ومعنى ﴿ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ فهو: ما يكون عند فتح ياجوج وماجوج، من الهرج والمرج، والفتن والعطائم.

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ﴾ فهو: نفخ في صور الآدميين للبعث، ومعنى ﴿ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾، فهو: جمعهم للحساب جمعا، مستحصى حتى لا يغادر سبحانه منهم أحدا.

ثم قال عز وجل: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٢ ﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾. وعرضها لهم فهو: معايتهم لها، ومحاضرتهم إياها، وإيقاظهم بها، ثم قال: ﴿ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي ﴾. يعني: بذلك الكافرين، أن أعينهم في غطاء، والغطاء فهو الغفلة التي كانوا عليها، فلم يكونوا ينتفعون بما يرون من الآيات، ويعاينون من الأمور الباهرات، وقد شغلهم الهوى، والميل إلى الدنيا، حتى كانوا عن مشهد القيامة في غطاء، والغطاء فهو: ما كانوا عليه من الغفلة والوقن^(١).

(١) الوقن: الضعف والفتور والكلال والإعياء.

ثم قال: ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾. ومعنى ﴿كَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾، يعني: أنهم كانوا لا يقدرون من البغض للحق والتكذيب له استماعا، وكانوا يبغضون استماعه للذي كانوا عليه من الصدود عن الحق، وقلة استماعهم له، وكانوا يفعلون من ذلك فعل من لا يستطيع أن يسمع، والسمع هاهنا فهو: الطاعة لله ولرسوله، وهذا في لغة العرب موجود، يقول الرجل للرجل: اذهب معي إلى فلان. فيقول: لست أستطيع أنظر إليه، يقول من بغضه وهو يستطيع أن ينظر إليه، فلما أن كان مبغضا له شائنا لأمره، جاز أن يقول: لا أستطيع، ويقول القائل: لا أستطيع أن أدخل عليك من بغضك، وهو يقدر أن يدخل عليه، فكان هذا من بغضهم للحق، جعلتهم أنفسهم مع اتباع شيطان، حتى لا يقدرُوا أن يستمعوه، ولذلك ضرب الله لهم الأمثال في قلة الاستماع.

قال الله سبحانه: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾. واتخاذهم عباده من دونه فهو: إثارهم بالطاعة على الله سبحانه، حتى اتخذوهم من دونه أولياء، ومعنى ﴿أَفَحَسِبَ﴾ فهو: وعيد وتقريع.

ثم قال: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾. والترل فهو: العطاء والجزاء، لأن العرب تقول إذا نزل الإنسان على ما يكره: نزل نزلا قبيحا، فلما أن كان عطاؤه سبحانه في الآخرة ونزله لهم جهنم، قال: ﴿نُزُلًا﴾ أي: جزاء من الله وتنكيلا، وعذابا شديدا، إذ كان خروجهم من أجداثهم، وحضورهم يوم القيامة إلى ربهم، طريقا إلى منزل البلاء، ومحل الشقاء.

ثم قال سبحانه: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا. فكذلك كل من تعلق بالباطل وترك الحق، ومال بجهده عن القصد، وتوهم أنه على طريق رشده. فكانت الجاهلية تعمل أصناما وتوقد نيرانا، تقول: إنهم ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زُلْفَى ﴿[الزمر: ٢٥]﴾، فكانوا يتوهمون أن عبادة الأصنام تقرهم إلى الله سبحانه، فكان هذا من السعي الضال، الموجب للنيران، والخزي والهوان، ومثل

ما ترى في الآن كثيرا من أهل دهرك، ممن هو كَلَفٌ ببدعة، لَهَجٌ بشبهة، يصف الغي رشدًا، والجور قصداً، فهو ضال عن الحجة، مسترسل في الغفلة، غير راجع إلى الحق، ولا طالب للصدق، وذلك أيضا ممن قد ضل سعيه في الحياة الدنيا، وهو يحسب أنه يحسن صنعا.

ثم قال سبحانه: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ﴾. فسماهم كافرين به، غير مصدقين بلقائه، واللقاء فهو: الآخرة والبعث والحشر.

ثم قال سبحانه: ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَلُهُمْ﴾. وحبطت فهي: بطلت.

ثم قال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾. يقول: فليس لهم يوم القيامة عمل يعطون عليه، ولا يثابون فيه، كما قال سبحانه: ﴿أَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ [القارة: ٨-٩]. أراد بالموازين: العمل.

ثم قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾. والهزؤ فهو: الاستخفاف والاطراح والتكذيب، فكانوا يتخذون آيات الله العظيمة الباهرة ورسله الصادقة الطاهرة هزواً، فحق عليهم من الله الوبال، وصاروا بكفرهم إلى شر حال.

ثم قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾. ومعنى ﴿الْفِرْدَوْسِ﴾ فهو: اسم لفاحر الجنان، وعظيم منازلها، وأكرم محلها، والنزل فهو: العطية والكرامة التي يتر لهم الله بها، ويحلهم فيها. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾. والخالد فيها فهو: الدائم الباقي الذي لا يزول عنها أبداً.

ومعنى ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ فهو: لا يطلبون بها بدلا، قد عظم سرورهم بها، واشتد جذلهم بدخولها، فهم لا يبغون بها غيرها، مخلدون أبداً فيها.

ثم قال سبحانه: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لَّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

قال محمد بن يحيى بن الحسين عليه السلام: قد سئل عن هذه الآية جدي القاسم بن إبراهيم صلوات الله عليه، وقد أثبت تفسيره لها وشرحته في كتابي هذا، وما^(١) كان يقول به في تأويلها، فأثبتها على ما أجاب به، ولم أحب أن أشرح غير شرحه، واجتزيت فيها بقوله، فقال صلوات الله عليه: ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي﴾. والكلمات فقد تكون: المحكمات، وحكمة الله سبحانه لا ينفدها منفد، ولا يقدر على إحصائها كلها أحد، وكيف يحيط بكلمات الله لو كان البحر مدادا لنفذد قبل نفادها؟! ولو جاء بمثلها مددا لها، إلى إن ينقطع ذلك أبدا.

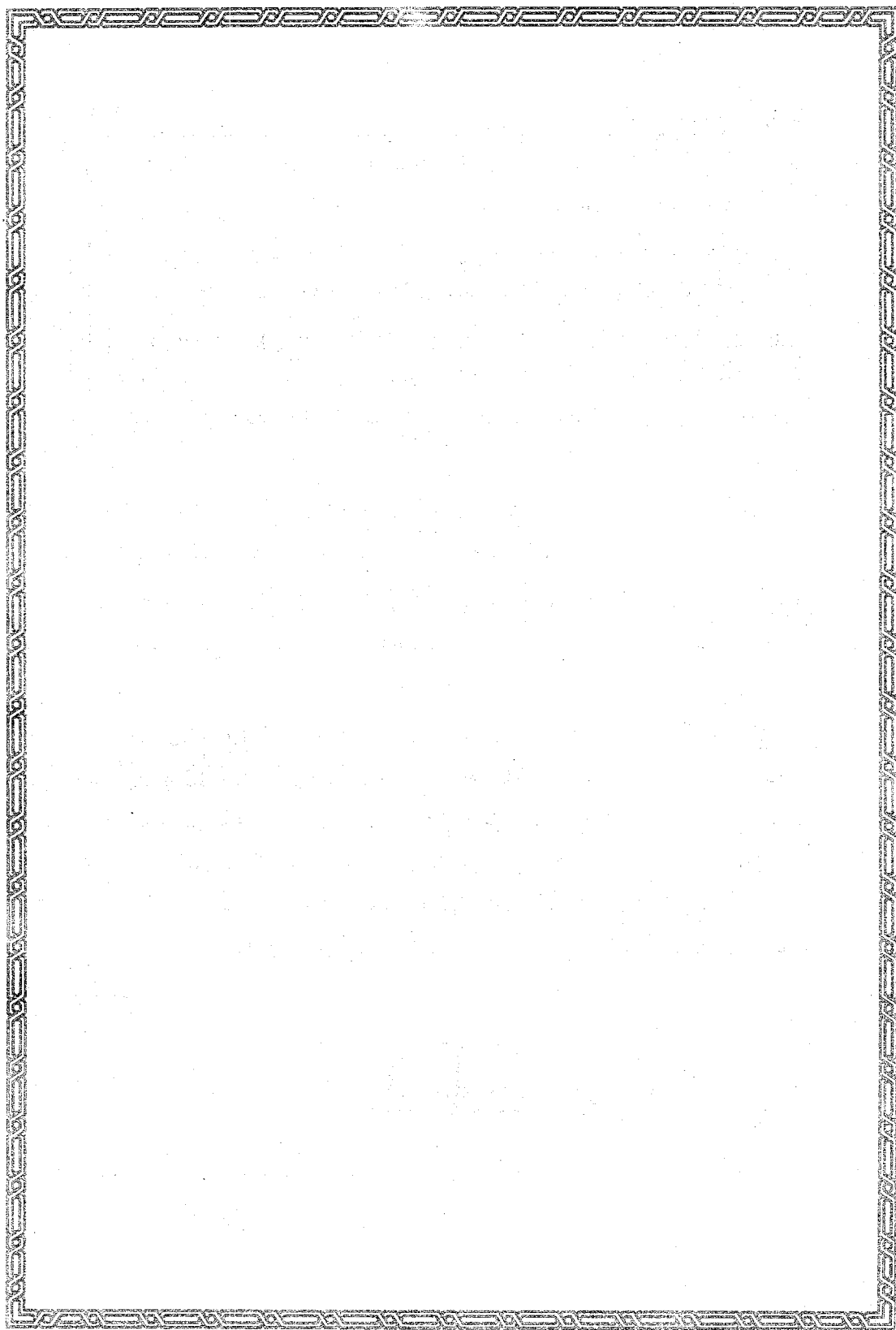
ثم قال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ﴾. وكذلك الله عز وجل واحد أحد، صمد فرد.

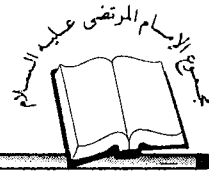
وقال: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾. واللقاء فهو: العودة بعد الموت، والرجعة من بعد البلاء، والمحاضرة، لما قد قدموه من جميع الأشياء، وحضور القيامة.

ثم قال: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾. ومعنى ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾، والصالح هو: ما افترض الله على خلقه، ودلهم سبحانه عليه في كتابه، وعلى لسان نبيه، من أداء الفرائض، واجتناب المحارم، والتقرب إلى الله سبحانه بما كان من سوى ذلك من النوافل، وكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه، ويزلف لديه، ومعنى ﴿لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾، يقول: لا يشرك في طاعة ربه وعبادته أحدا من خلقه، وقد يكون ذلك بالطاعة والرياء.



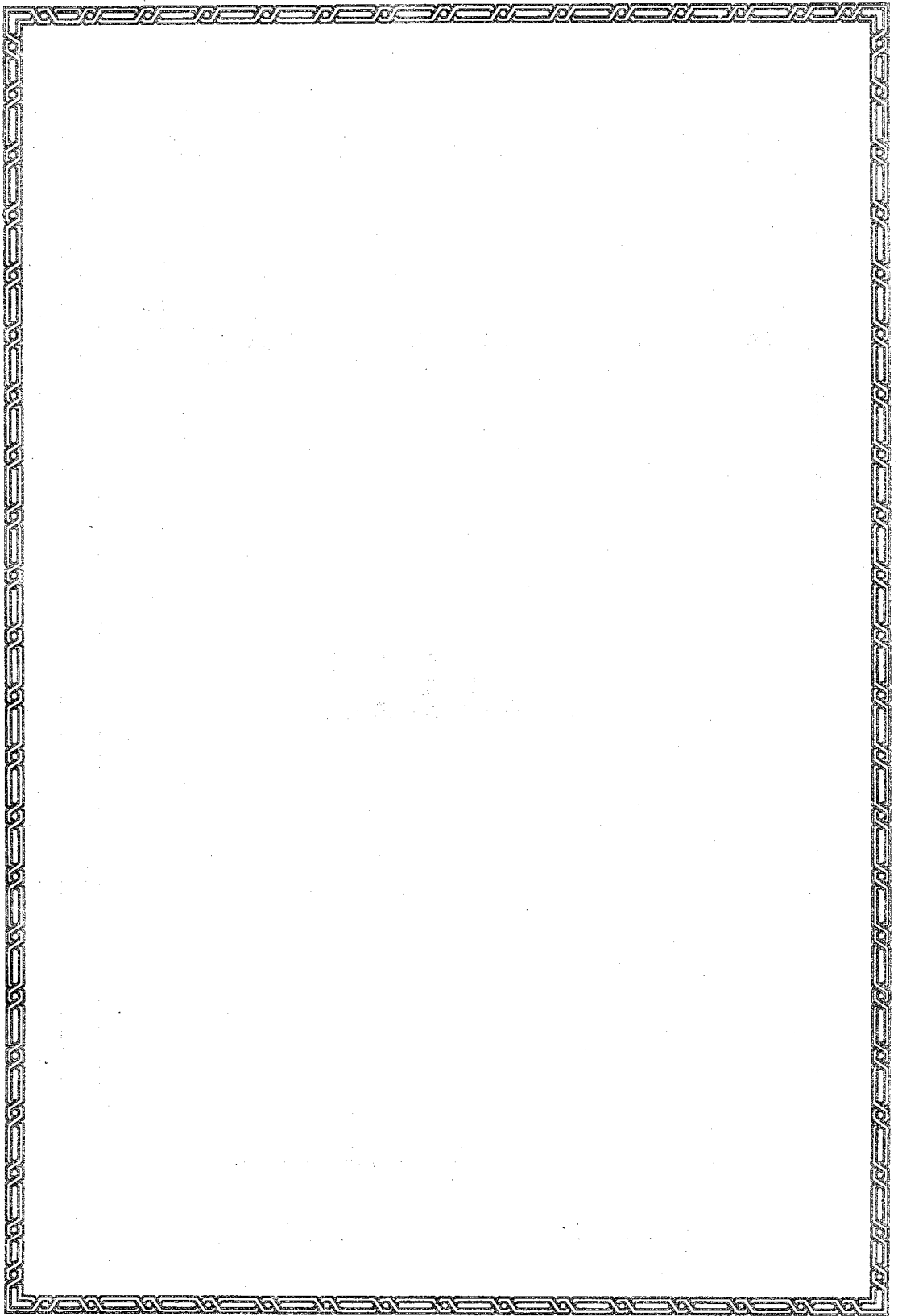
(١) في المخطوط: ما كان. ولعل الصواب ما أثبت.





الخفلة





الغفلة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خير خلقه، محمد خاتم النبيين، وعلى أهله الطيبين وسلم.

من عبد الله محمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلى جماعة أهل الغفلة والوحي، الراضين لله سبحانه من أنفسهم بأحسن الأشياء، التابعين للهوى، الصادقين عن طريق الحق والتقى، بالغة واللعب والمنى، والإعراض عن الله ذي العظمة الأعلى، التاركين لإمام الهدى، بغير نظر ولا حجة ولا تدبير ولا بصيرة ولا اعتبار، كالأنعام المستنفرة، من رهج القسورة.

أما بعد:

فقد أصبحتم في أشر منزلة، وأقبح حالة، تخدمون الضعفة، وتصدونهم عن المحجة، وتقلدون آثامهم، وتحترقون بالوسواس أحلامهم، وتسلبون بالمكر والخديعة عقولهم، ولا ترجون الآخرة، ولا تحشون شر العاقبة، بل تفكحون في حطام العاجلة، ولا تبالون ماذا قدمتم عليه في الآجلة.

فنعوذ بالله من الخيرة والعمى، ومن الضلالة والردى، والجري في ميادين أهل الشقاء، بعد المعرفة والهدى، ومن قبول المتشابهات، والأخذ بالأقاويل والتعلات الكاذبات المهلكات، التي لا تصح ولا تصح.

فإن من أخذ في دينه بغير الصحة، عادت عاقبة أمره إلى البدعة، وخرج بغير شك من الحقيقة، وكانت عاقبة أمر خسراً، ونسأله النجاة من البلاء، ومن مجاورة الأشرار، ومن الركون إلى الظلمة الفجار، إنه عليٌّ جبار، عزيز قهار، لا تنكتم عنه الأسرار، ولا تواريه البحار، ولا تخفى عليه خافية، من سر ولا علانية، الجواد الكريم، الواحد القلسم، العزيز الحكيم، الذي لم يزل ولا يزول، وهو رب العرش العظيم، مقيم الحجج على البرية، المبين لهم طريق الملة، الموقف لهم على المنهج، الكاشف عنهم البأساء، المنذر لهم من جميع ما رجز عنه ونهى، سبحانه وتعالى، ﴿

لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ [الأنفال: ٤٢].

أما بعد:

فإني أحمد الله حمد من آمن به واتقاه، وطلب في الأمور كلها رضاه، ولي الحمد والتحميد، والآلاء والتوحيد، ذي البطش الشديد، المبدئ المعيد، البعيد من ظلم العبيد، مدبر الأمر^(١)، ومزل القطر، ومفجر الأنهار، ومنبت الأشجار، الفرد الصمد، الواحد الأحد، ذو العزة والجلال، والعظمة والإفضال، والكبرياء والسلطان، العظيم البيان، الواضح البرهان، مذي الرياح، وفالق الإصباح، ذو النعم السوابع، والحجج البوالغ، مميت الأحياء، ومحْيِي الموتى، فاطر الأرض والسماء، لا تنقصه الساعات، ولا تعروه السنوات، النائي عن شبه المخلوقات، العلي عن درك الأكف اللامسات، وبصر الأعين المحدودات، الأول قبل خلقه، والباقي بعد فناء بريته، الذي أسبع علينا نعمه، ورادف علينا مواهبه ومننه، وفقنا لأمره، وجعلنا من القومة بحكمه، والدعاة إلى دينه، مَنْ عَنَدَ عن طاعته، وحاد عن نهيهِ، ومال عن طريق رشدِهِ، يأمر بالمعروف الأكبر، وينهى عن الباطل والمنكر، نحمده على نعمائه، ونشكره سبحانه على ما مِنْ [به] من عطائه، كثيرا كما هو أهله ومستحقه.

وأشهد أن لا إله إلا هو وحده لا شريك له، صاحبة ولا ولد، ولا كفؤ ولا أمد، البريء من ظلم العباد، المتقدس عن القضاء بالفساد، الأمر بالخيرات، والناهي عن المنكرات، خالق الأرضين والسموات، النائي عن درك^(٢) حواس المربوبين، ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِمِّنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣].

(١) في المخطوط: الأمور. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في المخطوط: درك واه حواس. ولعلها زيادة سهو من الناسخ.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، خاتم أنبيائه، وصفيه ووليه، والمبلغ لما أمر به، والمؤدي أمانته، والقائم بأمره، والذائب عن دينه، والمجاهد للظالمين، والمعادي للفاسقين، والقاتل للناكثين، وسيد المرسلين، وأمينه على خلقه أجمعين، أرسله بالهدى نذيرا وبشيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فقمع به الجاحدين، وأذل به المارقين، وأقام به على بريته الحجة، وأكمل به لهم النعمة، فصعد صلى الله عليه وآله وسلم بالحق، ونطق بالصدق، وذب المشركين، وباين في الله عز وجل العشيرة الأقربين، حتى أتاه اليقين، وقد بلغ الرسالة، وأوضح في الدلالة، قد رضي الله سعيه، واختار له ما عنده، من بعد أن أكمل به دينه، فصلوات الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار، الصادقين الأبرار، وسلم تسليمًا.

وأحذركم الدنيا وزوالها، والاعتزاز بها، والركون إليها، وأعلمكم أنها فانية، وغير باقية ومنصرفة، ليست بدائمة، حلالها حساب، وحرامها عقاب، كم من مغرور بها قد خدعته؟! وواثق بزهرتها قد أبلغته فعادته؟! رهين لحد، وخدن جهد، حلوة خضرة، مورقة زاهرة، تفتن من صبا إليها، وتقتل من أحبها، وتكيد من وثق بها.

كم من ضنين بها صرعته؟! وعامل تعب فيها أهلكته؟! ومؤثر لها نصب فيها أسلبته؟! فأصبح بعد الجدة متمرقا^(١)!! وبعد الكمال متفرقا، قد أكل الدود لحمه، وطحن السبلاء عظمه، وأخلق الثرى وجهه، مأخوذا محاسبا على عمله، قد أيقن بالجزاء، وزاحت عنه العلل والمني، عند حضور أجله، ونزول الموت به، ومعانيته الأهوال، وشدة الحال، وسكرات الموت وهوله، وحسراته وغمراته، وحضور الملك لديه ومعانيته لهم عند مخاطبتهم له وهم يضربون وجهه كما قال الله سبحانه: ﴿وَالْمَلَكُ يَضْرِبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَرَ هُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٥٠٠-٥٠١. هنالك تصح قَدَمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥٠١﴾ [الأنفال: ٥٠٠-٥٠١]. هنالك تصح

(١) متمرقا: التمرق: الشيء يفنى منه فيبقى منه الشيء. ومرق شعره وتمرق وامرق: إذا انتثر وتساقط من غير مرض أو غيره.

الأعمال، وتصرم الآمال، وتعظم الأهوال^(١)، وتقع الحسرة والندامة، وتهجم المصائب، وتكثر العجائب، ويطول الحزن والبكاء، والويل والأساءة^(٢)، وتدوم الحسرات، وتتابع الزفريات، ويتأسف المقصر في حظه، ويرجع باللوم على نفسه، حيث ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيْهِ إِيْمَانَهَا خَيْرًا قَلَّ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

فكم في يوم القيامة من باك وباكية؟! ومعل ومعولة؟! ونادم ونادمة؟! وصارخ وصارخة؟! لا يُرحم بكاؤهم، ولا يجاب دعاؤهم، قد تقطعت بهم الأسباب، وصاروا إلى شر محل ومآب، وقالوا: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ﴾ [الزمر: ٧٧-٧٩] ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزمر: ٧٧-٨٠]، فكيف بكم؟ ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَافُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبا: ٥٢]؟! إنه لن ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيْهِ إِيْمَانَهَا خَيْرًا﴾، ولا تُقبل من أحد توبة، ولا تسمع له معذرة، فأين تهربون؟! وإلى أين من عذاب الله غدا تهربون؟! من

عباد الله، ف ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فالله الله في أنفسكم، اعملوا لآخرتكم، ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١]، قد اقترب الحساب، ودنا أَلَمَاب، وكل ما هو آت قريب، ومن مهد لنفسه فهو المصيب، قُرْبُ الحساب، وتوضحت الأسباب، ونطقت السرائر، وظهرت الضمائر، وتكلمت الأيدي، وشهدت الأرجل، وعظم البلاء، وتضاعف^(٣) منه

(١) في المخطوط: الأهوال به. لعلها زيادة من الناسخ.

(٢) في المخطوط: والأساءة. لعلها تصحفت. وما أثبت اجتهد.

(٣) في المخطوط: تضاعفت. ولعل الصواب ما أثبت.

الشقاء، وكثرت الأهوال، وطاشت الأحلام، وألجم العرق، وقرب الرهق، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (٨٨) ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٩) وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴿[الشعراء: ٨٩-٩٣] وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ (٩٤) قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٥﴾ ﴿[الشعراء: ٨٨ - ٩٥].

وأم الله يا أهل الغفلة لو قصدتم الحق لسلمت قلوبكم من الأمراض، ولصمت مسامعكم من الإعراض، ولكن كابرتم ألبابكم، وعارضتم حجج ربكم، الموكلة فيكم، منعتموها من بلوغ الغاية، واستحقاق النهاية، وسبل^(١) الدلالة، وحيرتم قلوبكم، ووهلتم^(٢) عن النظر لأنفسكم، وآتئى يسلم قلب مع أصدائه والمعارضة له باللهو والمحال؟! وتقلب من حال إلى حال؟! فقلوبكم أبداً مشغلة،^(٣) وألبابكم بحيرة، وفكرُكم عارية، وإنما القلب ملكٌ، والجوارح خدمه، فإذا صلح الملك صح خدمه، وإذا فسد بطل أعوانه وخدمه، فقلوبكم فاسدة، وجوارحكم لذلك مهملة، فكأن قد فزع عن قلوبكم، ونزل بكم الجزاء، وذهب عنكم الاستهزاء، وعايتم الويل والجزاء.

يا أهل الغفلة: أفي طاعة الله عز وجل ترهدون؟! أم عليه تجترون؟! أم على اللهو واللعب تنافسون؟! أم على الدنيا وزينتها تنغايرون؟! أما والله لو أحببتم^(٤) الدنيا لسألتموها من يملكها؟! ولو أحببتم الآخرة لعملتُم ما يصلح لها؟! خسرتم الدنيا والآخرة، ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (١٠) ﴿[الحج: ١١، الزمر: ١٥].

(١) في المخطوط: وسهل. وما أثبت اجتهد.

(٢) الوهل: السهو والغلط والضعف والفزع.

(٣) في المخطوط: مستقلة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٤) الكلمة في المخطوط غير واضحة، ولعلها كما أثبت.

وقد بلغنا أيها الساهون أنكم آثرتم هواكم، وتركتم ما يجب عليكم لخالفكم، وخالفتم ما أمركم الله عز وجل وأمركم به، ودلكم عليه من اتباع الحقين، ونصرة الأئمة الصادقين، وتركتم الفحص والنظر عن أكثر فروض رب العالمين، وأعظمها قدراً، وأجلها خطراً، وأنفسها ذكراً، وأرفعها أرومة، وأعلاها درجة، وأسمحها ذروة، وأسناها أمراً، وأولاها فرضاً، وأقواها حجة وفعلاً، نظام الحساب، وجامع المفروضات، وأغفلتكم الحيرة، فعاديتكم الحق بلا بصيرة، واركتبتموه بلا بينة، ورفعتموه بلا معرفة، واستبدلتكم به جهلاً، واشترتكم به ثمناً قليلاً، فأنتم كما قال الله سبحانه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ فَمَا رَجَحَتْ تَجَرَّتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمة لا يبصرون (٢) صم بكم عمي فهم لا يرجعون (٣) ﴿البقرة: ١٦-١٨﴾.

عارضتم: يا أهل الغفلة الحق بالعمى، والدين بالهوى، فخذلتم عند ذلك أئمة الهدى، وجريتم في ميادين أهل الباطل والشقاء، بلا حجة بينة، ولا دلالة واضحة، إلا اقتداء بفعل الظالمين، وتخلقاً بأخلاق من سلف من المعاندين، الذين (١) أخبر عنهم أحكم الحاكمين، حين يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ (٢) وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ (٣) [الأنعام: ١١٢-١١٣]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٤) [فصل: ٣٣]. وقال عز وجل: ﴿وَلِتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٥) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٦) [آل عمران: ١٠٤-١٠٥]. وقال سبحانه: ﴿

(١) في المخطوط: الذي. وما أثبت اجتهاد.

وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَبُوا
بِعَايِلَتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ ﴿الأعراف: ١٨١-١٨٢﴾ ﴿هدينا﴾
﴿خلقنا﴾ .

وكان لم تسمعه عز وجل يقول: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا
مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿[النوبة: ١١٩] ، ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَن جَوْلَهُم
مِّنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا
يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم
بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿[النوبة: ١٢٠-١٢١] . والصادقون الذين أوجب الله
صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا إلا كُتِبَ لَهُم لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿[النوبة: ١٢٠-١٢١] . والصادقون الذين أوجب الله
طاعتهم، وأمر سبحانه باتباعهم والكون معهم، فهم أئمة التقى الداعون إلى الرشد
والهدى.

وقال عز وجل: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿[النوبة: ٤١] . وقال عز
وجل عن مؤمني الجن بمدحهم ^(١) بذلك: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ
يَسْتَمْعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ
مُنذِرِينَ﴾ ﴿[النوبة: ١٢٠] . قَالُوا يَلْقَوْنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا
لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿[النوبة: ١٢١] . يَلْقَوْنَآ أَجْبُوا
دَاعِيَ اللَّهِ وَءَامَنُوا بِهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿[النوبة: ١٢٢] . وَمَن لَّا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ
أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿[الأحقاف: ٢٩-٣٢] .

وروي عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أنه قال: (من سمع واعينا أهل البيت فلم ينصرنا، لم يقبل الله توبته، حتى يلحقه جهنم). فقال رجل من القوم: يا أبا الحسين فإني ممن أدرك جدك الحسين عليه السلام فلم أنصره؟ فقال له زيد: تعد وتستعد، فلعلك تدرك رجلاً من أهل محمد، فبالبراء وبالحراء)، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله عليه: (من مات لا يعرف إمام زمانه، مات ميتة جاهلية).

فتركتم الحق والمحقين، وعارضتم كتاب الله الواضح المبين، وأغفلتم ما جاءت به السنة عن خاتم النبيين، فلا كتاب الله حكمتكم، ولا سنة نبيه تبعتم، ولا ما ركب فيكم من عقولكم أنصتكم، فأنتم في أمركم كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٣﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]. ولقد عالكم الجهل، فتمكن في قلوبكم، وأغدق سبحانه عليكم حتى زلتم عما كان عليه أولكم، وأهل المعرفة من أسلافكم، فملتم عنه عناداً، وسرتم بغير سيرهم جهلاً وحيداً، ثم نعق بكم ناعق الغي والعمى فتبعتموه جهاراً، ولم تتركوا لأنفسكم في الآخرة معاداً، فتمسكنم بحبل الغاوين، وباينتم في مقاتلكم الحق والمحقين، وتخلقتم بأخلاق الجاهلين، ﴿كَأَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٢﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٣﴾ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٤﴾ [النكاثر: ٣-٨].

فأنتم [إن] لم تعاجلوا بالتوبة هالكون، وعند الله سبحانه معتدون، اتخذتم الحق وأهله اعداء وباينتموهم، وغلبكم الهوى فجانبتموهم، وتبعتم الردى، وتركتم التقى^(١)، فرفضتموهم، فرويدا تحصدون ما زرعتهم، وتجدون وبال ما اخترتم،

(١) في المخطوط: وصريم النفا. إلا أن صريم مهملة، والكمبيوتر لا يكتب حرفاً مهملاً. ولعلها كما أثبت. أو

قريباً منها. والله أعلم.

وتجزون صاعا بصاع مما كسبتم، مكتوب في التوراة: [يا ابن آدم كما تدين تدان، إنك لن تحني من الشوك الغنب].

فبادروا إلى الله بالرجعة، في اوان الاستقالة ووقت الإنابة، والأنفس سالمة، والأعمال مقبولة صحيحة، وإلا فأنتم خاسرون خسرانا مبيناً، متعرضون بذلك وبالا أليماً، فلا يدعوكم المحك^(١) والعصية إلى التقخم في الخطيئة، قال الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]. وقال سبحانه فيمن صد عن الحق، وجانب عن الصدق: ﴿وَمَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطٰنًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [٢٥] وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهُتَدُونَ ﴿٢٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴿٢٧﴾ وَلَن يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٢٨﴾ [الزحرف: ٣٦-٣٩].

ويحكم أين^(٢) تذهبون؟! وماذا به تحكمون؟! وماذا به عند الله سبحانه تحتجون؟! أو بأي سبب من عذابه تتخلصون؟! وأين من الله تفرون؟! إذا حصرتم والناس يبصرون، يوم تبلى السرائر، ولا يكون للمرء من الله ولي ولا ناصر، ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩]، قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [٢٦] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَهُمُ لَعْنَا كَبِيرَا﴾ [الأحزاب: ٦٦-٦٨].

كيف أنتم في الدنيا التعس، وفي الآخرة النار؟! وكيف تصبرون على العذاب والهوان؟! بمباينتكم الأئمة الأخيار، ومساعدتكم لمن عند من الأشرار، وإني

(١) في المخطوط: فلا يدعوكم. ولعل الصواب ما أثبت. والمحك: التماذي في اللجاجة.

(٢) في المخطوط: إن. والصواب ما أثبت.

لأحذركم أهوال الطامة، وزلزلة يوم القيامة، والوقوف يوم التغابن بالحسرة والندامة، قال الله سبحانه: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ① وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ② يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ③ ﴿[غافر: ١٧-١٩]. وَأَنْتُمْ مُسْتَقْبِلُونَ بِالسَّاعَةِ ضَيْقًا، وبالفرح ترحًا، وبالسلاطة تعبًا ووجعا.

ركنتم إلى دار الغرور ونسيتم يوم الحسرة والنشور، أنى لكم من الله الفرار؟! أين التورع والاستغفار؟! أين الندم والاعتذار؟! صدكم عن ذلك العيث والاستكبار! فكان قد جد بكم الرحيل، وقطع بكم الزاد القليل، ﴿يُبَصِّرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرِمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيٍّ ④ وَصَاحِبَةٍ ⑤ وَأَخِيهِ ⑥ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ⑦ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ⑧ كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَى ⑨ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ⑩ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ⑪ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ⑫﴾ [المعارج: ١١-١٨]. قد عاينوا الحزى في يوم عظيم الأهوال، وراح عنهم اللهو والمنى في كل حال، كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. يوم تعطل العشار أربابها، وتهمل الخلائق أموالها، وتنفر الآباء من أبنائها، انفطرت السماء في ذلك اليوم وانشقت، ورجفت الأرض واضطربت، وكورت الشمس فاسودت، وطمست النجوم فتناثرت، وعنت الوجوه فكلحت، وتعثرت الألوان فكسفت، وبرقت الأبصار فشخصت، واصطكت الأقدام فزلت، وبرزت الجحيم فسعرت، ونشرت الصحف فقرئت، وتكلمت الأنفس فاعترفت، وأقرت الجوارح فنطقت، وأعلنت السرائر بما فيها من الفضائح وأظهرت، وعانيت الجحيم المجرمين، فزفرت عليهم لتزدددهم أجمعين، فشهبوا لها أكتعين، وسالت دموعهم من الخوف باكين، ووقع الخلائق على ركبهم جاثمين، سكارى من الخوف يرددون، ونادت جهنم بالمدننين، ألا سوقا جميع الخاطئين، ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ⑬﴾ [آل عمران: ١٨٥].

لست أدري أيها الغافلون ما الذي صرفكم عن طاعة ربكم؟! أو ما حجتكم في قولكم؟! وما الذي صدكم عن الحجة المنيرة؟! الزاهرة البهية البيضاء الواضحة؟! التي كان عليها أسلافكم، وثبت عليها - والحمد لله - الآن خياركم، ولأي سبب عاديتمونا؟ وتركتم بيعتنا؟ وأعرضتم عن دعوتنا؟ أجاؤكم بذلك نبي مرسل؟! بكتاب منزل؟! بعد محمد خاتم النبيين، صلى الله عليه وآله وسلم وعلى الأخيار من أهل بيته أجمعين.

فأنتم بذلك تحكمون، كما قال الله سبحانه فيمن كان قبلكم من المعاندين: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (١) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٢﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٤﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ عَلَيْنَا بَلِغَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٥﴾ سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ زَعِيمٌ ﴿٦﴾ [القلم: ٣٥-٤٠]. لسنا نجد لكم في دين نبيكم، ولا فيما نطق به كتاب ربكم، فسحة في فعلكم، فماذا نزل بكم؟! ولم أصررتم على ظلم إمامكم؟! وتبرأتم من الحق الذي قد أبانه الله لكم؟! أثبتوا ذلك بحجة بينة تحتجون بها علينا، وإلا فقد عارضتم الله وكاشفتموه، وباينتموه وعاديتموه وعصيتموه، وخرجتم من طاعته، وخذلتكم^(١) بحكم كتابه، وأنكرتم أمر رسوله، ونبذتم فرقانه، وكرهتم فعله، وعطلتم أحكامه وحدوده، وجاهرتموه ومرقتم من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وصرتم من أهل المعصية والحمية، واقتديتم بأفعال الجاهلية، وخرجتم من قرب الرحمن، واعتصمتم بجبل الشيطان، واجتمعتم على الخسران، وكنتم كمن باع آخرته بدنياه، وكفر بالله وعصاه، وصار في النار بعمله محلّه ومثواه، فإننا لله وإننا إليه راجعون، أسفا عليكم أيها الغافلون، أين العقول المنيرة؟! والأذهان الحاضرة؟! أعدمتموها فأنتم معذورون، وبزواها عند الله غدا تحتجون، أم أنتم لها مكابرون؟! ولنعلم الله عليكم فيها منكرون؟! فلقد خسرتم الخسران المبين، أين يذهب بكم وأنى توفكون؟

(١) في المخطوط: وبذلتكم. مصحفه. ولعل الصواب ما أثبت.

عباد الله كأن لم تسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣]. وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢]. وقال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [٧]. ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]. وكأن لم يسمعوا قوله يحض على تقواه، ويأمر عباده بالتعاون عليه، حين يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]. وقال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٥]. ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]. فالله الله عباد الله لا تولوا عنه معرضين، ولا تكونوا له من المعاندين، فينالكم من النقم ما نال الأولين، فقد أمسيتم وأصبحتم أهل الحق تشاقون، وعلى البر والتقوى لا تعينون، ولا عنا ألسنتكم تكفون، ولا الدين الواضح تنصرون، والله المستعان على ما تعملون، ولا ما أمرتم به من طلب الدين، والمسألة عن فرائض رب العالمين، ولا الفرض المؤكد عليكم في ذلك تقصدون، كأن لم تسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢]. وقال سبحانه في التفقه والفهم في الدين: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣، الأنبياء: ٧]. إن النفير إلى أهل العلم فريضة مؤكدة، من الله لجميع الخلق لازمة.

ألا تسمعون ما ذكر الله سبحانه في هاتين الآيتين، وما أوجب عليكم فيهما من الحجة، حتى تعرفوا^(١) الحق من الباطل، والمعتدل من المائل، فلا إلى إمامكم العادل - صلوات الله عليه - لتعلم وتفقه قصدتم، ولا لما أوجب الله سبحانه عليكم من

(١) في المخطوط: تعرفون. والصواب ما أثبت.

الجهاد لأعدائه والقيام مع وليه نهدتم، قال الله سبحانه: ﴿ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ أَتَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٧ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ١٨ [يوسف: ١٠٧-١٠٨].

وبعد:

فالذي أنتم عليه ثابتون، وعليه مقيمون، وبه عاملون، وبفعله مشهورون، فإن يكن بآية من كتاب الله سبحانه موجودة؟! أو سنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مأثورة؟! فأوجدونها وعرفونا بها، وأوقفونا على معانيها، فلا يجوز لنا بعد صحتها الخروج منها، ولا الرفض لها، ولا الترك لما أمر الله به فيها، ولن تجدوا ذلك أبداً، فإن كان ما تفعلون بأمر غواة المخلوقين الضالين المضلين، الجاحدين ليوم الدين، فبئس ما تفعلون، وبئس ما لأنفسكم تبصرون، أن صدقتم خصماءنا علينا، ورحلتم بالهوان بأهواء غيركم فينا، وفعلتم فعل اليهود لعنة الله عليهم، حين قالوا: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّسَارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَإِلَٰذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٩ [آل عمران: ١٨٣]، وقال سبحانه يخبر عن كفرهم أيضاً، حين قالوا: ﴿ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَيَّ بَشِيرٌ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ٢٠ [الأنعام: ٩١]. فأكذبهم الله في قولهم، وذمهم في فعلهم ثم، أن محمداً صلى الله عليه وآله وعلى أهله ليس بنبي، واتبعوا أهواءهم، وانقادوا لأهل الجهل منهم، فما ضره ذلك ولا ضر الحق الذي جاء به، بل كانوا من الهالكين، وخسروا الخسران المبين، وماتوا وهم من الكافرين، المستوجبين للعذاب المهين.

فأنبهوا عباد الله أنفسهم، واستعملوا عقولكم، مالكم من الحق معرضون؟! وعلى الباطل مصرون؟! وعن الصراط ناكبون؟! وفي الدين مقصرون؟! بغير تبين، ولا كتاب مبين؟! فتوبوا إلى الله في حياتكم قبل أن تصبحوا من النادمين، وتحتجوا بما

احتج به الظالمون، حين قالوا: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلَ﴾ (٧) رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٨﴾
[الأحراب: ٦٧-٦٨].

ويحكم لا صبر لكم على النار ! ولا على أهوالها، ونكالها وزفيرها وأجيجها،
وظلمتها وشهيقها، وشدة تغيظها، وشراب حميمها، وأكل زقومها، وتخاصم أهلها،
وعويلهم فيها، إنها نار تلهب، وأنفس المجرمين فيها تُعذب، وأجسامهم في حرها
تقلب، مُنْصَجَّة جلودهم، محرقة قلوبهم، باكية أعيانهم، لا ترقأ لهم فيها دمة، ولا
يُقالون عشره، قد أبسلوا بحسرة أنفسهم، وعابنوا العذاب الأليم، والخزي الدائم
المقيم، فهم يستغيثون فلا يغاثون، ويسترحمون ولا يُرحمون، ويطلبون الإقالة فلا
يُقالون، ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي
كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يُتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرٍ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ
فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ (٩) [فاطر: ٣٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ
فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ (١٠) تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَمْ
تَكُنْ ءَايَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ
عَلَيْنَا شَقَوَاتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٣﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا
فَأَنَا ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ أَحْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٥﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ
عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامِنَّا فَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٦﴾
فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخَرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٧﴾
إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآئِزُونَ ﴿١٨﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١١١].

وقال تبارك اسمه، وجل ذكره، فيمن استعمل الغفلة، وترك النظر والاستقامة: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا
تَعْمَىٰ الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَىٰ الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١٩) [الحج: ٤٦].

أما يسمعون إلى كتاب الله الناطق، على لسان رسوله الصادق: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١﴾
الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ

هُمْ أُولَئِكَ الْأَلْبَابُ ﴿١٨﴾ [الزمر: ١٧ - ١٨]. فهل سمعتم ^(١) القول فميزتم، أو فتشتم لطلب النجاة فعرفتم، ونظرتم فيما أوجب الله عليكم فعملتم، عمدتم إلى أكبر فروض الله تبارك اسمه، وجل ثناؤه، فجعلتموه أهون الأسباب عندكم، ونبذتموه وراء ظهوركم، وأغفلتم قول الأخيار، وقبلتم قول الخونة الأشرار، فدلوكم بغرور، وأوقعوكم في الهلكة، ودلوكم على أقبح سيرة، وأدخلوكم في الضلالة، يريدون بذلك صلاح دنياهم، واتباع هواهم، ونرجوا أن يكون كدحهم مكذبا، وسعيهم باطلا، ورخاهم ماحلا ^(٢)، بل هم كذلك وقد بَوَّبُوا لكم أبوابا، وفتحوا بظلمهم لكم أسبابا، فحملوا فيها أوزاركم مع أوزارهم، وباءوا في الآخرة بآثامكم وآثامهم، قد رجعت معهم، وقبلتم كلامهم، وإن الحق عندنا لمستبين، والواجب - وإن عندتم عن الطاعة، وصرتم على غير الاستقامة - أن ننصحكم في أنفسكم، ونعرفكم ما يجب لله عليكم، وإن كنتم عنا صَادِينَ، ولنا كارهين، واقتدينا بذلك بما حكم به رب العالمين، في إرسال النبيين، معذرين ومنذرين، مَنْ عَنَدَ من المخلوقين، ويحذركم ملكة الظالمين، وسطوة الجبارين، ومعاملة المتكبرين، والخضوع لأمر الفاسقين.

والحق والباطل ضدان، وعند أهل المعرفة متنافيان، وقد بلغنا عن بعض مَنْ طاش حلمه، وقل علمه، وأحاطت به خطيئاته، من أوباش الرجال، وثُبَّاع المحال، أنهم يذكرون عن أبي عبد الله الداعي رحمة الله عليه ورضوانه ^(٣)، أنه نهاهم عن اتباع الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، وقد علم الخاص والعام، وأهل اليمن وأهل الشام، من فضائل الإمام الهادي إلى الحق رحمة الله عليه

(١) في المخطوط: أسمعهم. وما أثبت اجتهد.

(٢) الكلمتان في المخطوط مهملتان، ولعلهما كما أثبت، والله أعلم. والماحل: الأرض المجدبة. والمحل: انقطاع المطر، ويسبب الأرض من الكلاء.

(٣) في المخطوط: ورضوانهم. ولعل الصواب ما أثبت.

(١)، وعايينوه من علمه وورعه وتقاته، وصدقه وحلمه ووقاره، ومجاهدته لأعداء ربه، ومنابذته للفساق، ومشاقته لأهل النفاق، ومعرفته بالدين وحقيقته، ونصرته وموالاته لأولياء الله، ومعاداته في الله، وتلاوته لكتاب الله، وحفظه لمعالم دينه، ووقوفه على طريق نجاته، وتخلصه من المآثم، وطاعته لله الأعز (٢) الأكرم، وقوله عليه بالعدل والتوحيد، وإقراره بالوعد والوعيد، يضرب على ذلك الهام، ويقتل فيه مَنْ عَنَدَ من الأنام، مع إقامته للحدود، ومقارعة لأهل العنود، وكف يده عن أموال المسلمين، ورأفته بالضعفة والمساكين، وعنايته بالفقراء المحتاجين، مالا ينكره عالم مؤمن، ولا عارف بالله موقن، وما كان أمره بغي ولا خفي، بل كان علمه مكشوفاً، وفعله موصوفاً، وبالدين والتقوى معروفاً، طاهر الأثواب، برياً من الإقتحام على ما لا يحل له من الأسباب، قويا في أمر الله، مصمماً في دينه، قائماً بما أوجب الله عليه، مع نسكه وخشوعه، وزهده وصلاته، ومحافظته على صيامه، لم يكن بمتكبر ولا متجبر ولا مختال، ولا متقلب من حال إلى حال، بل يبرز للأقران، ويدعوهم للطعان، فأذاقهم حر السنان، وعلا رقايمهم (٣) بصارم الهندوان، وزاحف بمهجته جمائع الفرسان، وساق صفوفهم، وقمع في الله نخوتهم، وفل جدهم، وأوهن كيدهم، وهم ألوف مؤلفة، وجيوش متكاثفة، وجمائع عظيمة، كانوا قد أذلوا بها الإسلام، وأباحوا حماه، مع ظلمهم للأيتام، وأكلهم للحرام، وقتلهم لأمة محمد عليه السلام، وما من منقبة جميلة، ولا مرتبة نبيلة، ولا خطة عالية، إلا وللإمام الهادي إلى الحق صلوات الله عليه فيها فضل كامل.

كان أسخى العالمين، وأبر المؤمنين، وأفضل المجاهدين، بعد من مضى من أسلافه الطاهرين، صلوات الله عليهم أجمعين. كان يزين الحكماء، ويمتاع من علمه العلماء، كم من حد أقامه ! ومنكر غيرَه ! وحقٍ أظهره ! ودين نصره ! ومضطهد

(١) في المخطوط: فضائل إلى الحق الإمام رحمة الله عليه. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: الأغر. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في المخطوط: وعلا رق بهم. مصحفة.

ستره ! وفقر جبره، ویتیم آواه، وحائر أرشده وضال هدها، ومتحير دله الطريق فأقصر، وأعمى القلب جاهل به أبصر، ومجبر مشبه لله عاد ونظر، فتخلص من موبقات، ونجا من مهلكات.

فكم لأمر المؤمنين الهادي إلى الحق صلوات الله عليه من معجزة بينة، وحكمة ظاهرة، قهر بها أهل عصره، يذل الجبار بين يديه، ويخرس أهل الجهل من مناظرته، ويتضعض المتكبرون خوفا لهيته، لما عرفوا من سطوته على الظالمين، وشدة قسوته على الفاسقين، كم من متمرّد أخزاه، وخمس^(١) في طاعة الله أفناه، ومؤمن أدنه، ومظلوم قواه، وما عسى أن أصف من فضل الهادي إلى الحق؟! ليث الحرب، والكاشف للكرب، صاحب الحملات، وقاتل أهل الجهالات، وقاصم من قال بالمحالات، ولقد كان خليفة مهديا، وعدلا مرضيا ومخيفا^(٢) كميا، وسميدا جريا^(٣) حتى مضى لسبيله رضوان الله عليه محمودا مفقودا، يلقي الأهوال، ويقتل في ذات الله الرجال، عاملا بطاعة الله، متبعا لمرضاته، متجنباً لمعاصيه، فجمع الله بينه وبين جديده محمد وعلي صلوات الله عليهم في مستقر رحمته، وجعلنا في زمرتهم، ومن يحذو حذوهم، ويقفوا آثارهم، ويحيي سنتهم رضوان الله عليهم، وصلواته على أرواحهم.

إن الهادي عليه السلام من أخبرت به العلماء، وبشرت بقيامه الأنبياء، شهر سيفه، وبذل نفسه، وخاف في طاعة ربه، وباين الظالمين، وناذ الفاسقين، وخرق الصفوف، وصادم الألو، وجدع من الظلمة الأنوف، وصبغ من أعدائه السيوف، وذكر ذا الفقار، وقايح الأخيار، وثار غضبا لله الواحد الجبار، حامى دون دين جده المصطفى جميع الأشرار، يصادم الظالمين، ويقتل أعداء الله المعاندين،

(١) الخميس: الجيش، لأهم خمس فرق: المقدمة والقلب والميمة والميسرة والساق.

(٢) الكلمة في المخطوط مهمة. ولعلها كما أثبت.

(٣) في المخطوط: جرياً. ولعلها كما أثبت. لأن الجري: المقدام. وهي تناسب ما قبلها، لأن الكمي هو:

الشجاع. والسמידع: الموطأ الأكتاف.

فقاله في ذلك المحكوم، وارتكبته في طاعة ربه الغموم، وصبر على النوائب والهموم، وانفرد في الله من الأهلين والأقربين، فأبلى في الله جهده، فبلغ في ذلك طاقته، غير ناكص على عقبه، ولا ناكل^(١) عن طاعة ربه، لا يطلب إلا صلاح المسلمين وعز الدين، وظهور سنة خاتم النبيين، لا لغرض دنيا دنية قصد، ولا لرغبة في حطامها نهد، قد علم ذلك رب العزة الأحد.

يصدر السهام في أهلها، ويخرجها في طرقها، قد باع نفسه من ربه، ودنياه بآخرته^(٢)، ورغب فيما يرغب فيه مثله، من أهل المعرفة والتقى، والدين والهدى، فكان صلى الله عليه في بحبوحة الإمامة نازلا، وفي عرصتها قاطنا، يشهد في ذلك الفرقان، ويصدق في قوله أهل المعرفة والإيمان، من تعلق به نجا، ومن تخلف عنه غرق وهوى، مع شهادته لله تبارك وتعالى بالعدالة، وبرأته من فعل الظلمة، وإقراره له بالوحدانية، وانفراذه بالربوبية، وعرفه حق معرفته، ولم يجوره في حكمه، وجاهد في الله من عند أمره، ولم يصفه بخلاف فعله، تعالى عما يقول المبطلون، وتقديس عما يسند إليه الجاهلون، المتدع للأشياء، الخالق للأرض والسماء، الواحد الأزلي، الحي القيوم، الأول والآخر، والظاهر والباطن، القوي المقتدر، الذي ليس كمثل شئ، ولا يشبهه شئ، وهو العليم الخبير.

أفي الهادي إلى الحق تشكون؟! أم فيه تمترون؟! وأنى بمثله لو تعلمون؟! خسرت صفقتكم، وبارت تجارتكم، لقد غبتم الحظ العظيم، والفوز الكريم، وكنتم كما قال الرحمن الرحيم، فيمن ظن أنه على هدى، وهو على الباطل من أمره والعمى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]. ولقد توفي الهادي إلى الحق صلوات الله عليه وهو علم للدين، وإمام^(٣) من أئمة

(١) في المخطوط: ولا يأكل. مصحفة. والصواب ما أثبت.

(٢) في المخطوط: بآخره. ولعل الصواب ما أثبت.

(٣) في المخطوط: وقمام. مصحفة.

المسلمين، وعابد لله حتى أتاه اليقين، ﴿أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥] ، فبكت عليه السموات والأرض وجميع من عرف الله من المؤمنين، وبكى فقده قلوب المتعبدين، وتابع إخوان الصالحين، فالقلوب بعده واجفة، والدموع هائلة، والخطوب متمكنة، والحوادث متكاثفة، لجليل ما نزل بنا وبهم من فراقه، فالله على ذلك المستعان، ونسأله الصبر على الإيمان، إنه منان، ذو فضل وإحسان.

يا أهل الغفلة، وأخدان الشهوة، أين يذهب بكم وأنى تؤفكون؟! أمثل الهادي إلى الحق يهزأ المحرمون؟! ^(١) بئس ما نظرتهم، ولآخرتكم مهتدم، حسرتهم فلم تعقلوا، وعلمتم فلم تفظنوا، قد رين على قلوبكم، فتركتهم التمييز، واستحققتهم الترك من الله، فعدمتهم التوفيق، نظرتهم إلى الدنيا بأعين مبصرة، وقلوب زاكية، أحكمتهم بها معاشكم، ونلتهم بها أكثر مكاسبكم، تسألون عن أرباحكم، وتقصدون في البحث عنه نُصْلَحكم، وتركبون في ذلك كل عظيم من الأشياء، وعميت أبصاركم، وحارت قلوبكم، عن النظر في مكاسب آخرتكم، وما به تنجون غدا عند ربكم، تركتم أعظم التجارة خطرا، وأكثرها نفعا ومكسبا، كأن لم تسمعوا الله سبحانه يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تَجَارَةِ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١﴾ تَوَمَّنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٣﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾﴾ [الصف: ١٠-١٣]. تركتم المسألة عن هذه التجارة، الفاخرة مكسبها ^(٢)، الكريم مطلبها، المنجية من العطب لمن قصدها، فأصبحت من دينكم في غرور، وفي عملكم

(١) في المخطوط الكلمتان مهملتان. ولعلهما كما أثبت أو قريبا منهما.

(٢) في المخطوط: الفاخرة لمسها. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

على ثبور، أغفلتم النافع لكم، وطلبتم الزائل عنكم، فكان قد وقعت لكم الحسرة والندامة، وصرتم به إلى شر منزلة وحالة.

وأتم الله لقد اختلتكم الهوى، فأما لكم عن التقوى، وادلمت عليكم الغشوة، بحالستكم لأهل الغفلة، أي حظ خُرمتموه؟! وأي منهج حق تركتموه؟! وأي نور زاهر سلبتموه؟! ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [البقرة: ١٣٠]، وقال تبارك وتعالى: ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٣٦]، ﴿وَلِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦-٢٥٧]. ذهب العمى، وأنار الهدى، وبانت العلماء، بفضل العلي الأعلى، فأنتم في فعلكم كمن ترك المحجة البيضاء، ذات القصد والهدى، وركب المقارب، وتكتم في المعاطب، فقعد عما قصد، وحرار عما له نُصب، فتعجل الشقاء، وهجم به ذلك على المتالف والبلاء.

أفما فيكم أيها الغافلون رجل سديد؟! أما فيكم عارف رشيد؟! أما فيكم معاتب لنفسه لبيب؟! مفكر في أمر خالقه مصيب؟! احتنك عليكم الجهل، وأهلكتم مردة الرجال، بالباطل والاحتيال، فبادروا بالتوبة، وعاجلوا بالرجعة، واستقبلوا الله سبحانه لأنفسكم من الزلة، في أوان المهلة، فليس بعد الموت لأحد من توبة، ولا سبيل له إلى إنابة، اليوم اليوم عباد الله في أوان الحياة، ووقت السلامة، والتوبة مقبولة، والأعمال مكتسبة، قبل معاينة الأهوال، وتصرم الآمال، ومحاسبة ذي العزة والجلال، ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الدخان: ٤١-٤٢]، إنه من نصب نفسه لعداوة أئمة الهدى، صحت عداوته للأنبياء، ومن صحت عداوة للأنبياء، صحت عداوته للعلي الأعلى.

اللهم اشهد لعبدك وابن عبدك بالنصيحة لخلقك، والزجر لهم عن ارتكاب معصيتك، فقد أبلغت ونصحت، وأخرجت الحجة من عنقي بالتبيين لمن ضل عن أمرك، والدعاء إلى طاعتك، والموااة لأوليائك، والمعاداة لأعدائك.

اللهم اشهد على من ظلم^(١) وتعدى وصد، واحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين، فقد افترى على أبي عبد الله رضي الله عنه من قال عليه الباطل وظلمه، وتَقَوَّل عليه المحال وبهته، معاذ الله ما قال أبو عبد الله من ذلك حرفاً واحداً، ولقد كذب وافترى، وخان وتعدى، وحاد عن طريق الهدى، الذي قال عليه بذلك، بل كان أبو عبد الله يعظم الهادي إلى الحق، ويجل خطره ويشهد بإمامته، ويعرف قدره، ويوجب حقه، ويشهد بفضله، ويذيع مناقبه، ويشهر ذكره، ويأتم به، ولو عُمِّر لخرج معه، كما خرج أخواه الحسن والحسين، العالمان الفاضلان، العارفان بالله، المقدمان بأمر الله، التابعان الورعان التقيان، آثرا^(٢) الآخرة على الدنيا، وما تبقى على ما يفنى^(٣)، وما قطع أبا عبد الله نظر الله وجهه، عن أن يفعل مثل فعلهما، إلا ريبُ المنون الذي لا بد منه، ولا محيص عنه، فرحمة الله ورضوانه عليه، غفر الله ذنوبه، وتجاوز حوبه، وبلغه في [ذلك مطلوبه].

وكذلك سليمان بن القاسم الورع الفاضل، الليث العاقل، القائل بفضل الهادي إلى الحق، المقدم له والعاقد في عنقه ببيعته، المتقرب إلى الله بطاعته، ولقد كان على الخروج إليه عازماً، فرحمة الله عليه، حتى عرض له من الأمر ما لا يقدر على دفعه بشيء، من بعد بيعته للهادي إلى الحق، وإجابته لدعوته، ومسارعته إلى أمره ونهيهِ.

وكذلك ابنه علي بن سليمان الذي أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم في منامه بالهجرة إلى الهادي إلى الحق رضي الله عنه، وبشره بالشهادة، وأخبره بما أنعم الله به

(١) في المخطوط: يظلم. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

(٢) في المخطوط: أبرى. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

(٣) في المخطوط: مما يفنى. مصحفة. وما أثبت اجتهاد.

عليه من السعادة، فخرج إلى الحق قاصداً، ولطاعة الله عز وجل طالباً، حتى بلغ في ذلك أمله، ونال بفضل الله أمنيته، وصدق رؤياه فيما أمر به ورآه، رحمة الله عليه^(١) ومغفرته.

وكذلك موسى بن القاسم الفاضل الورع، وجميع من كان معه من ولد القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه، فكل قد عقد البيعة في رقبته، وسار تحت علمه ورايته، وقاتل وقوتل دونه، فلا ترتابوا في الحق فتكونوا من المهالكين، ولا تشكوا فيه فتحشروا مع الظالمين، فما بالأمر من غباء^(٢)، على من آمن واتقى، فنسأل الله لنا ولكم الثبات على طاعته، والنجاة من النار برحمته.

عباد الله أَلَسْتُمْ بالله موقنين؟! أَلَسْتُمْ بفرائضه وما أنزل على خلقه بعارفين؟! أترون لو أن القاسم بن إبراهيم رضي الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة ثوابه ومأواه، قائم بنفسه، ثم خرج ابن ابنه، ودعا إلى الله، وإلى كتابه، وإلى سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم، ثم منعكم القاسم من اتباعه، والإجابة له، والدخول في دعوته، أليس كان يجب عليكم في هذا الفرض المؤكد العظيم، الجليل الكبير، الذي ليس حظه بيسير، أن تخرجوا إلى القاسم، وإلى ابن ابنه حتى تشاهدوهما وتناظروهما، وتعرفوا مذهبهما، ثم كان أعرف الرجلين بالله، وأقومهما بما أوجب الله، وأعزمهما بما عليه يتبع، وتقام الحجة على من خالفه، فإذا قامت الحجة عليه، وخرجت الإمامة من يديه، تُرك ورُفض، بعد الحجة والبيان، وما لا يشك فيه من أهل المعرفة إنسان.

فكيف يقع عليكم الشك بدعوى مكذوبة؟! على رجل لم ينصب نفسه؟! ولم يُقم ساعة للحق دعوة؟! ولم يشهر سيفاً؟! ولم يقتل في طاعة الله نفساً؟! ولم يُقم على أحد حداً؟! وإنما كان لازماً لمزلته، مقتصداً في أمره، غير ظالم للأخيار، ولا طاعن على الأبرار، وإنه مما كذب عليه لبريء، والمتقول عليه فهالك شقي، فليس

(١) في المخطوط: رحمة عليه. والصواب ما أثبت.

(٢) يقال: غبي عن الشيء، غباوة. إذا لم يعرفه.

هاهنا شك ولا التباس، ولا حيرة لأحد من الناس، ويحكم إنكم في بحر نار نخوضونه، وأمر لا تعرفونه، أو شك أن يغرقهم فيما لا تفقهونه، فأنتم في دينكم في غرور، تتبعون أهل الشرور، وتقبلون قول الزور، في الأئمة الأفاضل، والدعاة إلى الله في المحافل، قد تركتم الحق وعاندتموه، ورفضتم ما أمركم الله به وكرهتموه، قال الله سبحانه في كتابه: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٦٠) ﴿وَيُنَجَّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦١) [الزمر: ٦٠-٦١]. أمكنتم الشيطان من أنفسكم، وحكمتوه على عقولكم، فقادكم في زمامه، وأدخلكم في أعوانه، وأنتم لا تفقهون، ولا إلى الحق ترجعون، ولا كتاب الله تدبرون، ولا دعوة الحق والصدق تجيون، قد حكمتكم على أنفسكم بالعمى، ونفرتكم عن الحق والعلماء، حتى كأنكم نابذتمونا، وبجھلكم رفضتمونا، بآية من كتاب الله واضحة، أو سنة من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيمة، فأظهرتم العداوة لنا، وصددتم جهلاً عنا، أفكرهتم قولنا ظلماً وعدواناً، وزوراً وبهتاناً، عن قليل تجدون وبال فعلكم، وتجاوزون على ظلمكم، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (١٠٤) [المائدة: ٤٤]، ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١١١) [النحل: ١١١]. قد حكمتكم على أنفسكم أن لا تطيعوا إماماً، ولا تجيئوا^(١) داعياً، بئس ما فعلتم، ولأنفسكم مهدتم، ألسنا ويحكم من ولد محمد خاتم النبيين،؟! ورسول رب العالمين إلى كافة خلقه أجمعين؟! ثم من ولد القاسم بن إبراهيم الطاهر بن الطاهر، الفاضل بن الفاضل^(٢)، المجرد، العائد بالله المتعبد، ما هذا الإعراض عنا؟! والعداوة لنا؟! أتريدون كلما قال ظالم لنفسه جاهل، مصر على معصيته غافل، كلاماً تبعتموه، ورويتموه وطاويتموه، وأطعتموه بتمويهه عليكم، في أكبر فرائض الله

(١) في المخطوط: تجيون. مصحفة.

(٢) في المخطوط: بن ابن الفاضل. وكتب فوقها علامة شك. ولعلها كما أثبت.

وأعظمها، فتعلمون^(١) والله سبحانه بالمرصاد، وإليه المنقلب والمعاد، تبارك ذو العزة والأيد، وما حاق فعلكم إلا بأنفسكم، ولا يترل وباله إلا بكم، وما خطابي هذا لرغبة في وصال الظالمين، ولا محبة لمكاونة الآثمين، ولكن حجة أقيمها لرب العالمين، وما أنا فيمن أعرض عن طاعة ربه، أزهد منه فيما فرط فيه بجمله، ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ [يونس: ١٠٨].

وَيَحْكُمُ يَا غَافِلُونَ !! أي علم كعلم الهادي تقتبسونه ؟! وأي زهد مثل زهد تملونه ؟! وأي إمام في عصره كنتم تعلمونه ؟! فإن جهلتموه فاسألوا عنه غير متوانين، وانتبهوا من رقدتكم يا نائمين، اقفوا آثاره، وانظروا أفعاله، تشهد لكم على صدقه ودلائله، وتعرفكم بحقيقة علم مسأله^(٢)، إن الجهلة للعلماء أعداء، ولأولي الألباب خصماء، وأنتم مخطون، وعلى خطاياكم مصرون، وبما أنتم فيه من الجهل متمسكون، وللحق وأهله منكرون، ولقد عاش الهادي إلى الحق دهرًا طويلاً - والله الحمد - مقيماً للحق، قائماً بالصدق، يُمضي الأحكام، وينصف الأطفال، ويبعد المحال، ويقىم الإسلام، ويميث الآثام، حتى إذا انصرفت حياته، وحضرت - صلوات الله عليه - وفاته، اختار الله له ما عنده، ونقله إلى درا كرامته، لم يوجد له رحمة الله عليه بعد عينة ذخيرة جمعها، ولا أموال إلى أحد أزلفها، فما وجد له ثوب يكفن فيه، حتى اشترت أكفانه، وأصلح من بعد عينة شأنه، كان ذلك منه زهداً في الدنيا، واستضاءً بنور الهدى، واقتداء بمن سلف من الآباء، وأدى الأمانة، لما كان عليه من حقيقة الديانة.

وَلِيَّ جِزْءاً مِنَ الدُّنْيَا، فَأَقَامَ فِيهِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، وَخَرَجَ مِنْهُ فَرْدًا، لَمْ يَتَّخِذْ مِنْهُ فَرْشًا وَلَا كِتْرًا، بَلْ رَدَّ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِهِ، وَمِنْ حُكْمِ اللَّهِ لَهُ بِهِ، وَهَلْ يَحَاطُ

(١) في المخطوط: وأعظمهما بسروء. فتعلمون. لعلها زيادة.

(٢) في المخطوط: علمه مسألة. ولعل الصواب ما أثبت.

بفضله ؟! أو يوقف على حقيقة أمره ؟! ويح الجاهل بفضله ! بما له تعرض ^(١) !
 وأي ركن من الإسلام يجزيه عليه فرض ^(٢) ؟! وأي معصية لله ومخالفة فيها ارتكض
 ؟! ولن يتلف الجاهل بذلك إلا نفسه، ويُسحب بذلك في النار صاغراً على أنفه،
 وأنى يضر المسلمين الضحى، أو يدفع الحق بالباطل ^(٣) والخطأ، وأنا أعظكم بالله أن
 تولوا عن الحق مدبرين، وأن تكونوا له من المحاربين.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله عند لسان كل قائل، فلينظر
 قائل ما يقول). وقال عليه السلام: (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يدري أنها وقعت
 موقعاً قد تبوأ بها مقعده من النار).

واعلموا يا غافلين أن الإيمان، والكفر باللسان، فانظروا كيف تصنعون ؟! وما به
 على الله تتقحمون ؟! إنكم غدا على الله تعرضون، وعما تقدم منكم تُسألون، وإنه
 لحق مثلما أنكم تنطقون، أيها المرتابون الشاكون ألا تكشفون قولنا ؟! وقول من
 يطعن علينا ؟! ألا تفتشون ما عندنا ؟! وعند من لا يصدق فينا ؟! ألا تبصرون
 رأينا، ورأي من هو مخالف لنا، ألا تميزون الحق من الباطل، والعلم من الجهل ؟!
 فتكونوا من أمركم على بصيرة، وبينة نيرة، فيكون ذلك غدا لكم عند الله حجة،
 قد أصبحتم مشرفين على الهلكة، منتظرين لترول النعمة، وزوال النعمة.

اللهم اشهد عليهم وكفى بك شهيداً، وحسيباً ورقيباً، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَآئِرٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ
 ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنعام: ١٠٤]. وأنا أقسم بالله العظيم، ونوره الكريم، ما دعائي إلى الكتاب إلا
 لإقامة الحجة عليكم !! والتنبيه لكم، فيما أتم عليه مقيمون من الغفلة والخطأ، والزلل

(١) في المخطوط: بما تعرض له. ولعلها كما أثبت.

(٢) هكذا هي في المخطوط.

(٣) في المخطوط: والباطل. ولعلها كما أثبت.

والوئي، عن المعرفة بحق الهادي إلى الحق، والقائم بالصدق، ليكون السائل لكم عن ذلك، والطالب لكم به والمحاسب لكم عليه، من بعد إقامة الحجة عليكم فيه. أليس يلزمكم إن كنتم من أهل مقالتنا القول على الله بالعدل والتوحيد؟! والإقرار بالوعد والوعيد؟! وإقامة الفروض المؤكدة، على الصحة والحقيقة، والإسراع لمن دعاكم إلى الحق والهدى، والدين والتقوى، والجهاد للظالمين، والمنايذة للفاسقين، حتى يظهر أمر الله وهم كارهون، والإجابة إلى الإمام الداعي إلى الرشد والإيمان، القائم بالفرقان، المظهر للأحكام، الناعش للإسلام، المشيع للأيتام، الحافظ لجميع الأنام، فقد دعاكم وناداكم فتناقلتم إلى الأرض، وتركتم ما أمركم الله به من الفرض، فخذلتم الحق والمحقين، ورفضتم أكبر فرائض رب العالمين، وما أجد لكم غدا عند الله العلي الأعلى في الرفض لذلك، والعناد له، وترك الدخول، عذراً عند الله عز وجل^(١)، بل لا يسعكم، ولا يحل لكم، إن كنتم بالله مقرين، وبحسابه موقنين، ولثوابه راجين، أن تعدلوا عن الحق، وتصروا على المجانبة له، وترفضوا ما افترض الله عليكم منه.

فبادروا بالتوبة، وانتبهوا من الغفلة، وتزودوا للغيبة، التي لا تنتظر معها الأوبة، وتقرؤا إلى الله ممن قد أهلككم، ودمر عليكم بفعله، وصدكم بجهله، فما فرض الله عليكم قول من أفسد ولم يصلح، ودعا إلى غير دين الله ولم يفلح، إن الحق ليس يخفى على ذوي الأبواب المميزين، ولا على أولياء الله المحققين، الموحددين لله، العارفين به، قال الله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَيَّ قُلُوبٌ أَقْفَالُهَا ﴾ [٢٤-٢٥] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آرْتَدُوا عَلَيَّ آذَبَرَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ﴾ [٢٨]. ﴿ أَسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ ﴾ [٢٨]. ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا آسَخَطَ اللَّهُ بِأَنفُسِكُمْ، وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّكُمْ، وَعَامِلُوهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي سِرِّكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ، وَأَخْلَصُوا لَهُ بِهَدْيِكُمْ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِهِ، وَاتَّقَوْهُ حَقَّ تَقَاتِهِ، ﴾ [٢٨] ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا

(١) في المخطوط: الله وجل. ولعل الصواب ما أثبت. ولعل في هذه الجملة سقطاً فالخلل فيها واضح.

وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨]. ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢، آل عمران: ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١ إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠، التغابن: ١٣].

لم يفتشوا العلم فيصبروا، ولم يتحروا فيه فيقصرُوا، ولم يتمكن الحق في قلوبهم فيعرفوه، ويعلموا به ولا ينكروه، بل رضوا بالهوى صاحباً، وبالجهل مؤنساً، كما قال الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩]. قنعتم من عملكم بالمعاصي، وفي طلب التوبة بالتواني، فمثلكم فيما تعلقتم به من البدعة، وخالفتم فيه الكتاب والسنة، ﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فإن ترجعوا إلى الحق تكونوا من القائمين، ويجب لكم ما يجب للمؤمنين، من الإخاء والخلطة، والصفاء والوصلة، والمحبة والموادة، والمشاركة في كل حال، وإن تتولوا عن الحق مدبرين، وعن الله سبحانه معرضين، تقم الحجة لله عليكم، وتجب عليه البراءة منكم، ثم تعاملون بما يعامل به أهل العناد، لذي العزة والأيد، فيترل بكم ما نزل بالمعاندين، وعما قليل لتصبحن نادمين.

وعليكم بالتقى والصدق في جميع أموركم، والوفاء لله بما عقد في رقابكم، مع أداء الأمانة، وترك الخيانة، وعرفان الحق، ورفض الباطل، ولزوم الإيمان، وحفظ القرآن، والخشية للمنان، وأكرموا الجار واليتيم، واستغفروا التواب الرحيم، ولا تخالطوا الأشرار، ولا تعصوا الواحد الجبار، وحاسبوا أنفسكم، وراجعوا عقولكم، ولا تنسوا حظكم من آخرتكم، واستعيذوا بالله من شر أنفسكم، فإنها أعدى عدو لكم، توقعكم في المهالك، وتدخلكم في المتالف، وتوردكم موارد تردبكم، فويل لكم من يوم عبوس قمطرير، لا تنجون فيه إلا بأعمالكم، فلا تغتروا بالمهلة في أيام حياتكم القريية، فكأن قد تصرمت آجالكم، ورحلتكم بأعمالكم، قال الله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وقد ترون أيها الغافلون أن جبريل أتى إلى النبي صلى الله عليهما وسلم، فقال: (أحب من شئت، فإنك مفارقة، واعمل ما شئت فإنك لاقية، وعش ما شئت فإنك ميت)، قال الله سبحانه: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنْ الْفَارِ وَأُذْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. ولا يقولن كل مريب قصدني بكلامه، وخصني بخطابه، ولم أقصد رجلاً بعينه، فأوبخه وألومه، وإنما قصدت بكتابي هذا من كان على ما ذكرت من المخالفة والبدعة، فمن كان كذلك، فإياه قصدنا، وبالموعظة أردنا، وبالتنبيه والتوبيخ اعتمدنا، وحجة الله فيما افترض علينا من التذكرة والزجرة عليه أقمنا، وبأخلاق النبيين ومن كان بعدهم من الصالحين اقتدينا، فليكن كتابي هذا على من سمعه من أهل الغفلة نعمة، ولا يجعله الله سبحانه عليه حجة، فيعرض لزلزال النقم، وزوال النعم.

ولا تكونوا عباد الله ممن ذمه الله في كتابه، وعابه في جميع أسبابه، حين يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْأَمْهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]. فإني لكم أيها الساهون ناصح، وفي هدايتكم مصرح، ولطلب رشدكم قاصد، ولما تنجون به عند الله صامد، فاقبلوا الموعظة، وتمسكوا بالنصيحة، واستفيقوا من الغفلة، فقد آن لناثمكم أن يتيقظ، ولذي الغفلة منكم أن يستعظ، فقد ركبتم في الغفلة - عن الهادي إلى الحق - مركباً صعباً، يصرع بأموالكم، فحسرتكم، ذلك هو الخسران المبين، فقد حان لجائركم أن يزدجر ويهتدي، ولظالمكم أن يرجع وينتهي، قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وأثم الله إن في بلدكم ومن حولكم من أهل مقاتلتنا لرجالاً مؤمنين، وقوماً موحدين، وبالله سبحانه عارفين، وله في جميع أحوالهم قاصدين، وذلك الجمهور الأعظم، وأهل المعرفة والكرم، نظروا بأعين مبصرة، وقلوب زاكية، وفطن ثاقبة، فلم يلتبس عليهم الحق من الباطل فيهلكوا، ولم يمازجهم الشك فيضلوا، بل عرفوا

الحق، ومالوا إلى الصدق، فأبصروا، واقتدحوا من نوره فعرفوا، واستقوا من شريعته فلم يظلموا، وطلبوا من الحق مغرسه فرشدوا، أولئك الذين رجحت تجارتهم، وفازوا بآخرتهم، وأرضوا الله سبحانه بفعلهم، لم تختلج في قلوبهم الأوهام، ولا كلام الجهلة الطغام، شكر الله سعيهم، وثبت على طاعته أمرهم، ونفعهم بالتقوى، وزينهم بالهدى، فقد نالوا بالتعلق بالهادي إلى الحق شرفاً، وأصابوا في ذلك قصداً.

فمنهم عاقد للبيعة في رقبته، والمنتظر لأمره، والمصدق لقوله، والمتمسك بجملة، والمهاجر إلى داره، طالبون لطاعته، ومؤدون ^(١) للفرض الذي أمر الله سبحانه به، ناصحون مجتهدون في طاعة الله سبحانه، قد باعوا أنفسهم من الله البيع الصحيح، وأخذوا به الثمن الربيع، يرون الموت مغنماً، والمجاهدة لأعداء حتماً، حتى يضربون في الله الهام، ويبينون في محبته السواعد والأقدام، فهم في أمر الله مصممون، صابرون محتسبون، يأمرون بالمعروف الأكبر، وينهون عن الظالم والمنكر، لا تهولهم المحن، ولا ترعدهم في طاعته الإحن، ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، أولئك عند الله سبحانه مكرمون، ولديه غدا مثابون، ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسرعون في الخيرات وأولئك من الصالحين] [آل عمران: ١١٣-١١٤].

فلو سألتهم مشايخ في بلدكم أهل ديانة، ومعرفة وعلم وأمانة، لرشدتم، استقوا من الماء عذباً، وشربوا هلاً، ومشوا في المعرفة رسلاً، أخذوه من مغرسه، وطلبوه من أهله، فهم على بينة من ربهم، رضي بهم الهادي إلى الحق لكم دعاة ومبصرين، ومعلمين ومفهمين، فاسألوهم ترشدوا، واقتبسوا منهم تهتدوا، فلن يدخلوكم في ردى، ولن يخرجوكم أبداً من باب هدى، بعون الله ذي العزة والعظمة الأعلى.

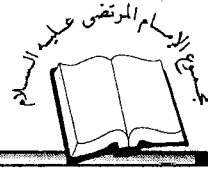
(١) في المخطوط: والمؤدون. وما أثبت اجتهاد.

ولست أوصي نفسي وإياكم إلا بتقوى الله العظيم ومراقبته، وإيثار طاعته، والتجنب لمعاصيه، فإن بطاعته نجا الناجون، وبمعصيته هلك المقترون، وحجج الله قائمة، وبياناته ظاهرة، وكتابكم بينكم آياته منيرة، ودلائله زاهرة، ولمن دعاكم إلى الله شاهدة، والله خير الشاهدين، وأحكم الحاكمين.

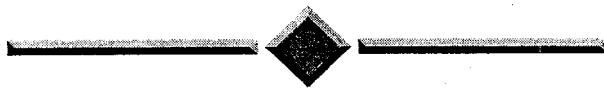
وخذوا عباد الله نصيبكم من التقوى، فإنها أفضل ما طلب من الأشياء، إن الدنيا تخلق الأبدان، وتذهب الأعمار، وتجدد الآمال وتباعد الأمنية، وتقرب المنية، دار كل محنة وبلية، من ظفر فيها نصب، ومن فاتته من أهلها تعب، والمخرج منها ففي سلوك المنهج وترك اللهج، بما لا يثبت به لصاحبه عند الله الحجج، فاقبلوا النصيحة، ودعوا اللجاجة، فخير الإخوان من أعان على التقوى، ودلت صحبته على الرشد والهدى، ولا تجعلوا لله عليكم سلطانا، فقد أعذر عليكم وأنذر، وبين وحذر، قال الله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ۖ﴾ [النساء: ١٤٤-١٤٥]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ۖ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۖ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مُّرِيدٍ ۖ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۖ﴾ [الحج: ١-٤].

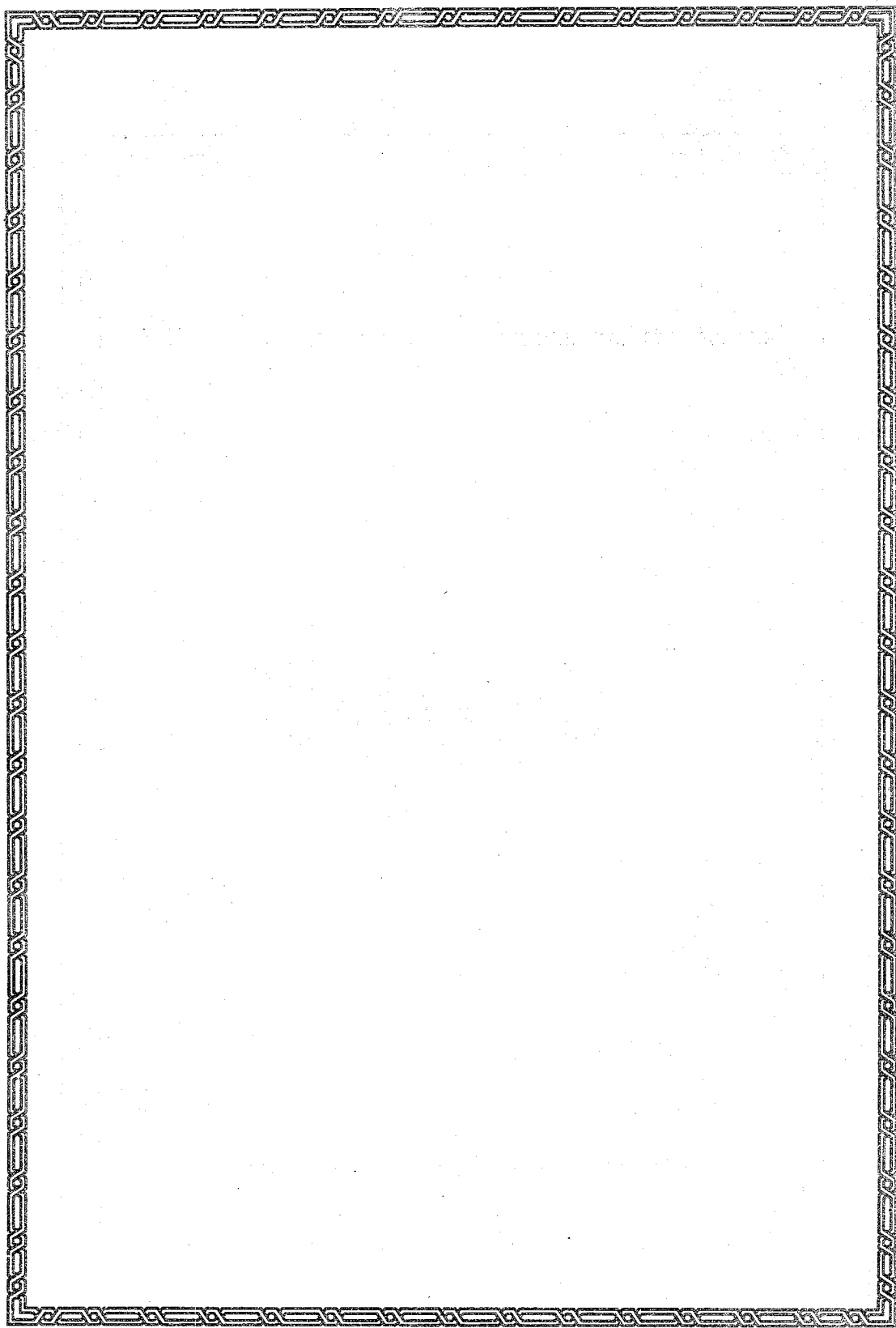
تم كتاب الغفلة، والحمد لله أولا وآخرا.





الأصول





الأصول

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلواته على سيدنا محمد وآله وسلم.

قال الإمام المرتضى لدين الله محمد بن الهادي إلى الحق صلوات الله عليهما: اعلّموا أحاطكم الله وهداكم، ووفقكم وكفاكم، أنه لا يصلح عمل إلا بمعرفة وبصيرة، ونية وعزيمة، فإذا اتفقت المعرفة والعمل، فقد سلم العبد من الهلكة والزلل، واستوجب من الله سبحانه السلامة في دنياه الفانية، وآخرته الباقية، فكان في هذه الدنيا برا تقيا، وفي الآخرة مقربا زكيا، نسأل الله لنا ولكم الثبات على طاعته، والتمسك بحبله، والموالة لأوليائه، والمعاداة لأعدائه، والعمل بما أمر به من حكمه، حتى يوصلنا وإياكم بذلك إلى ثوابه، ويجعله لنا ولكم سترا من عقابه بعفوه.

باب التوحيد

فأول ما ينبغي لكم أن تعرفوا، ولدين الحق أن تقصدوا، وهو الواجب عليكم من الحق، معرفة الله سبحانه، وأصل معرفته توحيده، وكمال توحيده نفى جميع صفات التشبيه عنه، فليس له سبحانه شبه ولا نظير، ولا يوصف بحد مما يوصف به المحدثون، فتنفوا عنه جل جلاله، عن أن يحويه قول أو يناله، شبه خلقه، وكل ما كان فيهم ولهم من الأدوات والآلات، من الأيدي والأرجل، والوجوه والألسن، والشفاه والأبصار والأسماع، حتى يخرج من قلوبكم، ويصح في معقولكم، أنه بخلاف ما ذكرنا من خلقه، وتعلموا أن لكل^(١) ما ذكر الله سبحانه من ذلك في نفسه معنى وتأويلا معروفا، عند أهل المعرفة والدين، الذين أؤتمنوا عليه، وأمروا بالقيام فيه، والدعاء إليه، فلا يقع في عقولكم أن المخلوقين بصفة من الصفات التي تعقل وتميز بالعقول والأبصار، إلا كان الله سبحانه بخلاف ذلك الذي يتوهمه المتوهمون.

(١) في المخطوط: كل.

فكل ما وقع في قلوبكم أنه على مثال، أو شيء من الأشياء، فهو تبارك وتعالى بخلاف ذلك، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١-٤]، فهو الذي لا كفؤ له ولا نظير ولا مثل، ولا شبيه ولا عدیل، عز ربنا وجل عما يقول المبطلون والمشبهون علوا كبيرا، لا يُوصف سبحانه إلا بما وصف به نفسه، ولا يُستدل عليه إلا بما أوجد من خلقه، وأبان من صنعه، من سماء مبنية، وأرض مدحية، وأرواح مَذْرِيَّة، وكواكب تجري، وقمر يسري، ونهار منير، قَدَّرَ شمسُه الواحد القدير، المكون لكل ما دل به على نفسه، البريء من شبه خلقه.

باب القول في العدل

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الله سبحانه عدل في قضائه، لا يقضي على خلقه بمعصية، ولا يخرجهم من طاعة، أمرهم بخير، ونهاهم تحذيرا، لم يجبرهم على معصية، ولم يخرجهم من طاعة، بل مكّنهم من الاستطاعة، وأعطاهم على ما كلفهم القوة، وجعل لهم إليه السبيل، فمن أطاعه فقد نجا، ومن عصى فقد استوجب من الله سبحانه النقم والبلاء.

فأما ما يقول به الجهال الذين لا يعرفون الله عز وجل، ولا يصدقون وعده ولا وعيده، فيقولون: إن الله سبحانه يقضي بالمعاصي ويأمر بها، والله تعالى بريء من ذلك، بل كذبوا في قولهم، واجترأوا على الله بكلامهم.

وكيف يقضي سبحانه بمعصية ثم يعذبهم عليها؟! إذاً لكان لهم ظالما؟! وعليهم متعديا! والله بريء من ذلك. ولو كانت المعصية كما يقول هؤلاء الظلمة، أنها قضاء من الله حتم، ما كان للعبد في ذلك ذنب!!! لأن المعصية حينئذ فعل الله لا فعل العبد، وليس للعبد في قضاء الله حيلة. أفلمستم ترون إن كان الأمر كما قال هؤلاء الظلمة؟! أن الله قد ظلمهم، أو عذبهم على فعلهم، لأنه حين قضى عليهم بالمعصية، قد منعهم من الطاعة، ولو تركهم والطاعة لأطاعوا!! والله بريء مما يقول فيه المبطلون، وأسندة إليه الجاهلون، ألا تسمعون كيف أكذبهم سبحانه: ﴿

وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنِ
 اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ [الأعراف: ٢٨]، فأكذبهم في قولهم، ونفى عن نفسه ما نسبوه إليه بظلمهم، وقال
 سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٢١﴾ [الذاريات: ٥٦]،
 فذكر الله خلقهم للعبادة لا للمعصية، وأكذب قول من زعم أن الله يقضي على
 العباد بالمعاصي، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي
 الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
 تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]، وذكر أنه أمر بالصلاح والتقوى، والدين
 والهدى، وأبطل بذلك قول من زعم أن المعاصي من الله قضاء.

أرايتم لو أن أحدكم أمر عبده، وحكم عليه بعمل شيء من الأشياء فعمله
 وأطاعه، ثم أخذه فضربه على ما عمل مما أمره به، أليس يكون قد ظلمه وتعدى
 عليه؟! فإذا كان هذا من فعل المخلوقين ظلما وتعديا ومستنكرا!! فكيف يجوز أن
 ينسب إلى الله رب العالمين؟! أو يقال به في أحكم الحاكمين؟! أن يكون يقضي
 عليه بمعصيته، ثم يعذبه عليها.

فإن قال قائل: فإن الله سبحانه يقول في كتابه: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ
 يَشَاءُ﴾ [فاطر: ٨]، فقد نراه يُضِلُّ.

قيل له: إنما تتبع ما تشابه منه، كما قال الله سبحانه: ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ
 تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقد أخبر أن تأويله لا يعلمه إلا الله والراسخون في
 العلم، والقرآن عربي ليس بأعجمي! إنما يقرأه العلماء من آل رسول الله صلى الله
 عليه وعلى آله، ممن له المعرفة باللغة، والقصد الذي أراد الله به، فمعنى: ﴿يُضِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ﴾، فإنما هو: يوقع اسم الضلالة عليهم، لما أن استوجبوا بفعلهم اسم
 الضلال، سماهم ضالين، وهذا موجود في اللغة، إذا قال رجل لرجل: يا ضلال فلان
 ضللتني، ولم يضلّه عن طريق ولا محجة، وإنما سماه ضالاً، فلما أن سماه ضالاً، قال:
 ظلله، فعلى هذا يخرج معنى قوله سبحانه: ﴿يُضِلُّ﴾، أي: يوقع اسم الضلال
 على من يستأهل ذلك بفعله.

ولو كان كما يقول المبطلون، يقضي عليهم بالمعاصي حتماً، وبالطاعة حتماً، كما قضى بالموت والخلق، فجعل منهم أبيض وأسود، وأحمر وأصفر وأسمر، وطويلاً وقصيراً، ما ذمهم على معاصيهم، ولا عاقبهم على فعلهم، ولا حمدهم على حسناتهم، ولا على طاعتهم، إذ كان ذلك منه قضاء، كما لم يحمدهم ولم يعاقبهم على بياضهم وسوادهم، واختلاف ألوانهم وموتهم، ولكن جعلهم مخيرين في الطاعة والمعصية، وأبان لهم طريق النجاة والهلكة، ثم قال: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، فعاقبهم على اختيارهم المعصية، وأثامهم على اختيارهم الطاعة.

والشاهد على ما قلنا من تخييره لهم، وتركيب الاستطاعة فيهم، وأنهم غير مضطرين، ولا مقهورين. قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]، فأخبر الله أنه هداهم فاستحبوا العمى على الهدى، ولو كانوا مجبورين على المعصية مقضياً عليهم بها، ما استحبوا شيئاً، ولا قدرُوا من بعد أن هداهم أن يستحبوا.

وكيف يجوز لمن آمن بالله يقول: إن الخلق مجبورون، والله يقول: استحبوا. فقول الله أحق وأولى، وأصدق في جميع الأشياء، لأنه لا يجوز أن يقال: اختر لمن لم يعمل له اختياراً، ولا استحباباً، ولولا أنه جعل فيهم الاستطاعة، ما قال: ﴿أَسْتَحَبُّوا﴾، هذا مالا يقول به عارف تقي، بعد ما يسمع من قول الله سبحانه ما يسمع، فهذا كتاب الله ينطق بخلاف ما قالت المجبرة، فسبحان من لا يظلم العباد! ولا يقضي عليهم أبداً بفساد^(١)!

باب القول في الوعد

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الله سبحانه يبعث من في القبور، ويجمعهم عز وجل ليوم النشور، وأن ما وعد الله سبحانه أوليائه، وأهل طاعته، من الثواب الكريم، والخلود في جنات النعيم، حق: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا

(١) في المخطوط: بفسادهم. ولعل الصواب ما أثبت.

بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ [الحجر: ٤٨]، دائم سرورهم، رائحة أحزانهم، جزيل عطائهم، مستمر ذلك لهم أبدا: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ [الدخان: ٥٦]، فهذا الذي ذكرنا من وعد الله سبحانه حق يقين، ﴿مِثْلَ مَا أَنْتُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ليس في وعد الله خلف، ولا لعطائه انقطاع، ما دامت السماوات والأرض، أبد الأبد.

باب القول في الوعيد

ثم تعلمون من بعد ذلك أن وعيد الله سبحانه وما أعد لأعدائه، المخالفين لطاعته، حق: ﴿جَهَنَّمُ يَصَلَوْنَهَا فَيَنْسَأَ الْمَصِيرُ﴾ [المجادلة: ٨] ^(١)، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ - كما قال سبحانه: - ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبا: ٢٤-٢٥]، يعذبون فيها بألوان العذاب، في السلاسل والأغلال، ﴿وَلَهُمْ - كما قال سبحانه: - مَقْلَعٌ مِنْ حَدِيدٍ﴾ [الحج: ٢١]، يضرب بها رؤوسهم، إن استغاثوا من جوع أطعموا الزقوم، وإن استغاثوا من عطش اسقوا ماء الحميم، يقطع أمعاءهم، فهم في بلاء لا ينفذ، وعذاب سرمد مؤبد، لا يموتون فيها أبدا كما قال سبحانه: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤] ^(٢)، كلما احترقوا، حتى تبقى أرواحهم في رؤوسهم، ردهم الله على ما كانوا عليه من الصحة، وكلما أخرجوا من عذاب دخلوا في عذاب، لا يخرجون من عذابها ساعة، قال الله سبحانه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]، وقال عز من قائل سبحانه: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ لا يُقْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٦]، فإذا علمتم ذلك، وأيقنتم أنه ليس بخارج من النار من دخل فيها، فقد عرفتم الوعد والوعيد،

(١) في المخطوط: ﴿فَيَنْسَأَ﴾.

(٢) في المخطوط: ﴿لَا يَمُوتُونَ فِيهَا وَلَا يُحْيَوْنَ﴾.

وأصبحتم لله سبحانه نعم أهل الطاعة والعبيد.

باب القول في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تعلمون من بعد ذلك أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، عبد الله ورسوله، وخيرته من خلقه، وصفوته من جميع بريته، خاتم النبيين، فلا نبي بعده، أرسله الله سبحانه نذيراً، وناصحاً وبشيراً، بدين واضح مستبين، خلّص به خلقه من العذاب المهيّن، ودلّهم على الحق الواضح المستبين، فبلغ صلى الله عليه وعلى آله رسالة ربه، ونصح لأُمته، واجتهد في تبليغ ما أرسل به، حتى شرح الحلال والحرام، وأوضح الحق والأحكام، فلم يبق فريضة من فرائض الله سبحانه، تعبّد بها خلقه، حتى بلغها رسوله جميع عبادته، ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]. فلما أقام الله الحجة على خلقه، برسوله وخاتم أنبيائه، قبضه الله إليه وقد رضي عمله، وتقبّل سعيه، فعليه من الله أفضل الصلاة والترحيم.

باب القول في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام

ثم تعلمون من بعد ذلك أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب، أخو رسول الله ووصيه، وأفضل الخلق بعده، وأعلمهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأقومهم بحق الله، وأشدّهم إبلاء في جهاد أعداء الله، بين يدي رسوله، وفيه ما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، فكان يؤتي الزكاة - وهو راكع - علي بن أبي طالب دون جميع الخلق. وفيه ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم غدیر خم: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله). والخلق كلهم مجتمعون يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو رافع بيد علي عليه السلام، حتى أبصر بياض آباطهما، وهو ينادي بهذا القول. وفيه أيضاً يقول: (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي). ويقول: (

علي مع الخلق والحق معه).

[فضل الحسن والحسين]

ثم تعلمون من بعد ذلك أن (السبطين الحسن والحسين، أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وحيباه)، وأنهما إماما عدل، واجبة طاعتهما مفترضة. وفيهما ^(١) وفي أبيهما وأمهما ما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين جمعهم تحت الكساء، ثم قال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي، أنا حرب لمن حاربهم، سلم لمن سالمهم، اللهم وال من والاهم وعاد من عاداهم). وفيهما ما يقول عليه السلام: (كل بني أنثى ينسبون إلى أبيهم، إلا ابني فاطمة فأنا أبوهما وعصيتهما). وبذلك حكم الله سبحانه لهما حين يقول لرسوله، إذ أمره بالمباهلة للنصارى، فقال له: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]، فحضر صلى الله عليه وآله وسلم بالحسن والحسين، فهما أبناءه بحكم الله لهما بذلك، وأحضر معهما عليا وفاطمة، فـ (علي نفس رسول الله)، وفاطمة بضعة منه). وفيهما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خير منهما). وفيهما صلوات الله عليهما من الأخبار والروايات ما يكثر ذكرها، ويتسع شرحها، وفضلهما ^(٢) فأكثر من أن يحصى، وفيما شرحناه كفاية وبيان.

باب القول في الإمامة

ثم تعلمون من بعد ذلك أن الأئمة من ولد الحسن والحسين، فمن كان مستأهلا من أحد هذين البطنين، وكانت فيه شروط الإمامة وصفتها، فهو الإمام مفترض الطاعة. ولا تجوز الإمامة أبدا إلا في ولد الحسن والحسين، بتفضيل الله لهما، وجعله

(١) في المخطوط: ولأبيهما وفيهما. زيادة سهو.

(٢) في المخطوط: وفضلها. ولعل الصواب ما أثبت.

ذلك فيهما. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أهل بيتي أفضل الخلق، وهم صفوة الله من خلقه، والأمناء على بريته وعباده). ذلك لمن كان منهم فاضلا، ولأمر الله سبحانه متبعا، وبحكمه مقتديا. وفيهم ما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى). وفيهم أيضا يقول: (أهل بيتي أمان لأهل الأرض، والنجوم أمان لأهل السماء، فإذا ذهب أهل بيتي من الأرض، أتى أهل الأرض ما يوعدون، وإذا ذهبت النجوم من السماء، أتى أهل السماء ما يوعدون). وفيهم ما يقول: (إني مسائلكم غدا، فمحجف بكم في المسألة، عن كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدا، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض). وفيهم ما يقول: (ما أحبنا أهل البيت أحد، فزلت به قدم إلا ثبتته قدم، حتى ينجليه الله يوم القيامة). وفيهم ما يقول: (ما دخل في دماننا أهل البيت أحد من الناس، بسهم ولا سيف ولا رمح، ولا شطر كلمة، إلا جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله). وفيهم ما يقول الله سبحانه، مما افترض على خلقه. من المودة لأهل بيت نبيه عليه السلام، فقال: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ﴾ [الشورى: ٢٣]، فأوجب محبتهم، وافترض ولا يتهم، مثل الصلاة والصيام، فمن قام بما أوجب الله عليه فيهم سلم وغنم، ومن قصر في ذلك هلك وندم. وفيهم ما يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فبين الأمر فيهم سبحانه وأوضحه، ﴿ لَيْتَلَا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٥].

باب القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ثم تعلمون من بعد ذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذين قاموا بالدين، وكانوا في حقيقة الإيمان، واتبعوا بالطاعة والإحسان، واجب فضلهم مشهور، والطاعن عليهم مأزور، والمتنقص لهم مذموم، هالك عند الله مشهور، معذب مدحور، لمدح الله سبحانه لهم، وما قال فيهم، حيث يقول: ﴿ لَقَدْ

رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ [الفتح: ١٨].
وقال عز وجل: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾ [التوبة: ١١٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩].
[وفيهم من التفضيل في كتاب الله، وعلى لسان نبيه، ما لو ذكرناه لطال به الشرح، وكثر فيه القول، فحقهم واجب على جميع المسلمين، وفضلهم لازم لجميع المؤمنين، فلا يسع أحد من الناس طعن على أحد من ذكرنا، إلا الترحيم عليهم، والاستغفار لهم واجب، والافتداء بحسن أفعالهم لازم، إذ لهم السابقة القديمة، والأفعال الحمودة، والنية والبصيرة، رحمة الله ورضوانه عليهم أجمعين، إنه ل ذو فضل على العالمين، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فذلك الواجب لمن ثبت على عهد رسول الله منهم، ولم يتغير عما عاهد الله فيه، حتى لقي الله عليه.

باب القول في الجهاد

ثم بعد ما ذكرنا فيجب على الخلق أن يعرفوا فضل الجهاد، وما أوجب الله عز وجل لمن جاهد من الثواب العظيم الكريم، والجزاء العظيم، فبالجهاد يُقام الكتاب وتحيا السنة، وتنفذ الأحكام، ويذهب الباطل والآثام، وتشبع البطون الجائعة، وتكسى الظهور العارية، وينصف المظلوم، ويقمع الجبار، ويرضى الرحمن، ويسخط بالشیطان، وتذهب الأهواء المشكلة، وتثبت الأسباب النيرة. وفي ذلك ما يقول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجْرَةِ تَنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصف: ١٠-١٢]، فأوجب الله سبحانه لمن جاهد

غفران الذنوب جميعا، ولم يوجه في شيء من الأعمال إلا في الجهاد.

وقال سبحانه، وجل عن كل شأن شأنه، في الجهاد: ﴿الَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال: ٧٣]، ثم قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٨٤]، ثم قال عز وجل: ﴿لَا تَنْفِرُوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩]. وقال سبحانه: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٣١، نوح: ٤]، فلما ذكر الجهاد قال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ﴾. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وفي الجهاد ما يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله: (ما اغبرت قدما رجل مؤمن في سبيل الله فطعمته النار). وقال عليه السلام: (إذا أرجف قلب المؤمن في سبيل الله، تحات الذنوب عنه، كما يتحات التمر اليابس من رؤوس النخل، في يوم عاصف). وفي الجهاد ما يقول رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (لنومة في سبيل الله، أفضل عند الله من عبادة ستين سنة، يصوم نهاره لا يفطر، ويقوم ليله لا يفتر). ويقول عليه السلام: (ما خفقت راية حق على رأس امرء مسلم، إلا حرم الله عليه النار). وقال عليه السلام: (مثل أعمال البر مع الجهاد كمثل حجة في بحر). وفي الجهاد من الفضل، والذكر من الله سبحانه ومن رسوله عليه السلام، ما يطول شرحه، ويكثر ذكره، والقليل النافع خير من كثير غزير لا يغني.

والجهاد فإنما فرضه الله عز وجل على كل مسلم، وأمرهم بجهاد كل ظالم غاشم، فقال سبحانه في كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]، فلما نزلت هذه الآية قال بعض الناس: الجهاد في أهل الشرك، وقال بعضهم: الجهاد في أهل البغي، من أهل الإسلام، حتى يعودون إلى ما حكم به رب

العالمين، في كتابه المبين.

ثم نظرنا في قولهم، فطلبنا شاهدا في كتاب الله عز وجل في اختلافهم، فوجدنا الله عز وجل قد بيّن ذلك في كتابه، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧]، فعلمنا عند ذلك أن كل من لم يحكم بما أنزل الله، فقد افترض الله جهاده، وأوجب على الأمة قتاله، حتى يرجع إلى أمر الله، قال الله سبحانه لنبيه عليه السلام: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣، التحريم: ٩]. فأمر الله بجهاد الكافر والمنافق معا.

وقد أمر سبحانه نبيه عليه السلام بقتال فئة من المسلمين، بغت على فئة أخرى من المؤمنين، فقال سبحانه: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]، فإذا كان الله عز وجل يأمر بجهاد فرقة من المؤمنين، إن بغت في دلو ماء على فئة أخرى من المسلمين، وذلك: (أن جهينة ومزينة كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسبق أحد الحيين إلى الماء يقال لهم: جهينة، ثم جاءهم مزينة وكانت أكثر منهم، فقالت لهم: انحازوا عن الماء حتى نشرب، فامتنع الآخرون من ذلك، وقالوا: نحن سبقناكم إلى الماء، فإذا فرغنا شربتم كما شربنا، فأبوا عليهم وقاتلوهم على الماء وطردهم عنه، فأمر الله سبحانه بقتالهم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والمهاجرون والأنصار معه حتى وضعوا السلاح في الفئة الظلمة، وقتلوا منهم وطردهم.

فإذا كان الله يأمر بقتال فئة من المسلمين إن بغت على فئة من المؤمنين في دلو ماء، فكيف لا يأمر بقتل من بغى على رب العالمين؟! وخالف سنة خاتم النبيين؟! وشرب الخمر، وارتكب الشرور، وعطل الصلاة، وترك الزكاة، واعتكف على اللهو والطناير، واشغل بضرب المعازف والمزامير، وظلم الأيتام، وقتل في الإسلام، وظلم المسلمين، وقتل الضعفاء والمساكين، وهتك الحرم، وأظهر المنكرات، وأمات

الصالحات. فجهاد هؤلاء ومن كان مثلهم فواجب، [وواجب] على الأمة صلاح دار محمد وتزويدها، من الأذناس التي هي فيها، حتى يرجعوا إلى ما افترض الله عليهم من حكمه، والقيام بما أوجب الله من حقه، فإذا فعلوا ذلك، وأقاموا دينهم، ونزهوا دارهم، وجب عليهم أن يخرجوا إلى الروم وغيرهم من المشركين.

فأما والدار فاسدة، وأحكام الكتاب مُطَرَّحة، وكثير من الخلق عن الله شاذون ^(١)، ولأمره مضادون. وعلى معاصيه مكابرون، فكيف يُجاهدون المشركون، وتصلح دارهم؟! وهذه دار محمد عليه السلام فاسدة، وأمته لشريعته بعد تاركة؟! إلا من عصم الله قلبه، وبالحير سدده، وذلك القليل من القبيلة، والواحد من الجماعة، فليُنك على الإسلام الباكون، وليندب دين محمد عليه السلام النادبون، فقد أصبح غريبا مُطَرَّحا، قليلا ناصره، كثيرا مضاده، فإلى الله في ذلك المفرع والمشتكى، وهو غاية المطلب والرجاء.

فَرَحِمَ الله عبدا نظر لنفسه، وقاس شبره بفتره، وطلب ما ينجيهِ في آخرته، ورجع إلى الله تائبا من ذنوبه، وعمل لآخرته، واستكثر من زاده، ليوم معاده، ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٣٧﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الشعراء: ٨٨-٨٩]، السجا النجا عباد الله، والطلب الطلب! لما ينجي من العطب! في يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٩﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٤٠﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٤١﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٤٢﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]، فلا تغتروا - رحمكم الله - بالدنيا، ولا تستعملوا في حياتكم المني، فكم من مغرور بأجله قد بغته الموت في غفلته! فالدنيا غارة لمن ركن إليها، مهلكة لمن وثق بها، لا يدوم خيرها، ولا تنفك عجائبها، ولا فجاجتها، من اطمأن إليها خدعته، ومن وثق بها صرعته، المغرور من اغتر بها، والجاهل من وثق بشيء منها.

فبادروا فيما ينحيكم عند الله، ويقربكم إلى ثوابه، ويباعدكم من اليم عقابه، ﴿

(١) في المخطوط: مآذون. مصحفة. ولعل الصواب ما أثبت.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ [لقمان: ٣٣] ^(١)

باب وجوب طاعة أولي الأمر من ولد الرسول صلى الله عليه وسلم أجمعين

ويجب على المسلمين أن يعرفوا على الحقيقة، وما أوجب الله سبحانه عليهم من طاعة أولي الأمر من أهل الحق، والقومة بالصدق، الذين أمر الله باتباعهم، فقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿٣٣﴾ [التوبة: ١١٩]، فيجب على من اعتقد طاعة إمام عدل، أن يحسن طاعته، ويخلص في قيامه معه، ولا يجوز ^(٢) ما أمره به ربه، فإن المخالفة لإمام حق وزر عظيم، وذنب عند الله جسيم، وتصديق ذلك ما تجدون في كتاب الله جل وعز من الأمر بالطاعة، ألا تسمعون كيف يقول سبحانه في كتابه: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فأمر سبحانه بالطاعة، وحكم عليهم سبحانه في ذلك بالإستقامة، ثم قال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ﴿٦٥﴾ [النساء: ٦٥]، فأوجب سبحانه الطاعة لأتباعه عليهم السلام، ثم أوجبها من بعدهم لأوليائه المطيعين لأمره. ثم قال تبارك وتعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ ﴿٨٠﴾ [النساء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦٦﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ

(١) في المخطوط: ﴿واتقوا...﴾

(٢) لا يجوز، يعني: لا يتجاوز.

تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧١-٧٢]. فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الطَّاعَةِ مَا تَسْمَعُونَ، مِمَّا ذَكَرَ مِنْ عَظِيمِ الْمُبَةِ، وَجَزِيلِ الْعَطِيَّةِ، وَكَرِيمِ الْمَثَلِ، لِأَنَّهُ لَا تَتِمُّ الدِّيَانَةُ إِلَّا بِالطَّاعَةِ، وَلَا يَثْبُتُ دِينٌ مَعَ الْمَخَالِفَةِ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ يَعْذِرُ إِلَى خَلْقِهِ، وَيُقِيمُ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ فِي الطَّاعَةِ، وَمَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْإِسْقَامَةِ، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤]، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ مَخْبَرًا ^(١) عَمَّا سَيَنَالُهُمْ فِي مَخَالَفَتِهِمْ عَنِ الطَّاعَةِ، وَيَتَزَلُّ بِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ غَضَبِهِ، وَأَلِيمِ عَذَابِهِ، وَلَعْنَتِهِ ^(٢): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الخلافة: ٦٦] فِيهَا أَبَدًا لَا يَخْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٦] وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤-٦٨]. فَوَقَعَتْ بِهِمْ عِنْدَ ذَلِكَ النَّدَامَةُ، حَيْثُ لَا إِسْقَامَةَ، وَجُعِلُوا بَيْنَ أَطْبَاقِ النَّارِ، وَفِي مَحَلِّ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ. ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرَمِ تَوَاقَفَتْ مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَنِيهِ﴾ [النساء: ٦٦] وَصَلْبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ [النساء: ٦٦] وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأُظْلَىٰ﴾ [النساء: ٦٦] نَزَاعَةً لِلشَّوَىٰ ﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [النساء: ٦٦] وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿[المعارج: ١١-١٨].

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ يَحْتِ عَلَى الطَّاعَةِ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿عَاشَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ

(١) فِي الْمَخْطُوطِ: وَيَخْرِ. وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَ.

(٢) فِي الْمَخْطُوطِ: لَعْنَتِهِ. وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثْبَتَ.

يَدَىٰ تَجَوُّبِكُمْ صَدَقْتُ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَعَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ [المجادلة:
١٣]، وطاعة الأئمة الأتقياء، فرض من الله سبحانه، كما أوجب طاعة الأنبياء
سواء سواء، قال الله سبحانه: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩، الأنفال: ٢٠، محمد: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا
بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦].

فاحفظوا - رحمكم الله - دينكم بالاستقامة والطاعة والنصيحة لله سبحانه، على
الحقيقة الذي أمركم، فإن الله عز وجل يطلع على قلوبكم، ويحيط بما استجن بين
جوانبكم، وهو المكافي لكم. ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ
تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

باب النازل

ويجب أيضا على كل عاقل من أهل الإسلام، عند نزول شديدة من الشدائد، في
نفسه أو ولده أو ماله، أن يحسن بالله سبحانه الظن، فما كان من هذه النوازل من
قَبْلِ اللَّهِ سبحانه، نظر فيها الذي تنزل به نظرا جيدا ومميز أمره، فإن كان مطيعا لله
سبحانه مؤتمرا بأمره، منتهيا عن نهيه، غير مخالف في شيء مما حكم به، فليعلم أن
هذه النازلة محنة من الله سبحانه، اختبره بها ليضاعف له الأجر والثواب عليها،
ويعظم له العطاء والجزاء فيها، لأن الله سبحانه يقول: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ
أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا بِهِمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١ - ٢]،
أي: يمتحنون، ليتبين بحقائق إيمانهم وصحة إسلامهم، عند نزول الشدائد والامتحان
بهم.

وإن كان صاحب هذه النازلة عاصيا لله معاندا، مرتكبا المعاصي، غير خائف له،
ولا مؤتمرا بأمره، فليعلم أن ما نزل به من هذه المصائب عقوبة وبلاء، وخزي من
الله في جميع الأشياء، وذلك قليل من كثير سيزل به، ويحل بساحته، فليبادر بالتوبة
والرحمة، قبل حلول منيته، والوقوف لمحاسبته.

باب معاداة الظالمين والبراءة منهم

ويجب أيضا على جميع المسلمين أن يقفوا على ما أمرهم الله به في كتابه، وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، من المعاداة للظالمين والمجانبة لهم، والرفض لمن كان ظلما، من قريب وبعيد، فإن ذلك فرض من الله مؤكدا في كتاب مبين، قال الله سبحانه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فحرم الله على كل مؤمن الموادة لمن كان عدوا لله، من الآباء والأبناء والإخوة والعشيرة، وافترض عليهم مجانبتهم، وعداوتهم، كما افترض عليهم الصلاة سواء سواء.

ثم قال سبحانه مؤكدا لعداوة الظالمين، زاجرا عن موالاتهم: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، فأعلمهم سبحانه أن جزاء من مآل إلى الظالمين وأحبهم النار، والحزبي والهوان. ثم قال سبحانه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، فنهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء، والكافر فكل من ارتكب المعاصي لله، وخالف أمره، وضاد حكمه، هو كافر لنعم الله، قال الله سبحانه في ذلك: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] ^(١)، فأخبر سبحانه أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر معاند، تجب البراءة منه والمعاداة له، والمباينة والمحجران، حتى يعود إلى أمر الله وطاعته، أو تهلكه أحكام الله على معصيته.

ألا تسمعون كيف يقول الله عز وجل في خليله إبراهيم، الأواه الحليم، حين يخبر عن فعله في الله عز وجل حين يقول: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]، ثم قال عز وجل في كتابه، يخبر أيضا عن إبراهيم عليه السلام، حيث يقول: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي

(١) في المخطوط: ﴿... هم الكافرون﴾.

إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ ﴿[المتحنة: ٤]﴾، فباين إبراهيم والذين معه آباءهم وأبناءهم وإخوانهم، الذين كانوا معهم بالغداة، حين عاندوا الله سبحانه وخالفوا أمره، وكذلك يجب على كل من يؤمن بالله أن يقتدي بفعلهم، ويتبع ما أمر الله به في ذلك من معاداتهم.

وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣]، وفي معاداة الظالمين ما يقول الله سبحانه للمؤمنين، ويطلعهم عليه من أخبار الفاسقين: ﴿وَدُّوا لَوْ تُكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾﴾ [النساء: ٨٩]، وفي أقل ما تسمعون في كتاب الله سبحانه، ما يوجب البراءة من أعدائه على كل مسلم، فمن وأدَّ عدوا من أعداء الله، وأحبه، أو ناصره أو عاضده أو كانفه^(١)، فقد أعان على الله وعلى رسوله وعلى المؤمنين، واستوجب من الله الخزي والهوان، ومعالجة الأغلال، وبرئ من الله ورسوله وملائكته وجميع المسلمين، قال الله سبحانه: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: (الإيمان الحب في الله، والبغض في الله). وروي أيضا: (حق على العاقل أن يكون بصيرا بزمانه، مقبلا على شأنه، حافظا للسانه، فإن حسب كلامه من عمله أقل الكلام إلا فيما يعنيه، وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاث: مؤنة لمعاشه، وتزودا لمعاده - يعني آخرته - وتلذذا في غير محرم). وقد يروى أنه نزل على موسى النبي صلى الله عليه

(١) كنفه: حاطه وصانه.

في الصحف: (عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح؟! ولمن أيقن بالنار ثم هو يضحك؟! ولمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها ثم يطمئن إليها؟! ولمن أيقن بالحساب ثم هو لا يعمل). ويروى عن أبي ذر رحمه الله عليه: (قال: قلت: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال عليه السلام: من سلم المسلمون من يده ولسانه). وقال أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الإيمان على أربع دعائم: على الصبر، واليقين، والعدل، والجهاد. ثم وصف ذلك حتى وصل إلى الجهاد، ثم قال: من ذلك على أربع شعب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصدق في المواطن - يعني مواطن الحرب - وشنان الفاسقين - يعني البغض لهم - ثم قال: من أمر بالمعروف شد ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافق، ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه، ومن شنأ الفاسقين وغضب لله غضب الله له).

وقال الشاعر:

إن عيشا يكون آخره الموت لعيش معجل التنغيص^(١)
فانتفعوا - رحمكم الله - بكتاب الله، واستضيئوا بنوره، وتعلقوا بحبله، فقد بين الله سبحانه في كتابه لكم ما يرضيه من الأفعال، وما يسخطه^(٢) من الأعمال، فاتبعوا ما أمركم الله بفعله، واتركوا ما أمر بتركه، تصبخوا من الآمين، وعند الله سبحانه من المقربين، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨).

باب التوحيد

فإن قال قائل: ما معنى قول الله سبحانه: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فالجواب في ذلك يخرج على أربعة معاني، معروفة معلومة، عند

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) في المخطوط: ما أسخطه. ولعل الصواب ما أثبت.

جميع العرب مفهومة.

فأولها: أن يكون معنى سميع هو: عليم. والحجة في ذلك قول الرحمن الرحيم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠]، والسر فهو: ما انطوت عليه الضمائر ولم يبد، فذلك أسر السرائر. والنجوى فهو: ما يتسار به ويخفيه المتناجون، من الكلام والمحاوراة فيما يخفون ويكتمون. والسر الذي في القلوب فليس يُسمع، لأنه مستجن لم يُسمع، وإنما يُسمع ما ترجمه اللسان، وباح به ضمير الإنسان. وإنما أراد ذو الجلال والإكرام، بما قال في ذلك من المقال، التوبيخ لهم والإخزاء، والتوقيف لهم على ما يأتون من الخطأ، إذ يتوهمون، فإن الله لا يخفي عليه خافية، سرا أو علانية، قال سبحانه: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠]، يقول: لا نعلم ونحفظ من أمرهم ما يكتمونه في غيابات ضمائرهم؟!

والمعنى الثاني في اسم الواحد الباري: أن يكون السميع هو: المحيب للداعين، ممن دعا من عباده المؤمنين. والحجة في ذلك فما حكى الواحد الكريم، عن نبيته زكريا وخليله إبراهيم، الأواه الحليم: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، يعني عليه السلام: إن ربي مجيب لمن يشاء من الأنام، وفي ذلك ما تقول العرب لمن سأل من الله أو طلب: سمع الله دعاءك، أي: أجاب الله طلبتك ونداءك. والوجه الثالث: فيقول القائل الواحد من الراكعين المصلين: سمع الله لمن حمده. معناه أي: قبل الله ممن حمده، وأثاب على شكره من شكره، فهذه الثلاثة الوجوه التي يجوز أن يوصف بها الرحمن، وقول فصحاء العرب ممن ^(١) عرف للسان.

والوجه الرابع: فلن يجوز على الواحد الجليل، في شيء من الأقاويل، وهو موجود في المخلوقين، فتعالى عنه رب العالمين، وهو الإصغاء بالآذان والإنصات، لجولان دواخل الأصوات، ومستقر لمفهوم المقالات، وتعالى عن ذلك المهيمن الكريم، المقدس الواحد الفرد العظيم، وكيف يكون سبحانه كذلك؟! أو يجوز المقال فيه

(١) في المخطوط: من. ولعل الصواب ما أثبت.

بذلك؟! وقد تسمع قول ذي الجلال والإكرام: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ
الْسَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا
أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]. والكفو هو: المثل والنظير، في الصغير كان أو في
الكبير.

ولو كان ذا جوارح لكان ذا أعضاء، ولو كان ذا أعضاء لكان ذا جزء وفيه أجزاء،
ولو كان ذا أجزاء لكان بلا شك جسماً، ولو كان أجزاء لجرت عليه الحوادث
والأزمان، ولأشبه ما خلق من الإنسان، ولو كان كذلك لم يكن خالقاً ولكان
مخلوقاً، لأن كل جسم لا بد له من جاعل مجسّم، إذ لا بد لكل مجعول من جاعل،
كما لا بد لكل مفعول من فاعل، ولكل مصنوع من صانع، ولكل مقطوع من
قاطع!

فسبحان من ليس كذلك!! ولا على شيء من ذلك!! لا تحيط به الظنون، ولا
يصفه الواصفون، إلا بما وصف به نفسه، من قوله سبحانه في آخر سورة الحشر
(١): ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ﴾... [الحشر: ٢٢-٢٤] إلى آخر السورة.

باب الرد على من قال إن الله يُبصر بعين كأعين العباد

يقال له: إن معنى ﴿بَصِيرٌ﴾ يخرج على معنيين، عند أهل العلم نيرين، فأما
أحدهما: فهو العالم بالأشياء طراً، من ذلك قول العرب: فلان بصير بالفقه والنحو
والحساب، بصير بالشعر والكلام في كل الأسباب، تريد: أنه عالم، وفي كل أمر
قائم، فعلى ذلك يخرج قول الرحمن، حين يقول: ﴿اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥، ٢٠، غافر: ٤٤]، يريد: عالم محيط بكل أمرهم، مطلع على خفي
سرهم.

والمعنى الآخر فهو: النظر بالعين والنظر، والله من ذلك فبريء، وعنه فمتعالي عليّ.

(١) في المخطوط: الحشر من قوله سبحانه. ولعلها زيادة سهو.

إذ ذلك، ومن كان كذلك، مشابه للمخلوقين، وقد نفى عن نفسه رب العالمين، حين يقول سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، ولو كان كما يقول من كفر بالله وحده بآياته ! لكان مشبها لكل ما يراه ويحيط به من البصر بالأعين من المربوبين !! ولو كان كما يقولون لبطل قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ !! ولو بطل من الكتاب شيء يسير، لبطل منه الجليل الكبير، ولو بطل بعضه، لأشبهه الباطل كله، بل هو يؤكد بعضه بعضنا، فلن يبطل منه حرف أبدا.

وكيف يبطل أو يتناقض ما أحكمه ذو الجلال والسلطان ؟! وحفظه من كل سوء الرحمن ؟! ألا تسمع كيف يقول سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝ لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت: ٤١-٤٢)، ويقول جل جلاله، عن أن يحويه قوله أو يناله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ (البروج: ٢١-٢٢)، فكيف يتناقض أو يبطل ما حفظه الواحد الكريم ؟! وحاطه من كل باطل ودنس ذميم ؟! ومنعه وحجره من الشيطان الرجيم !! كذب العادلون بالله وضلوا ضلالا بعيدا، وجاروا عن قصد السبيل والحق جورا شديدا. فهذا الحق والصواب، وهو قول الهادي إلى الحق صلوات الله عليه وقولنا، وما إليه يؤول قولنا وأمرنا، وبه يأخذ من أراد الله من جميع أمة محمد جدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهو الواضح المستبين، يهدي الله به من أراد الدين، من جميع المسلمين، فمن قال بغير هذه المقالة فهو عند الله من المالكين، ولديه من المعذنين.

تأويل قول الله جل جلاله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣].

يقول عز وجل: أقم نفسك لربك وخالقك، أقم نفسك بالدين بكليتك لمصورك وجاعلك. وقوله: ﴿بَلِّغْ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [البقرة: ١١٢] نفسه ودينه، واستسلم له في جميع أموره، وأخلص له سبحانه. ولم يرد سبحانه بما ذكر من ذلك: الوجه، دون سائر الأعضاء، والدليل على ذلك قوله سبحانه: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا

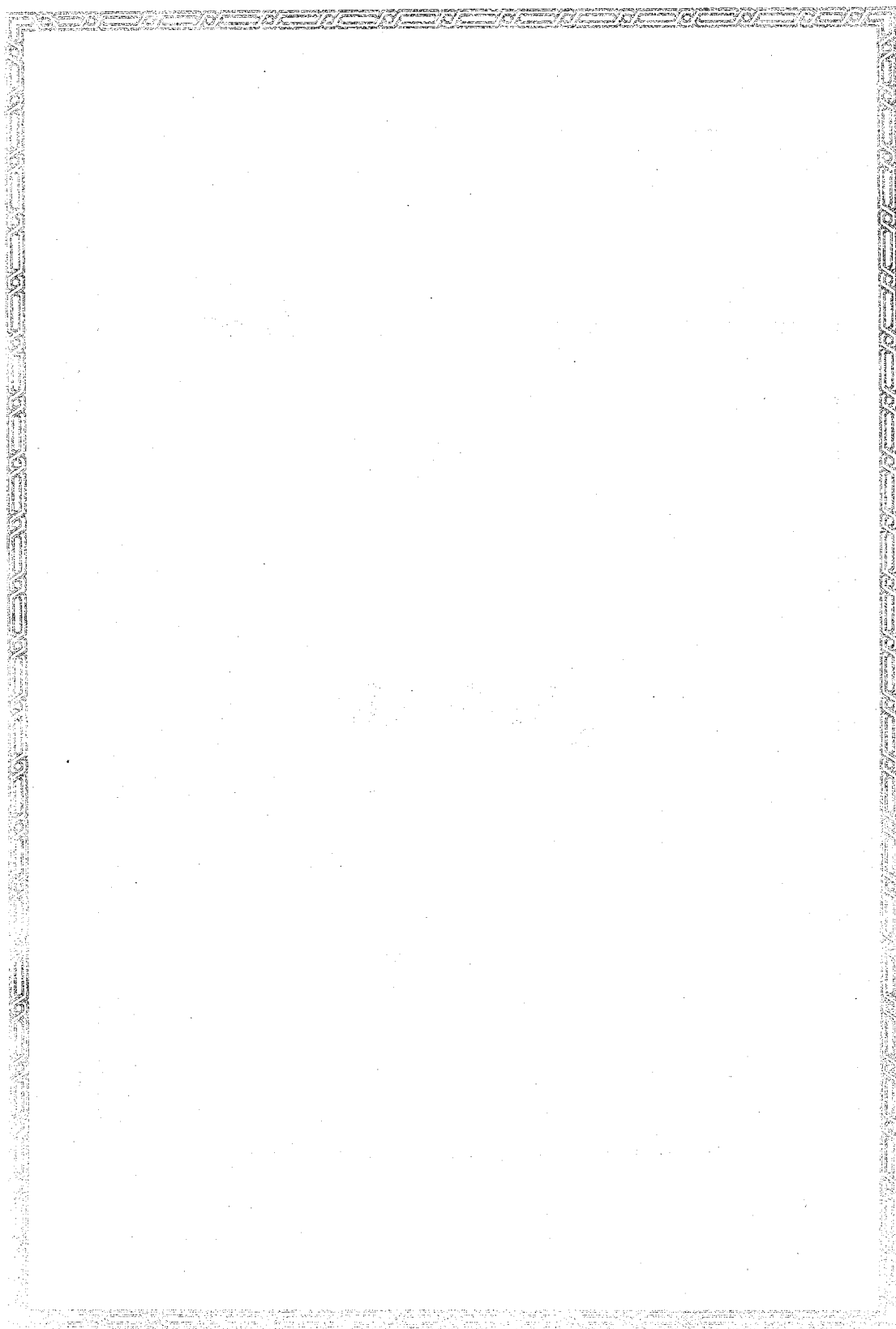
ءَاخِرُهُ ﴿[آل عمران: ٧٢]، لم يرد سبحانه بما ذكر عنهم أن للنهار وجهها كما يُعقل من الوجوه ذوات التصوير، التي أمر بغسلها عند الوضوء، فتعالى عن ذلك العلي الأعلى الخبير. وعلى ذلك يخرج قوله: ﴿ثُمَّ وَجَّهَ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١١٥]، أراد سبحانه الموجود في كل جهة: الله تعالى، لا أن له وجهاً، فسبحان الله الخبير عما يصف المبطلون !! صلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم.





الفصل





الفصل

إن أول ما يجب على المتعبدین الكاملة عقولهم، السالمین، وهو الذي لا عذر لأحد في تركه، ولا رخصة في جهله، ولا إيمان إلا به.

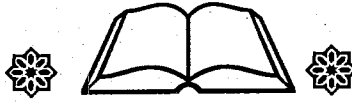
أن يعلموا أنهم مخلوقون، وأن لهم خالقاً أحدثهم، وبارياً صورهم، واحداً لا مثل له، ولا نظير، ولا شبه له من خلقه ولا ظهور، لا يوصف بتجسيم، ولا يدرك بتوهم، ولا يتضمنه مكان، ولا تلحقه عيان، ولا ينال بالحواس في دنيا ولا آخرة، دلت عليه آثار صنعته، وعجائب حكمته، ومعجزات بدائعه، أنه بخلاف ما أوجد من حدودها، وبرى من أجسامها، إذ كانت الحدود والأجسام هي الدلالة على الحدث، الممتنعة عن القدم، فكلما كان فيها، فلا يوجد في صانعها، ولا ينسب إلى محدثها، وأنه العالم الذي لا يجهل، والقادر الذي لا يعجز، والقوي الذي لا يغلب، والعزیز الذي لا يذل، الأول لا يحد ولا غاية تنفذ، ولا أمد يعد، ولا مثل يوجد.

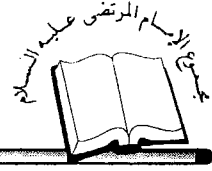
وأن ينفوا عنه جميع صفات البرايا ومشابهاتها، حتى لا يتوهوا أنه كشيء مما خلق، ولا في الحركة ولا السكون، ولا الأرواح ولا التجسيم، ولا الانتقال ولا المغيب، فإذا هم فعلوا ذلك، فقد أصبحوا توحيده، وأثبتوا معرفته، وحققوا ربوبيته، ووصفوه بما وصف به نفسه، ووجب عليهم أن يعلموا أنه عدل في قضائه وحكمه، لا يظلم عباده، ولا يجور على بريته، ولا يأخذ أحداً إلا بفعله، وما كسبت يده، ولا يأمر بأمر ويكرهه، ولا يترك شيئاً ويعذب عليه من لم يفعله، ولا يكلف فوق الطاقة، ولا يسلب العبد الإستطاعة، ولا يحمله على طاعة قسراً، ولا يجبره على معصية جبراً.

بل أمرهم تخيراً، ونهاهم تحذيراً، فإذا هم أقروا بعدله في خلقه، ونفوا عنه جميع أفعال عباده أن يكون جبرهم على شيء منها، فقد نطقوا بالصدق، وفعلوا بالحق، ووجب عليهم أن يعلموا أنه صادق الوعد والوعد، منفذهما على ما أخبر في كتابه المجيد، لا يظلم المطيع، ولا يجور عليه، ولا يغفر للعاصي، ولا يحسن إليه، وأن يؤمنوا بالنبيين، والملائكة المقربين، وحجج الله على خلقه أجمعين، وكتبه إلى الأولين والآخرين، والساعة، والجنة، والنار، والبعث، والحساب، والجزاء، والخلود،

وأن الله سبحانه ختم أنبياءه ووحيه بمحمد عبده ورسوله، وخاتم النبيين، لا نبي بعده، وأن علي بن أبي طالب، أخو الرسول، وصنوه، ووصيه، وأولى الخلق بالخلق بعده، وأن الحسن والحسين، إماما عدل، مفترضة طاعتهم. ومن هذا حذوهما من أولادهما الطاهرين، فهو الإمام المفترضة طاعته.

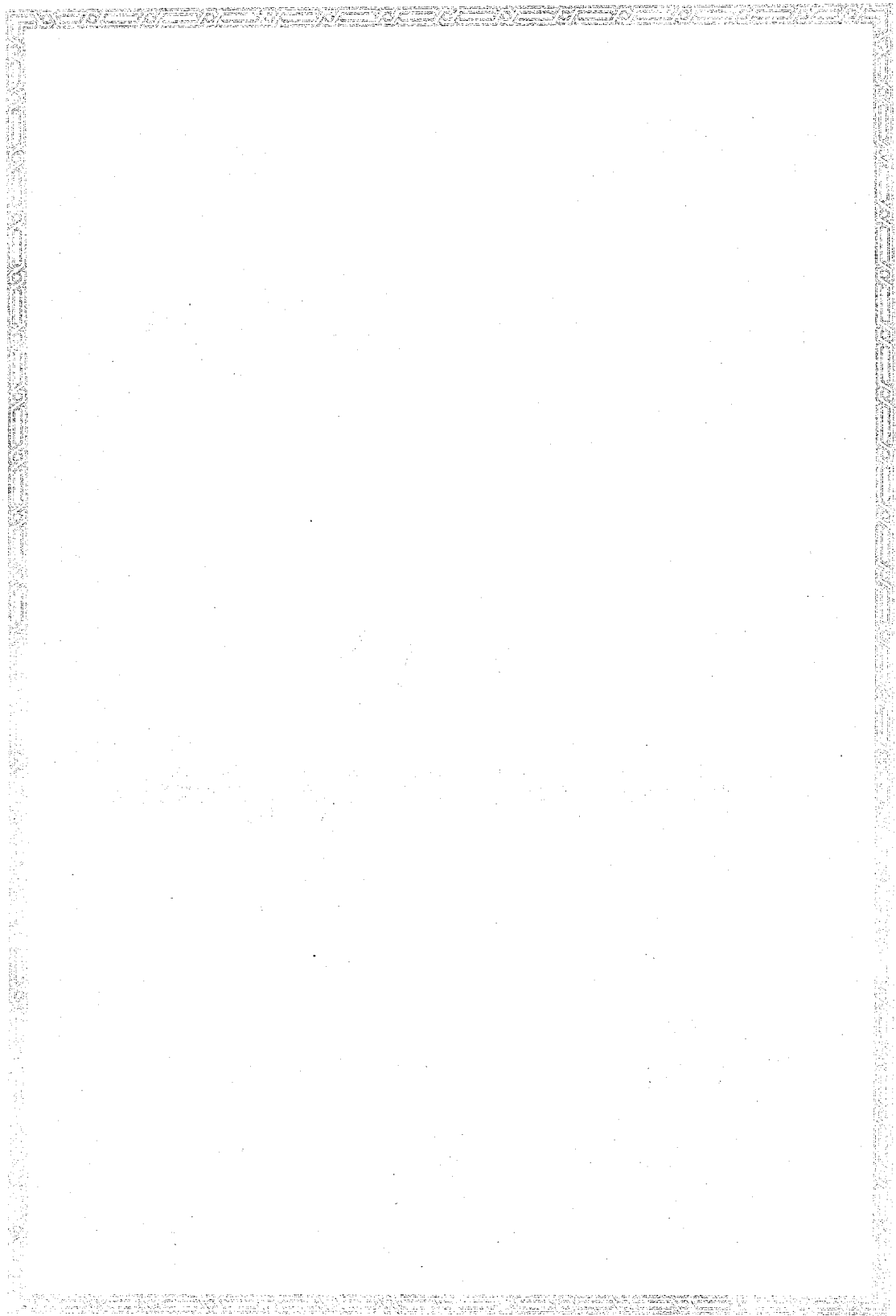
فهذا أول العبادة وسبيل المعرفة، ورأس العمل الذي لا يقبل إلا ممن عرفه، لأن من لم يعرف الله حق معرفته فهو معرب على جهالته، وأدنى المعرفة والإقرار، تعصم من الجهل والإنكار.





جواب علي بعض قرايته





[جواب على بعض قرابته]

هذا كتاب من الإمام المرتضى محمد بن يحيى عليه السلام. جواب عن كلام بلغه عن بعض قرابته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.
فهمت أكرمك الله ما ذكرت، وفي كتابك ما لخصت، مما اتصل بك من كتب بعض أهل بيتي، أطال الله بقاءهم، وأصلحهم وهداهم، وما مدحوا به أنفسهم وتكلموا به، مما ليس للحق بدافع، ولا لحججه بقاطع، ولو أجروا ذلك في إبان^(١) مشايخهم رضي الله عنهم، ونضر وجوههم، لعبوا ذلك عليهم، وما رضوا به من فعلهم، ولقد كانوا يسمعون كلامهم فينا، ويشاهدون إنصافهم وتقديمهم لنا، وقولهم بالحق فينا، لا يستحلون غيره، ولا يستجيزون سواه، فالله نستعين على أمورنا، وما نقاسيه من دهرنا، فلست مستجيزا فيهم ما استجازوا فينا، منع من ذلك خوف الرحمن، وتلاوة القرآن، ومجانبة الشيطان، وصلة الأرحام، ورتق الإسلام، وما أنا ممن يقرظ^(٢) نفسه كما يقرظون، بل الله يزكي من يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة، ولست ممن يبني أمره على هوى، ولا ينقاد إلى زهرة الدنيا، ولا يبيع آخرته بالأولى، ولا يجري في لعب ولا مني، وإنما يطلب الطاعة لله سبحانه، في ما سرَّ وساء، من جميع الأشياء، ومن عامل ربه قصرت خطاه، وترك هواه، وانقاد سلسا لحكم مولاه.

((فأما ما يلظ به بعض أهل بيتنا، من الكلام الذي يظهره فينا، مما غيره أحسن بهم، وأقرب إلى رهم، فلن يجدوا فينا هم ولا غيرهم - والله الحمد - أبدا عيبا ولا مقالا، فلقد ركبوا في أمرنا الشاذ، وغاروا فينا الأعماق)).

(١) في المخطوط: إبان. ولعلها كما أثبت. والإبان: العصر.

(٢) أي: يمدح.

الشرح:

الشاذ: الغليظ من الأمور. وغاروا فينا الأعماق: فالغور: الغوص. والأعماق: البعد.

((لغير سالف مكروه سبق، ولا منقطع منا اغتبق، إلا البر المتالي، والحفظ لهم في كل أحوالي، وما اعتدوا مني قطيعة اخترعتها، ولا يحفظ لفظ بكلمة أسديتها)).

الشرح:

معنى اخترعتها أي: ابتدعتها. ومعنى استديتها: أي قدمتها.

((وما جميع ما يكتبون به، إلا كآلال الذي لا حقيقة له عند فحصه، وما هو عن الحجب، إلا كالصدق لدى الهوج، أو كالعثير إذا تفرق واضمحل)).

آلال فهو: السراب الذي إذا أبصره المبصر ظنه ماء، فإذا جاءه لم يجده شيئاً.

ومعنى الدقق: فهو دقيق التراب. والعثير: فهو العجاج الذي تثيره الرياح. وكذلك يقول: رؤبة العجاج:

في قِطْعِ الآل وهبوات الدقق (١)

((وإن هذا الشذى الذي يبلغنا منهم قد سقم، فنحن نعانیه جرعا، بالقيـل والجاشرية، وفيها المحتمل)).

الشرح:

معنى سقم: أي طال. وفي ذلك يقول الشاعر:

مستأنف الأعشاب من روض سقم (٢)

ومعنى الشذى فهو: الأذى.

قال الشاعر:

(١) ديوان رؤبة / ١٠٤. وعجز البيت: خارجة أعناقها من معتق.

(٢) البيت لرؤبة ديوانه / ١٠٤، وعجز البيت: ثني إذا ما اصغر جحران الذرق.

شَدًّا بَّةً عنها شذى الربع السحق^(١)

والجاشرية: شرب السَّحَر.

قال الشاعر:

وندمان يزيد الكأس طيباً سقيت الجاشرية أو سقاني

ال قيل شرب نصف النهار في القائلة.

((قد صار لنا هيا وجيا، واغلنكس علينا، وإني لهم لنعم الكالي والوهواه، وإن صدري في الاحتمال والصبر لمثل القرقوس الأملق)).

الشرح:

الهيا والجيا: الطعام.

قال الشاعر:

وما كان على الهيا والجيا امتدا حيكاً ولكن لقضى الله إذ بيَّنه فيكا
معنى: اغلنكس: تراكم. ومعنى الوهواه: المشفق، وفي ذلك يقول رؤية.

مقتدر الضيعة وهواه الشفق^(٢)

والقرقوس فهو: القاع الأملس الممتد، وفي ذلك ما يقول:

هل يستوي عندك من في عدى وراكب يهوي بقرقوس أملق^(٣)

((ولا يأضم على ذوي الأرحام إلا معتد أو مسلوس، وحاش لله أن يكون ذلك من شيمي، ولا ينخرق عن ذوي الأناصر مَرَسِي)).

الشرح:

(١) البيت لرؤية ديوانه / ١٠٤، وصدرة: ألف شتي ليس بالداعي الحق.

(٢) البيت لرؤية. ديوانه / ١٠٥. وصدرة: فباضة بين العفيف واللبق.

(٣) لم أقف على البيت في ديوان رؤية.

المسلوس فهو: المجنون. قال رؤبة يصف حمار الوحش:
 أحقب كالحليج من طول القلق كأنه إن راح مسلوس الشفق^(١)
 يعني: النظر في التلفت، والأضم فهو: الحقود المكاييد، ومعنى لا يأضم: لا يحقد على
 أقاربه. وفي ذلك يقول الشاعر:
 وجاهل بيدي علينا أضمه
 ومعنى ينخرق فهو: ينقطع، وفي ذلك يقول جدي القاسم بن إبراهيم عليه السلام:
 نسائي المحل بعيد الأنس أسلمه بر الشفيق فحيل الود منخرق^(٢)
 وأما الأناصر فهي: الأرحام، قال أبو طالب بن عبد المطلب لقريش:
 وتحتلبوا حربا عوانا وتقطعوا أناصرنا بعد المودة والقرب^(٣)
 والمرس: الحبال المبرمة. يقول: إني لا أقطع ما أبرم الله سبحانه من مرس الأرحام.
 والمرس أيضا: الرحل الشديد العقدة، الذي لا ينحل ما هو عليه من قوافيه.
 وأنا أقول كما قال حاتم:

وإن الذي بيني وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا
 إذا طلعتوا نجدا بما لا يسرني طلعت لهم فيما يسرهم نجدا^(٤)
 وإني - أكرمك الله - أقمن الناس وأبنتهم بالجميل لمن عرف الله، وحفظ الآباء في
 الأبناء، وإن غاض عنه أذئهم، وفاض إليه تشذرهم، ولتجدي عند فطيع ألفاظهم،

(١) البيت لرؤبة بن العجاج. ديوانه / ١٠٥.

(٢) البيت من قصيدة للإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في مقاتل الطالبين / ٥٥٣ - ٥٥٥، قالها في مرثاة
 أخيه محمد. وانظر مقدمة مجموع القاسم. بتحقيقنا.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

(٤) هذان البيتان مطلعهما من قصيدة للمتنع الكندي، ولم يذكر أحد فيما أعلم أن هذه القصيدة لحاتم.

غير مكافي لهم على شيء من أقوالهم، ولا تارك أبدا لما يجب من برهم، بل مستحصد المسد، غير مفصوم عن الأيد.

الشرح:

يقول: أقمن، أي: أخرى وأولى، وأبن بالجميل، يعني: ألزم وأشد مواظبة عليه. وفي ذلك ما يقول الشاعر:

أَبْن الدار حتى كاد ألا يريم إذا تنادوا بالرحيل^(١)

يريد: لزم، وأما الأذْيُ فهو: ماء البحار. قال الشاعر يصف السفينة:

رفع من حلاله الداري فزل واستزله الأذْي^(٢)

وإنما أراد بقوله: أذيههم، أي: منفعتهم أنما غاضت عنه، ومعنى غاضت: ذهبت. أقامها مقام الماء، قال الله عز وجل: ﴿وَعِضْ الْمَاءَ وَقْضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤]، ومعنى وفاض إليه تشدرهم، يقول: أذاهم وفحشهم.

ومعنى قوله: مستحصد المسد: يريد الحبل الذي بيني وبينهم، قوي لست أنقضه.

ومعنى غير مفصوم: يقول غير مقطوع العرى، يعني: الحبل الذي بينه وبينهم بل مستوثق، والمفصوم فهو: المنفك، قال الله عز وجل: ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

والأيد فهو: القوة، قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧].

((صبور على جمععتهم، مُسْتَحْلٍ فَوْقَ شَرِيهِمْ، وأكون لهم ابن عم صدق يكفهم بزفه، ويجرعهم الأرى بكفه، وإن غططوا عني صديع أنني صنت أكبادهم،

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

بقشيب بنجلتي، وإن داذتني محاصر أشاجعهم، عن أرجاء حياضهم، جأجات بهم إلى عذبة سلسل فرات، غير ثمد ولا سلمة، ينبع صفوها، ويغيض كدرها ((.

الشرح:

يقول: صبور على جمععتهم، عني: على عنفهم وزعزعتهم، قال الشاعر:

كَأَنَّ جُلُودَ النَّمْرِ خِيطَتْ عَلَيْهِمْ إِذَا جَعَجَعُوا بَيْنَ الْإِضَافَةِ وَالْحَبْسِ ^(١)

ومعنى مستحل: مستطيب مرارة فعلهم، شبهه بالشرى، وهو الحنظل، والفوق فهو: التجريع ساعة بعد ساعة، فذكر أنه صبور على هذه المرارة، لا يجزع منها تكروما منه، كما لا يجزع الإنسان من الحلو.

ومعنى قوله: يكتفهم بزفه، يقول: يحوطهم بريشه. ومعنى يجرعهم الأرى بكفه، يقول: يسقيهم العسل بيده، وهو الأرى قال ياسر يرثي ابن أخيه:

وَلَهُ طَعْمَانُ أَرَى وَشَرَى وَكَلَا الطَّعْمِينَ قَدْ ذِيقَ كُلِّ ^(٢)

وأما قوله: غططوا فإن غططوا مزقوا، وهذا فغير منكر في اللغة، وفي حديث سواد بن قارب، إن قوما غططوا كتاب رسول الله عليه السلام.

وأما الصديع فهو: القميص. وفي ذلك يقول بعض شعراء العرب:

وَبَانَ الصَّبِيحُ قَدْ خَلَعَتْ دَجَاهُ لِمَبْصَرِهِ كَمَا خَلَعَ الصَّدِيعُ ^(٣)

يقول: يخلع عنه الليل كما يخلع القميص، وإنما عني قميص الأبهة، وهو القدر والنجدة. والأكتاد فهي: المناكب وما قاربها، قال الشاعر:

(١) البيت من قصيدة لأوس بن حجر. انظر ديوانه. بلفظ:

كَأَنَّ جُلُودَ النَّمْرِ جِيَّتْ عَلَيْهِمْ إِذَا جَعَجَعُوا بَيْنَ الْإِنَاخَةِ وَالْحَبْسِ

(٢) لم أقف على هذا البيت. والبيت هكذا: وكلا الطعمان. وما أثبت اجتهد.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

إننا معشر خلایقنا الصبر إذا السیف جار فی الأکتاد^(١)
 ومعنی قشيب نجدی: فالقشيب هو: الحديد، والنجدة فهو: المعروف والمجد، يقول:
 بنجدته یحفظهم ویحوطهم. قال حسان بن ثابت:
 عرفت دیار زینب بالکثیر کخط الوحي فی الورق القشيب^(٢)

یرید: الورق الجديد.

ومعنی إن ذادته محاصر أشجاعهم، أي: دفعته، وأشجاعهم فهي أصابعهم. ومعنی
 عن أرجاء حياضهم، أي: عن حول حياضهم وجوانبها. قال الله عز وجل: ﴿وَأَلْمَلِكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ [الحاقة: ١٧]، يعني: جوانبها. ومعنی جأجأت بهم إلى عذبة
 سلسل فرات: دعوتهم إلى العذب الغزير من فضلي وإحساني، والعذبة فهي: عين
 الماء الغزيرة.

وقوله: غير ثمد، يقول: غير قليلة الماء ولا كدره، والسلمة فهي: قليلة الماء أيضا.
 ((وأبتدر دونهم الختوف، وألقى دون عقوهم الصفوف، صلة للرحم، وطاعة
 للأعز الأعظم، كصارم الهند، أماط طبعه الهالكي، وأرب حرباه الجنشي، ولا أكون
 أبدا لهم كالأهة المخرضة من يد الهنبل، التي يطوي نفثها، ولا يكلم الرواجب
 انسياها، بل - والله الحمد - الظاهر لهم مني والباطن سواء، ليس بينهما اعتلاج في
 شيء من الأشياء)).

الشرح:

معنی يبتدر دونهم الختوف هو: يسبقهم إليها، ويقيهم بنفسه دونها، والختوف فهو:
 الموت، وكل شيء يخاف ويتقى، ومعنی عقوهم فهو: دارهم وعزمهم، يقول: يلقي
 دونها الصفوف، ويكون كالصارم الهندي، والصارم فهو: السيف، ومعنی أماط

(١) البيت لحسان بن ثابت. انظر ديوانه.

(٢) البيت لحسان بن ثابت. انظر ديوانه.

فهو: أزاح وجلا، وطبعه ما يكون عليه من صداه. والهالكي فهو: الصيقل. قال الكميت بن زيد الأسدي يصف الوحش:

حتوحا كما ابتترك الهالكى على النصل إذ طبع المنصل^(١)

وأرب حرباه، معنى أرب حرباه، يقول: أوثق مسماره، وأحكم ضربه، والحربا فهو: المسمار، والجنشي فهو: الزراد المركب للمسمار.

قال في ذلك لبيد بن ربيعة العامري يصف درعا:

أحكم الجنشي من عورتها كل حربا إذا أكره صل^(٢)

يقول: كل مسمار إذا ضرب صل.

ومعنى قوله: ولا أكون لهم كالأهة المجرضة من يد الهنبل، والأهة فهي: الحية، المجرضة فهي: المفلة التي تغدو من يد الهنبل، يقول: من يد الحاي إذا انفلتت منه. وقوله: يطبي نفثها يريد: لا يمهل سمها ويقتل سريعا.

قال الطرماح بن حكيم الطائي:

ألا ليت إنسا سلكننا الديار إذا قتل الأهه الهنبل^(٣)

يريد بالأهة: الحية، وبالهنبيل: الحاي، ومعنى قوله: لا يتكلم الرواجب انسيابها، يريد بذلك: إني لا أكون لهم على حالين مختلفين، كحال الحية التي إذا مضت وانسابت لم تضر. والرواجب فهي: مفاصل الأصابع. فلم تكلمها، يقول: لم تجرحها من لين مسها، لأن الحية إذا مضت على الشيء فليس تجرحه من لينها،

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) البيت للبدي بن ربيعة بلفظ:

أحكم الجنشي من عورتها كل حرباء إذا أكره صل

انظر ديوانه.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

وإذا نهشت قتلت، فلها حالتان فنهشها يقتل، ومسها لئن لا يضر، فيقول: لا أكون لهم مظهرًا الجميل، ومضمرا للقبیح، ولا أستحل ذلك، بل أكون لهم على حال واحد من البر والحفظ.

((صبور على محن كلامهم، كالطود الذي ينشق عنه الأتي، فلا يرقى إليه البذي، عروف عن مبرم الحجر، وسحيل الغدر، قد شغله ما استجن في جوانحه، من معرفة فرائض ربه، ورتق ما ثغر من شريعة جده، عن ديبب القوارص، ومقارفة القانص، لا يرام - والله المنة - بر الأثام، ولا ^(١) ينقاد للخطل أبدا في خطام، معرفة بفضل الأرحام، وحفظ الإسلام، ورعاية لما أمر به ذو العزة والإكرام، وربا لحق قد سلف قد قاط، وحفظا عن الواعر المغتاظ)) .

الشرح:

معنى الطود فهو: الجبل، والأتي فهو: السيل إذا غشي ركن الجبل انشق عنه ولم يضره، يقول: يزيع عني كلام من يتكلم ولا يضرني، كما ينشق السيل عن الجبل. ومعنى لا يرقى إليه البذي، يقول: لا يناله البذي ولا يطلع إليه، والبذي فهو: ذو الخصومة، والبذاء من الرجال.

قال الكمت في الأتي:

ينشق عن حده الأتي شفت مالي الماثم أنفست ^(٢)

يعني بالأتي: السيل، وهو الذي يجيء إلى البلد من غيرها، فلا يعلم به حتى يغشى، ومعنى عن مبرم الحجر، وسحيل الغدر، يقول: تركت وأعرضت عن مبرم الحجر، وسحيل الغدر. والسحيل فهو: الفرد من الخيوط، والمبرم فهما: الاثنان المفتولان معا. يقول: لا أريد منه ولا أشياء مبرما ولا فردا.

(١) في المخطوط: وإلا.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

ومعنى مقارفة القانص فهو: مكافأته، والقانص فهو: الذي يقتنص العثرات، ويطلب ما يؤدي به في الحالات، كما تقتنص الضبا. ومعنى لا يرام بر الأثام، يقول: لا آلفها ولا أستجيزها. ومعنى الهجر فهو: السب والشتم. قال بشر بن حازم الأسدي:

إذا ما شيت جءك هاجراني ولم يعمل بمن إليك ساق^(١)

((وإني بنعمة الله علي، وإحسانه لدي، لجميع الأقربين، وإخواني المسلمين، ولمن عمدي من وسائط المقرين، بمحمد خاتم النبيين، لكالخليع المحدودب على أهزعه، رضفه ظهاراً، وراشه قوادماً، أو كالغير المضطلع بعبوه، غير متضائل إذا حسرت الحشو عن مجازاة القراسيه، أو كذي الرسل البازل له في الحصى من الأوازم، إذا لم تصرَّ على المهجمة التودية، وعاد مخ المقاحيد ريرا))
الشرح:

فمعنى الوسائط: فهو القليل من كل قوم. وأما الخليع فهو: الصانع للنبل الذي يبريها.

قال الشاعر وهو جرير:

كما ابترك الخليع على القداح^(٢)

والأهزع فهو: السهم.

قال الكميت:

فما أهوى بأهزع من خفير لنا إلا التكمه يتغيغنا^(٣)

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

يقول: أنا لهم كالباري المَقُوم المصلح. ومعنى رصفه ظهرا، أي: كساه عقابا، وراشه مقادير نسر، ومعنى كالعير المضطلع بعبوه، يقول: كالجمل القوي على الأحمال، والعبو فهو: الحمل.

يقول: أحمل أثقالهم، وأصبر على كلامهم، كصبر الجمل على الحمل الثقيل. ومعنى غير متضايل، أي: غير واهن، ولا حقير ولا ضعيف.

وأما قوله: إذا حسرت الحشو. فالحشو: صغار الإبل التي لم تبلغ أثمان الكبار. وانحسارها: إعيائها.

يقول: إنها تصغر عن مبالغ كبار القراسيه، وتضعف من أحمالها.

والقراسيه: فهو البازل الشديد الفحل من الإبل.

وأما قوله: كذي الرسل الباذل له في الحصا من الأوازم. يقول إنه من البذل لهم، والإنصاف في كل حال، من غضب ورضى، كذي الرسل. والرسل فهو: اللين.

يقول: يبذل الرسل في عام الجذب، وهي شبه الحصا التي تحصى الأموال، وتفني بالجويع الناس. والأوازم فهي: السنون المجذبة، ومن ذلك سميت ساحقة الرأس الخاصة، أي: تخص الشعر حتى لا يبقى غير الجلد.

وأما قوله: إذا لم تصرَّ على الهجمة التوديه فهو: العود الذي يُصَرُّ عليه أخلاف الناقة.

يقول: ابذل معروفني لهم عند الجذب، وذهاب المال، وشدة الزمان، ولا أضن^(١) به عنهم.

وأما قوله: عاد مخ المقاحيد، فإن المقاحيد: سمان الإبل. فإذا أجذبت عاد مخها ريرا أي: مثل الدم. وكذلك يكون المخ إذا هزلت الإبل.

قال الشاعر في التوديه، وهو رجا بن هارون الربيعي:

(١) أضن، أي: أبخل.

ومنا الذي حلب اللقاح وأوثقت بيديه تودية لها وضرار^(١)
وقال آخر يصف السنة، ويذكر أنها حصا:

ونحن منتجع المعروف إن سنة حصا لم يبق للمعروف مصطنعا^(٢)

((ومن أصبح وأمسي يقرؤ غمره علينا، لم يشسع عنه حلمنا، وإن فوق مشاقص
حسايفه على فليق حنته، لم يجدي له غرضا فأعضل وأشوا، وأحرز الخصل غيره،
ولن يؤول الرمي إلا إلى الترعة، وإني لنعم الأسى لأنداب المضض، ولو كانت بيني
وبين المناوي شركة لخلت ألا تنقطع، إن جرأ أرخيت، وإن أرخي جررت، وما
أنصفنا القادح، ولا أنصف نفسه إذ خدعها، فكان في فعله كمن دفع ماءه
للسراب، فمات حائما، وأنا أعيد بالله من آمن به واتقاه، من حيرة حناد من
الظلم، وإهمال الدليل المفهم، لترك الواجب، وارتكاب المعاطب، ولست أتيب من
اجهار مالي وعلي، ولو شئت أنطق لنطقت، أو أقول لصدقت، ولكن أكل الأمور
إلى السرحن، لما أومل في ذلك من الفضل والإحسان، من ذي العزة والسلطان،
ولعل وعسى، إن مع العسر يسرا، وللأشياء مناديع لا تخفى، على الناقد من
صيارفة العلم، وأهل الحجى والمعرفة والحلم)).

الشرح:

يقول: يقرؤ غمره. يقول: يجمع وغر الصدور، والغمر فهو: وغر الصدور وحقده
أيضا. قال عمارة بن عقيل التميمي في قوم كان بينه وبينهم حنات:

ندينكم لئيمت قرح صدوركم بحلومنا فتثيرها الأغمار^(٣)

(١) لم أف على هذا البيت.

(٢) لم أف على هذا البيت.

(٣) لم أف على هذا البيت.

وأما قوله: لم يشسع عنه حلمنا، فإنه يقول: لم يعد منه حلمنا، وكريم صفحنا، قال الشاعر:

لا يبعدن منام قوم ضمنت قلنا اليمامة عنها البحر قد شسعا^(١)
يقول: بُعد.

وأما قوله: فوق مشاقص حسايفه على فليق حنته، يقول: ركب سهام عداوته، شبهه بالرجل الذي يرمي، والحسائف فهي: الضغائن.

وأما قوله: على فليق حنته، فالفليق فهي: القوس.

قال الكميت بن يزيد يصف قوسا:

وفليقا مل الشمال من الشوخط تعطى وتمنع التوتيرا^(٢)

وأما قوله: لم يجديني له غرضا، يقول: لم يجديني كما قال في، وأسند إلي. فأعضل، يقول: فأعوج سهمه، ولم يسد ولم يثبت.

وأما قوله: فأشوا، يقول: لم يضربي رمية حين رماني.

وأما قوله: وأحرز الخصل غيره، فإنه يقول: حاز وحوى وفاز بالفضل غير الرامي.

وأما قوله: ولن يؤول الرمي إلا إلى التزعة، فإنه يقول: ليس يرجع الحق إلا إلى معدنه وموضعه، الذي جعله الله له وفيه عز وجل، ولا يرزأه قول القائلين، ولا عيب العائين.

وأما قوله: وإني لنعم الأسى لأنداب المضض، فإنه يقول: أنا نعم الطبيب للجراح الفاسدة، والطبيب في لغة العرب: الأسى.

قال الكميت يمدح بني هاشم:

والأساة الشفاة للداء ذي الريبة والمدركين للأوغام^(١)

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

والأنداب فهي: الجراح. قال الشاعر:

وعثمان بن عبد الله فينا به الأنداب دامية الكلام^(١)

وأما قوله: المضض، فإن المضض: شدة الحرقة .

وأما قوله: لو كانت بيني وبين المناوي شركة لخلت ألا تنقطع، يقول: لو كانت بيني وبين المناوي لي والمحاسد شعرة ما انقطعت، من المداراة والإنصاف، والأخذ بالفضل والجميل، والتغمد والحلم عن كل قبيح.

ومعنى القادح فهو: الذي يؤذي ويطنع بالباطل. ومعنى الحائم فهو: العطشان. قال الشاعر:

وإني وإياكن كالحائم الذي به من لظا نفح السموم ظليل^(٢)

وأما قوله: إهمال الدليل المفهم، فإنه يقول: أنا أعيد بالله، وأوليائه المتقين لله، من أن يدخل قلوبهم شك أو لبسة، وأن يتركوا الدليل الداعي إلى الله جل ثناؤه فيهلكوا عند الله بلا حجة، والإهمال: الترك للشيء.

قال الكمي يمدح بني هاشم:

لا يصدرون الأمور مبهلة ولا يضيعون درّ ما حلبوا^(٣)

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

(٤) من قصيدة مطلعها:

أني ومن أين أبك الطرب من حيث لا صبوة ولا ريب

وأما قوله: أَتَيْبٌ، فإنه يقول: لا أستحييا أن أقول الحق لي وعلي، فإن الحق أنجا عند الله عز وجل، وأحسن عند الناس، وصاحب الحق مُذِلُّ بالقوة والقهر لمن ناواه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].
قال الكمي:

فصرت عم الفتاة تَيْبُ الكاعب من رؤيتي وَأَيْبُ^(١)

يقول: تستحيي مني وأستحيي منها، وهو الإتياب.

والإجهار: الاظهار. وأما المناديح فهي: المذاهب الفسيحة المتسعة.

((وقد أثم بخالقه، وتعرض لمعصيته، من نفث لسانه في لحوم المسلمين الغافلين، كما نفشت السوام في خمائل الوسمي ذي الأكمام، وإن من يحدوني على الأعراض، ويشلني على القطيعة كما تشل الربال بالسملق، وديقة القيظ، يحجيني ألا أبحه ولا أفخمه، ولكن ناصر لي على ذلك، وتمنعي منه الراقبة للرحمن، والطلب للفوز بالجنان، مع العروق المتغلغلة في ثرى النجدة، وإن لم تزل التآد الباهظة، تطراً علي محنها ظلماً وعدواناً، بعد الهادي إلى الحق صلوات الله عليه، عققاً وحيالاً من كل أوب، فكَلِمَ أَدْمُلُهُ، ووهي أرثقه، وأودُّ أنقفه، وأمرُّ أحاوله، لا تَصْرُمُ له، ففيم تكتب إلي في ذلك؟! وأنت به عارف! وعليه بالصحة واقف! قد فَحَصْتَهُ لك الدهور، وأوقفتك على تصاريفه الأمور، وأنا بالأمر عبا على الساسة الحكماء من التكات^(٢)، والتعود في المغد من ذي القرحة والأكس والأروق، فكل ذلك عند أهل المعرفة أشهر من الفرس الأبلق. وأنا أقول كما قال يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنِّي وَحَزَنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

الشرح:

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) قال في هامش المخطوط في غيره: عباد السامة أحكم من التكات.

أما قوله: نفش لسانه في لحوم الغافلين. فإنه يعني: أنه بسط لسانه في أعراض الناس وهم في غفلة عنه، وهو مشتق من قول الله عز وجل: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ [الأنبياء: ٧٨]، ومنه يقول القائل: فلان راتع في لحوم الناس. والراتع: الأكل، ومنه حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لرجلين من أصحابه: «لو أصبتما من هذه الجيفة»، وهذا غير مستنكر في اللغة، ولو لا خوف التطويل وملاحة القاري، لأثبتنا من الشواهد على هذا ما يطول به الشرح.

وأما السوام فهي: جماعة الأنعام السائمة.

وأما قوله: خمائل الوسمي، فإن الخمائل رياض الشجر والنبات، الذي ترعاه العرب سوائها، يشبه بخمائل القطائف، وإنما اشتق منها، قال الشاعر:

ترعى حدائق من خمائل أزهرت ونأت مطالبها عن الرواد^(١)

والرواد فهم: الأعداء يرسلهم الحي ليرتادوا لهم المراعي، من ذلك ما تقول العرب: (الرائد لا يكذب أهله)، والوسمي يكون مطرا في أول الشتاء، والأكمام فهي: أكمام الشجر التي ذكر الله جل ثناؤه في كتابه إذ يقول: ﴿وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [نصت: ٤٧].

وأما قوله: يحدوني، فإنه يقول: يسوقني ويشلني، أي: يطردني كطرد الربال وهو النعام. قال الكميت:

فألحقنا روافضهم يُبْصِرُ حفاة كالربال وناعلينا^(٢)

وأما السملق فهو: القاع الأفيح لا يخفى على أحد، والوديقة فإنها عند العرب: شدة الحر القاتل في القيظ، لا يخفى على أحد من أهل اللسان العربي.

قال الشاعر في الوديقة:

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

وفيفا مرت يلفح الوجه حرُّها إذا ما تغشاه اتقاد الودائق^(١)
 وأما قوله: يحجيني ألا أبجحه ولا أفخمه، فإنه يقول: لَحَرِيٌّ، والحري فهو: الخليق،
 تقول العرب: إني لخليق ألا أكلم فلانا، ولحري ألا أزوره، ولحجني كل ذلك
 واحد.

وأما قوله: لا أبجحه، فإن التبجح ضرب من المديح، وقد قال أمير المؤمنين علي بن
 أبي طالب صلوات الله عليه في وصيته لمالك بن الحارث الأشتر النخعي: «ولا
 يبجحك في وجهك». يقول: لا يمدحك في وجهك. وقد قال الشاعر:

فرحت ومثلي بالذي كان يفرح ويظهر للرحمن شكرا ويبجح^(٢)
 وأفخمه أي: أعظمه.

وأما قوله: العروق المغلغة، فإنه يقول: الضاربة في أسافل الثرى، الذهابة في قرار
 الماء، لكرمها وطيب عنصرها. قال الشاعر يمدح رجلا:

فقدُ كرم الأصل الذي أنت فرعه وصادف سرا عرقه المتغلغل^(٣)
 وأما النجدة فهي: النجدة والشرف. قال محمد بن منادر من تميم:

أنا صبايتها وفتاها وابن نجدات البلد^(٤)

وأما قوله: النَّادِ الباهظة، فالنَّادِ في لغة العرب: الداهية الجليلة، والباهظة فهي:
 الفادحة. قال الشاعر في النَّادِ:

رماك الله يا حجر بن عمرو بمزعجة تصبحكم نَادِ^(١)

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) لم أقف على هذا البيت.

(٤) لم أقف على هذا البيت.

وقوله: نُطْرأ علي محنها ظلما وعدوانا. فتطراً تغشى وتلم وهو الطاري، يقول: إن الحن نزلت به بعد الهادي عليه السلام.

وأما قوله: عققا وحبالا، فإن العرب تسمي الأنثى من الخيل: عقوقا، وكذلك الإناث من الحمير الوحشية والأنسية. والخيال فهي: التي ليس بها نتاج، قال الشاعر يمدح رجلا كان يعرف أبا الخيل:

فقد كانت تصان به وتسمو بها عققا ويرحلها حبالا^(١)

وأما قوله: من كل أوب، أي: من كل جهة.

قال الكميت يرثي الحسين بن علي عليه السلام في بعض قصائده الهاشميات:

إذا شرعت فيه الأسنة كثرت عواتهم من كل أوب^(٢)

وقال: وأما قوله: فَكَلَّمْ أدمله، ووهي أرتقه، أي: جرح أداويه، ووهي أرتقه، وأوْدُ أَثَقُّهُ، أي: أَقْوَمُهُ.

وأما قوله: التكات والتعود، فإن التكات في لغة العرب: المشايخ، والتعود: الفتيان.

قال الكميت يمدح بني أمية:

تكاثم فوق الأسرة والتعود على المنابر^(٣)

والعرب تقول للشيخ: تك.

(١) لم أقف على هذا البيت.

(٢) لم أقف على هذا البيت.

(٣) من قصيدة مطلعها:

ألا هل عم في رأيه متأمل وهل مدبر بعد الإساءة مقبل

(٤) لم أقف على هذا البيت.

وأما قوله: المغذ من ذي القرحة، والأكس من الأروق. والمغذ فهو: الفرس المعدود الذي يخلق ما بين عينيه، ويدمى حتى يخرج الشعر أبيض، وقد يفعل ذلك كثير من الناس إذا كان الفرس ليس بأغر، فعل ذلك حتى يكون بين عينيه شبه العُرَّة.

قال محمد بن منادر يفتخر:

وأنا النامور من أنفسها فأنا القرحة منها لا المغذ ^(١)

وأما قوله: الأكس، فإنه المكسر الأسنان، والأروق الطويل الأسنان.

قال أبو المستهل الأسدي:

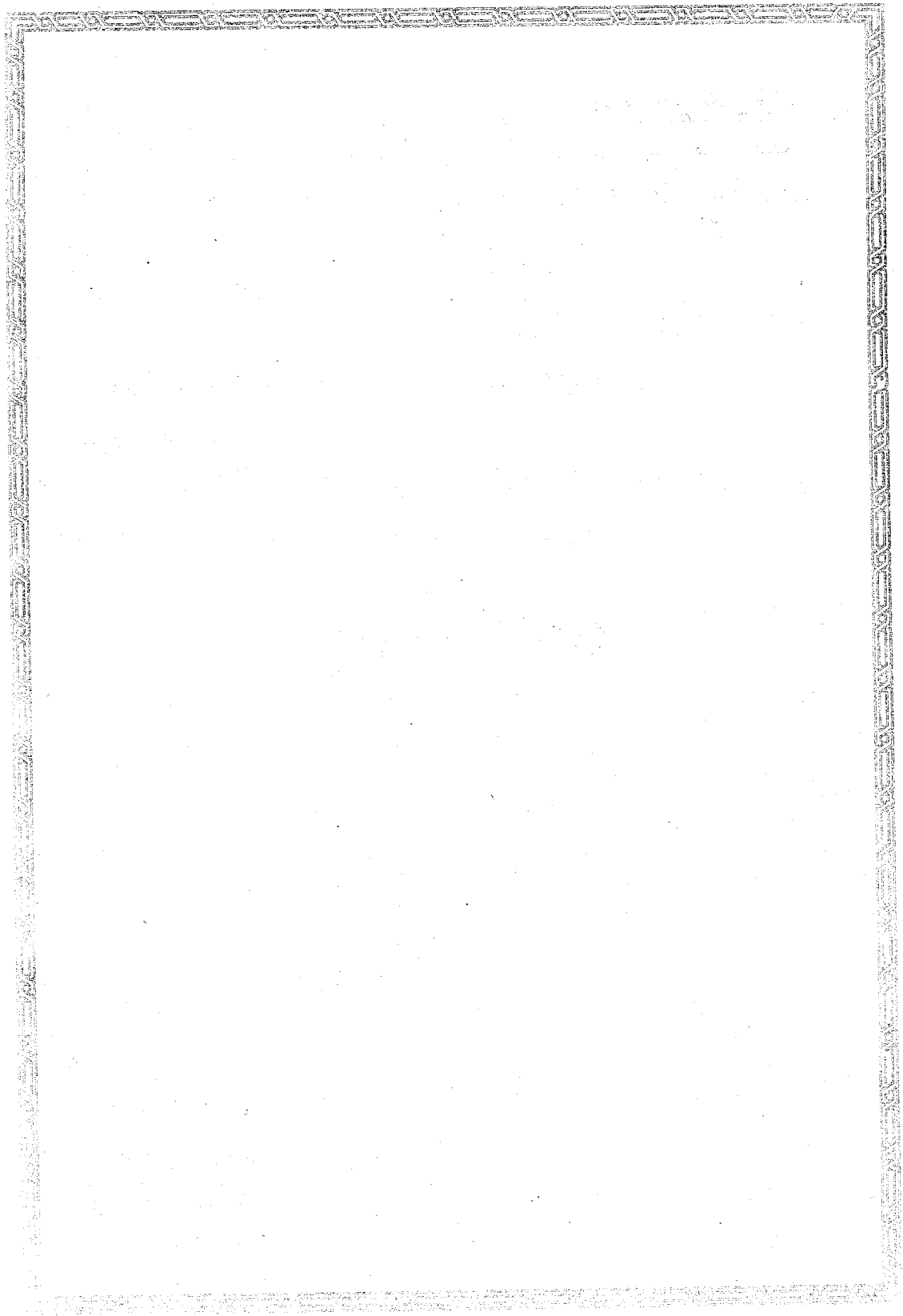
وصار كالأروق الأكس من جدة والكرب بعده الكرب ^(٢)

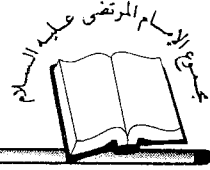
تم والحمد لله وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.



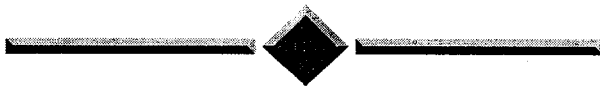
(١) لم أقف على هذا البيت.

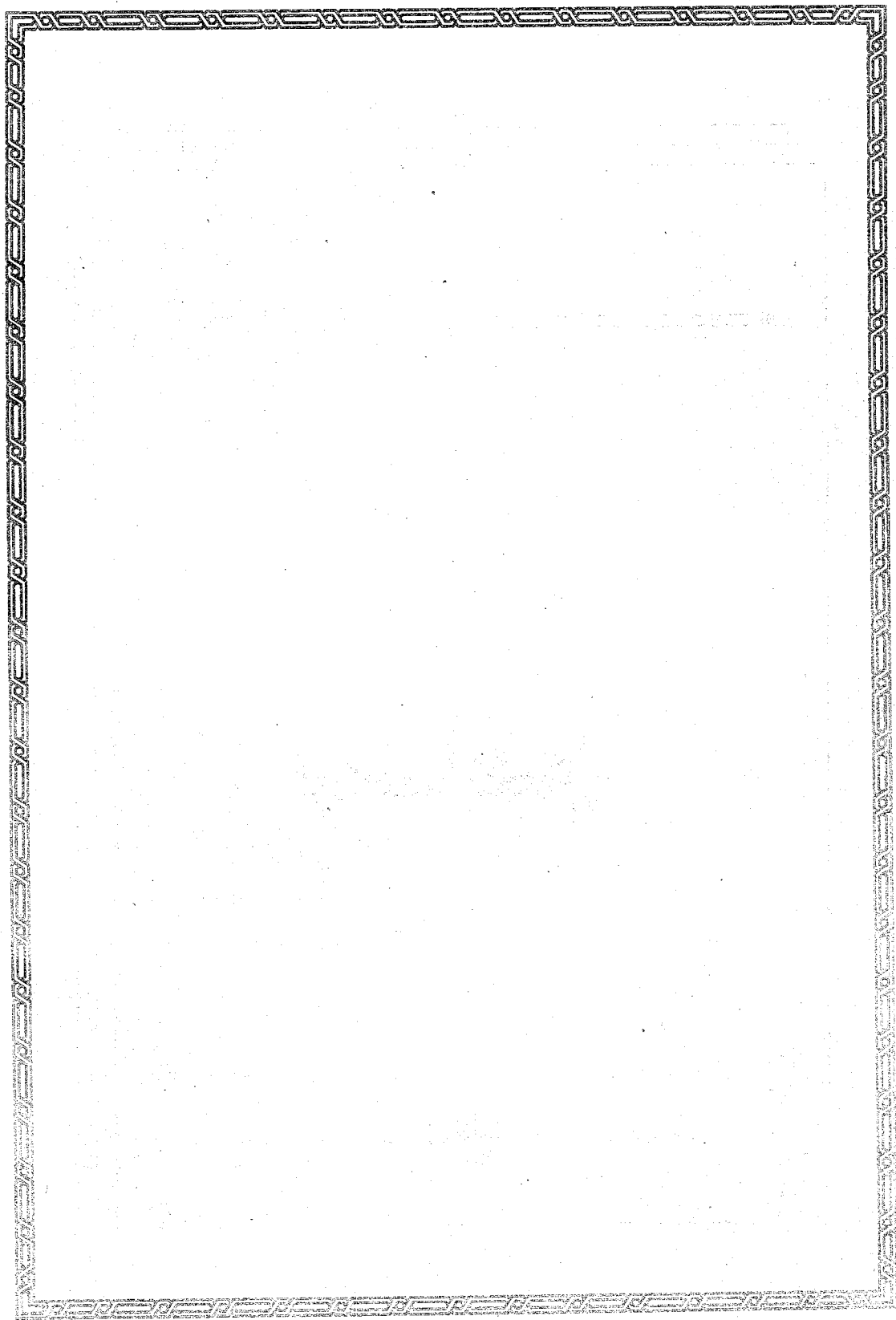
(٢) لم أقف على هذا البيت.





المنهاجي





المناهي

بسم الله الرحمن الرحيم

روى لي أبي الهادي إلى الحق عن آبائه عن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه:

١- فهمى عن الصيام يوم الفطر^(١).

٢- وفهمى عن الصيام يوم النحر، وأيام التشريق^(٢).

٣- وفهمى عن الصلاة في ثلاثة أوقات على ميت، أو نافلة:

عند طلوع الشمس حتى تعلو وتبيض، وعند قيام كل شيء في ظله، وعند اعتدال الشمس في السماء حتى تزول، وعند اصفرار الشمس حتى يدخل الليل^(٣).

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم بإسناد صحيح أنه:

(١) أخرجه البخاري برقم (١٨٥٥)، ومسلم برقم (١٩٢٣)، وأبو داود برقم (٢٠٦٤)، وأحمد برقم (١٠٢٢٣)، ومالك برقم (٥٨٩)، والدارمي برقم (١٦٨٨).

(٢) أخرجه البخاري برقم (١٨٥٥)، ومسلم برقم (١٩٢٣)، والترمذي برقم (٦٩٨)، وأبو داود برقم (٢٠٦٤)، وابن ماجه برقم (١٧١١)، وأحمد برقم (١٠٩٢١)، وبرقم (١٦١٠٧)، والدارمي برقم (١٦٨٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (١٣٧٣) بلفظ: عَنْ مُوسَى بْنِ عَلِيٍّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ الْجُهَنِيَّ يَقُولُ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْهَانَا أَنْ نُصَلِّيَ فِيهِنَّ أَوْ أَنْ نَقْبُرَ فِيهِنَّ مَوْتَانَا حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بَارِغَةً حَتَّى تَرْتَفِعَ وَحِينَ يَقُومُ قَائِمُ الظُّهَيْرَةِ حَتَّى تَمِيلَ الشَّمْسُ وَحِينَ تَصِفُ الشَّمْسُ لِلْغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ. والنسائي برقم (٥٥٧)، والترمذي برقم (٩٥١)، وأحمد برقم (١٦٧٣٧)، والدارمي برقم (١٣٩٦).

٤- وَهِيَ عَنْ الرُّكُوبِ عَلَى الثُّمُورِ ^(١)، وَعَنِ الصَّلَاةِ فِي الْحَرِيرِ
الْمُخَضِّ، وَقَالَ: الثُّمُورُ مِنْ مَتَاعِ الْكُفَّارِ، وَزِينَةٌ مِنْ لَا خَلَاقَ لَهُ ^(٢).

٥- وَهِيَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ: التَّخْتُمِ بِالذَّهَبِ
لِلرِّجَالِ ^(٣).

٦- وَهِيَ عَنْ اللَّعِبِ بِالْحَمَّامِ ^(٤)، وَرَوَى أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَلْعَبُ
بِهِ فَقَالَ: شَيْطَانٌ يَتَّبِعُ شَيْطَانًا ^(٥).

٧- وَهِيَ عَنْ جَرِّ الْإِزَارِ ^(٦).

(١) يعني: الركوب فوق جلود الثمور، كما جاء في روايات أخرى ففي مسند أحمد ٩٩/٤ أتعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن ركوب جلود الثمور.

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٦٤٥)، والنسائي برقم (٥٠٠٤)، وأحمد برقم (١٦٥٨٢)، والدارمي برقم (٢٥٣٤).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٣٨٧٦)، والترمذي برقم (١٦٥٩)، والنسائي برقم (١٠٣٠)، وأبو داود برقم (٣٥٢٥)، وابن ماجه برقم (٣٥٩٢)، وأحمد برقم (٦٧٢)، ومالك برقم (١٦٢).

(٤) اللعب بالحمام يكون بالإغراء بينها، أو بملاعبتها بعد تعويقها بقص جناحها.

(٥) أخرجه أبو داود برقم (٤٢٨٩) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَجُلًا يَتَّبِعُ حَمَامَةً فَقَالَ شَيْطَانٌ يَتَّبِعُ شَيْطَانَةً.

وأخرجه أيضا أحمد برقم (٢٥٧١) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَقَدْ نَصَبُوا حَمَامَةً يَرْمُونَهَا فَقَالَ لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا.

وأخرجه الترمذي برقم (٣٧٥٤)، وأبو داود أيضا برقم (٤٢٨٩)، وأحمد برقم (٢٣٤٥)، وبرقم (٨١٨٧)، وابن ماجه برقم (٣٧٥٥).

(٦) أخرجه النسائي برقم (٥٠٠١) بلفظ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ عَشْرَ حِصَالٍ الصُّفْرَةَ يَعْنِي الْخُلُقَ وَتَغْيِيرَ الشَّيْبِ وَحَرَّ الْإِزَارِ وَالتَّخْتُمَ بِالذَّهَبِ وَالضَّرْبَ بِالْكَفَّابِ وَالتَّبَرُّجَ

٨- وهى عن أكل ما قتل البندق ^(١).

٩- وهى أن يفترش الرجل - إذا صلى - ذراعية افتراش السبع ^(٢).

١٠- وهى أن ينقُر الرجل في صلاته نقر الديك ^(٣).

بِالرَّيَّةِ لغير محلّها والرُّمَى إلّا بِالْمَعْوَذَاتِ وَتَعْلِيْقِ التَّمَانِيْمِ وَعَزْلِ الْمَاءِ بِغَيْرِ مَحَلِّهِ وَإِفْسَادِ الصَّبِيِّ غَيْرَ مُحَرَّمِهِ. وأخرجه أيضا أبو داود برقم (٣٦٨٦)، وأحمد برقم (٣٤٢٣).

(١) أخرجه أحمد برقم (١٨٥٨١) بلفظ: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أُرْسِلَتْ كَلْبُكَ وَسَمِيتَ فَخَالَطَ كِلَابًا أُخْرَى فَأَخَذْتُهُ جَمِيعًا فَلَا تَأْكُلْ فَإِنَّكَ لَا تَذَرِي أَيْهُمَا أَخَذَهُ وَإِذَا رَمَيْتَ فَسَمِيتَ فَخَزَفْتَ فَكُلْ فَإِنْ لَمْ يَخْزُقْ فَلَا تَأْكُلْ وَلَا تَأْكُلْ مِنَ الْمِعْرَاضِ إلّا مَا ذَكَيْتَ وَلَا تَأْكُلْ مِنَ الْبُنْدُقَةِ إلّا مَا ذَكَيْتَ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٧٦٨) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ بِـ (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وَكَانَ إِذَا رَكَعَ لَمْ يُشْخِصْ رَأْسَهُ وَلَمْ يُصَوِّبْهُ وَلَكِنْ بَسِنَ ذَلِكَ وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ قَائِمًا وَكَانَ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السَّجْدَةِ لَمْ يَسْجُدْ حَتَّى يَسْتَوِيَ جَالِسًا وَكَانَ يَقُولُ فِي كُلِّ رَكَعَتَيْنِ التَّحِيَّةَ وَكَانَ يَفْرُشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى وَيَنْصِبُ رِجْلَهُ الْيُمْنَى وَكَانَ يَنْتَهَى عَنْ غُفْبَةِ الشَّيْطَانِ وَيَنْتَهَى أَنْ يَفْتَرِشَ الرَّجُلُ ذِرَاعِيهِ افْتِرَاشَ السَّبْعِ وَكَانَ يَخْتِمُ الصَّلَاةَ بِالتَّسْلِيمِ وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِ عُثَيْمٍ عَنْ أَبِي خَالِدٍ وَكَانَ يَنْتَهَى عَنْ عَقَبِ الشَّيْطَانِ.

وأخرجه أيضا أبو داود برقم (٦٦٥)، وأحمد برقم (٢٢٩٠٣).

(٣) قال المنذري: أخرجه أبو يعلى، وابن أبي شيبة. الترغيب والترهيب ١/٣٧٠.

وأخرجه أحمد برقم (٧٢٧٨) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ أَوْصَانِي بِالْوُثْرِ قَبْلَ التَّوَمِّ وَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَرَكَعَتَيِ الضُّحَى قَالَ وَنَهَانِي عَنِ الْإِلْتِفَاتِ وَإِقْعَاءِ كِفَاعِ الْقِرْدِ وَنَقْرِ كَنْفَرِ الدِّيكِ.

وأخرجه النسائي أيضا برقم (١١٠٠) بلفظ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ ثَلَاثٍ عَنْ ثَلَاثٍ الْغُرَابِ وَافْتِرَاشِ السَّبْعِ وَأَنْ يُوطَّنَ الرَّجُلُ الْمَقَامَ لِلصَّلَاةِ كَمَا يُوطَّنُ الْبَعِيرُ.

١١- وهي أن يتَلَفَّت في صلاته تلفت الثعلب ^(١).

١٢- وهي عن الصلاة خَلَفَ النائم ^(٢).

١٣- وهي أن يكتم الرجل ما علمه الله إذا أتاه من يريده ومن يستفع به، وقال: (من كتم أخاه نصيحة أو فضلا يطلبه إليه لينتفع به حرمه الله يوم القيامة ما يرجو)، ثم قرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧] الآية.

١٤- وهي صلى الله عليه وآله وسلم عن كتمان العلم إذا طُلب، وقال: (من كتم علما سئل عنه جاء يوم القيامة مغلولاً) ^(٣).

وأخرجه أيضا أبو داود برقم (٧٣١)، وابن ماجه برقم (١٤١٩)، وأحمد برقم (١٤٩٨٤)، والدارمي برقم (١٢٨٩).

(١) أخرجه برقم (٧٧٥٨) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ وَنَهَانِي عَنْ ثَلَاثٍ أَمَرَنِي بِرُكْعَتِي الضُّحَى كُلَّ يَوْمٍ وَالْوُثْرَ قَبْلَ النَّوْمِ وَصِيَامَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ وَنَهَانِي عَنْ نَقْرَةِ كَنْفَرَةِ الدِّيكِ وَإِقْعَاءِ الْكَلْبِ وَالتَّفَاتِ الثَّعْلِبِ.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٥٩٥) بلفظ: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ قَالَ قُلْتُ لَهُ يَغْنِي لِعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَا تُصَلُّوا خَلْفَ النَّائِمِ وَلَا الْمُتَحَدِّثِ. وابن ماجه برقم (٩٤٩).

(٣) أخرجه أبو طالب في أماليه / ١٠٩، والمرشد بالله في أماليه ٤٦/١، ٥١، ٥٤، ٥٧.

وأخرجه الترمذي برقم (٢٥٧٣)، وأبو داود برقم (٣١٧٣)، وابن ماجه برقم (٢٥٧)، وأحمد برقم (٧٢٥٥)، وابن حبان في الإحسان ٢٩٧/١ (٩٦)، وابن أبي شيبه ٥٥/٩، والطبراني في الصغير ٦/١، والحاكم ١/١٠١.

٢٥- وهى عن الأذان بالأجرة، وروى عنه صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (ليس منا من فعل ذلك) ^(١).

١٦- وهى عن تعليم القرآن بالأجرة ^(٢).

١٧- وهى أن تجعل المساجد طرقا.

١٨- وهى أن يُنشد الشعر في المسجد، وقال: من فعل ذلك فقولوا له: رض الله فاك ^(٣).

١٩- وهى عن البيع والشراء في المسجد، وقال: (من فعل ذلك فقولوا له: لا أربح الله تجارتك) ^(٤).

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٣) بلفظ: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ قَالَ إِنْ مِنْ آخِرِ مَا عَهَدَ إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ اتَّخِذَ مُؤَدِّئًا لَا يَأْخُذُ عَلَى أَذَانِهِ أَجْرًا.

وأخرجه النسائي برقم (٦٦٦)، وأبو داود برقم (٤٤٧)، وابن ماجه برقم (٧٠٦)، وأحمد برقم (١٥٦٧٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٢١٤٨)، وأحمد برقم (٢١٦٣٢)، بلفظ: عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ عَلَّمْتُ نَاسًا مِنْ أَهْلِ الصُّفَةِ الْقُرْآنَ وَالْكِتَابَةَ فَأَهْدَى إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَوْسًا فَقُلْتُ لَيْسَتْ بِمَالٍ وَأَرْمِي عَنْهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَسَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهَا فَقَالَ إِنْ سَرَّكَ أَنْ تُطَوَّقَ بِهَا طَوَّقًا مِنْ نَارٍ فَأَقْبِلْهَا.

وأخرج أحمد برقم (١٥١١٧) بلفظ: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شَيْبَةَ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ إِذَا أَتَيْتَ فُسْطَاطِي فَقُمْ فَأَخْبِرْ مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ اقْرَءُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ وَلَا تَحْجُوا عَنْهُ وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ وَلَا تَسْتَكْبِرُوا بِهِ حَدَّثَنَا عَفَّانُ حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ خَلْفٍ أَبُو خَلْفٍ وَكَانَ يُعَدُّ مِنَ الْبُذَلَاءِ. وَذَكَرَ حَدِيثًا آخَرَ نَحْوَهُ.

(٣) أخرجه النسائي برقم (٧٠٨) بلفظ: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ تَنَاشُدِ الْأَشْعَارِ فِي الْمَسْجِدِ.

وأخرجه الترمذي برقم (٢٩٦)، وابن ماجه برقم (٧٤١)، وأبو داود برقم (٩١١).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (١٢٤٢) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا رَأَيْتُمْ

- ٢٠- ونهى عن النخامة في المسجد.
- ٢١- ونهى أن يكون في قبلة المسجد حَمَامٌ أو حُشٌّ^(١) أو مقبرة.
- ٢٢- ونهى عن الصلاة بين المقابر.
- ٢٣- ونهى عن الصلاة في الحمام^(٢).
- ٢٤- ونهى عن الإقعاء^(٣) في الصلاة كإقعاء الكلب.
- ٢٥- ونهى أن يجعل الرجل يده على يده على صدره في الصلاة، وقال: (ذلك فعل اليهود وأمر أن يرسلهما)^(٤).

مَنْ يَسِيعُ أَوْ يَتَنَاقُ فِي الْمَسْجِدِ فَقُولُوا لَا أَرْبَحَ اللَّهُ تِجَارَتَكَ وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ فِيهِ ضَالَّةً فَقُولُوا لَا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْكَ قَالَ أَمْرُ عِيسَى حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ وَالْعَمَلُ عَلَى هَذَا عِنْدَ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ كَرِهُوا الْبَيْعَ وَالشِّرَاءَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَوْلُ أَحْمَدَ وَإِسْحَاقَ وَقَدْ رَخَّصَ فِيهِ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ فِي الْمَسْجِدِ. والدارمي برقم (١٢٦٥).

(١) الحش بفتح الحاء وضمها: البستان، وهو أيضا المخرج، لأنهم كانوا يقضون حوائجهم في البساتين.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٩١)، وبرقم (٣١٦) بلفظ: عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى أَنْ يُصَلَّى فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ فِي الْمَرْبَلَةِ وَالْمَجْزَرَةِ وَالْمَقْبَرَةِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَفِي الْحَمَامِ وَفِي مَعَاطِنِ الْإِبِلِ وَفَوْقَ ظَهْرِ بَيْتِ اللَّهِ.

أخرجه أبو داود برقم (٤١٥) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ مُوسَى فِي حَدِيثِهِ فِيمَا يَحْسَبُ عَمَرُو إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ الْأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِدٌ إِلَّا الْحَمَامَ وَالْمَقْبَرَةَ. وابن ماجه برقم (٧٣٧)، والدارمي برقم (١٣٥٤).

(٣) الإقعاء: أن يلمس الرجل إلبته بالأرض وينصب ساقيه وفخذه، ويضع يديه على الأرض كما يفعل الكلب.

(٤) لهذه الرواية شواهد كثيرة، انظر عنها كتاب (توضيح المقال في الضم والإرسال). للعلامة محمد يحيى عزان.

٢٦- ونهى عن الضحك في الصلاة، وقال: (من ضحك في صلاته أعاد).

٢٧- ونهى أن يصلي الرجل في ثوب غير طاهر.

٢٨- ونهى أن يصلي الرجل متوكيا.

٢٩- ونهى الرجل إذا رفع رأسه من الركوع أن يسجد حتى يستوي قائما^(١)، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (من صلى صلاة لا يقرأ فيها بفتحة الكتاب فهي خداج)^(٢).

٣٠- ونهى أن يسافر المقيم يوم الجمعة إذا حضرت الصلاة حتى يُجَمَّع.

٣١- ونهى أن يستقبل الرجل الرِّيح وهو يبول^(٣).

٣٢- ونهى أن يبول الرجل عريانا أو قائما^(٤).

(١) أخرجه مسلم برقم (٧٦٨)، وأبو داود برقم (٦٦٥)، وابن ماجه برقم (٨٨٣)، وأحمد برقم (٢٢٩٠٣).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٥٩٨)، والترمذي برقم (٢٨٧٧)، والنسائي برقم (٨٩٩)، وأبو داود برقم (٦٩٨)، وابن ماجه برقم (٨٢٩)، وأحمد برقم (٦٩٩٠)، ومالك برقم (١٧٤).

(٣) رواه في الشفا للأمبر الحسين للعامه محمد مجي عزان. وروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (أنه كان ينخم الرّيح إذا أراد أن يبول). أي: ينظر من أين يجري. قال في التلخيص: قوله: روي أنه كان ينخم الرّيح. أي: ينظر أين مجراها، لئلا ترد عليه البول. لم أجده من فعله صلى الله عليه وآله وسلم وهو من قوله صلى الله عليه وآله وسلم عند أب يحاتم في العلل من حديث سراقه بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: (إذا أتى أحدكم الغائط فلا تستقبلوا القبلة واتقوا مجالس اللعن: الظل والماء وقارعة الطريق، واستخمروا الرّيح، واستبتوا على سوقكم، وأعدوا النبل).

وحكى عن أبيه أن الأصح وقفه. قال: وفي الباب عن الحضرمي رفعه: إذا بال أحدكم فلا يستقبل الرّيح ببوله فترده عليه. رواه ابن قانع. البحر الزخار ٤٤/٢.

أقول: والنبل: حجارة الاستنجاء.

٣٣- وهى أن يُيال على قبر أو بين المقابر.

٣٤- وهى عن الغائط على الطريق^(١).

٣٥- وهى أن يقضي الرجل حاجته من الغائط والناس ينظرون^(٢).

(١) أخرجه النسائي برقم (٢٩)، والترمذي برقم (١٢)، وابن ماجه برقم (٣٠٣) بلفظ: عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ مَنْ حَدَّثَكُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَالَ قَائِمًا فَلَا تُصَدِّقُوهُ مَا كَانَ يُبُولُ إِلَّا جَالِسًا.

وأخرج أبو داود برقم (١٤)، وأحمد برقم (١٠٨٨٤) بلفظ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنَا ابْنُ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ عَنْ هِلَالِ بْنِ عِيَّاضٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو سَعِيدٍ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَا يَخْرُجُ الرَّجُلَانِ يَضْرِبَانِ الْغَائِطَ كَاشِفَيْنِ عَنْ عَوْرَتَيْهِمَا يَتَحَدَّثَانِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمُقَّتْ عَلَى ذَلِكَ قَالَ أَمْعُو دَاوَمِدْ هَذَا لَمْ يُسْنِدْهُ إِلَّا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ.

(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٩٧)، وأبو داود برقم (٢٣)، وأحمد برقم (٨٤٩٨) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اتَّقُوا اللَّعَّانِينَ قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ.

وأبو داود برقم (٣٢)، والدارمي برقم (٦٦٠)، وابن ماجه برقم (٣٣٢)، وأحمد برقم (٨٤٨٣) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ مَنْ اِكْتَحَلَ فَلْيُوتِرْ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ وَمَنْ اسْتَحْجَرَ فَلْيُوتِرْ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ وَمَنْ أَكَلَ فَمَا تَحَلَّلَ فَلْيَلْفُظْ وَمَا لَكَ بِلِسَانِهِ فَلْيَبْتَلَعْ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ وَمَنْ أَتَى الْغَائِطَ فَلْيَسْتِرْ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَّا أَنْ يَجْمَعَ كَثِيرًا مِنْ رَمْلِ فَلْيَسْتَدْبِرْهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَلْعَبُ بِمَقَاعِدِ بَنِي آدَمَ مَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَحْسَنَ وَمَنْ لَا فَلَا حَرَجَ.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٠٩)، ومسلم برقم (٤٣٩)، والترمذي برقم (٦٥) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أَوْ مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إِنْسَانَيْنِ يُعَذِّبَانِ

أراد صلى الله عليه وآله وسلم أن لا يبول أحد أو يتغوط والناس ينظرونه، وقال: (استتروا واستحيوا فإن الستر والحياء من الإيمان).

٣٦- وهى صلى الله عليه وآله وسلم أن يستنجي الرجل يمينه^(١).

٣٧- وهى أن يدخل الرجل يده في الإناء إذا قام من نومه حتى يغسلها^(٢).

٣٨- وهى أن ينام الرجل إلى جنب الرجل ليس بينهما ثوب، وكذلك المرأة إذا نامت إلى جنب المرأة^(٣).

فِي قُبُورِهِمَا فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعَذِّبَانِ وَمَا يُعَذِّبَانِ فِي كَبِيرٍ ثُمَّ قَالَ بَلَى كَانَ أَحَدُهُمَا لَمْ يَسْتَتِرْ مِنْ بَوْلِهِ وَكَانَ الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعَا بِحَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ عَلَى كُلِّ قَبْرِ مِنْهُمَا كِسْرَةً فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا قَالَ لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عَنْهُمَا مَا لَمْ تَبْسُ أَوْ إِلَى أَنْ تَبْسَا . وأخرجه مسلم برقم (٥١٧)، بلفظ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ أَرَدْتُ أَنْ أَرُدَّ فَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسْرَأُ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُحَدِّثُ بِهِ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِحَاجَتِهِ هَذِهِ أَوْ حَائِشُ تَحُلٍ قَالَ ابْنُ أَسْمَاءَ فِي حَدِيثِهِ يَغْنِي حَائِطُ تَحُلٍ .

وأبو داود برقم (٢١٨٦)، وابن ماجه برقم (٣٣٤)، وأحمد برقم (١٦٥٤)، والدارمي برقم (٦٦١)،

(١) أخرجه البخاري برقم (١٥٠)، ومسلم برقم (٣٩٢)، والترمذي برقم (١٥)، والنسائي برقم (٢٤)،

وأبو داود برقم (٢٩)، وابن ماجه برقم (٣٠٦)، وأحمد برقم (٢١٥٢٢)، والدارمي برقم (٦٧١).

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِذَا اسْتَقْبَلَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ بَاتَتْ. أخرجه البخاري برقم (١٥٧)، ومسلم برقم (٤١٦)، والترمذي برقم (٢٤)، والنسائي برقم (١٦١)، وأبو داود برقم (٩٤)، وابن ماجه برقم (٣٨٧)، وأحمد برقم (٦٩٨)، ومالك برقم (٣٣)، والدارمي برقم (٧٥٩).

(٣) أخرجه النسائي برقم (٥٠٠٤)، والدارمي برقم (٢٥٣٤).

- ٣٩- وهى أن تفاكه المرأة بمحدث زوجها^(١).
 ٤٠- وهى أن يُحدّث الرجل الرجلَ بمحدث أهله.
 ٤١- وهى أن تحدث المرأة المرأة بما تخلو به من زوجها.
 ٤٢- وهى أن تقول المرأة غشيني زوجي كذا وكذا مرة.
 ٤٣- وهى الرجل عن مثل ذلك، وقال: (من فعل ذلك فمَثَله كمثل من غشي امرأته بين ظهرائي الناس وهم ينظرون إليه)^(٢)

وأخرجه أحمد برقم (١٦٥٨٢) بلفظ: عَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ يَقُولُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ عَشْرَةَ الْوَشْرِ وَالْوَشْمِ وَالتَّنْفِ وَمُكَامَعَةَ الرَّجُلِ الرَّجُلَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا ثَوْبٌ وَمُكَامَعَةَ الْمَرْأَةِ الْمَرْأَةَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا ثَوْبٌ وَخَطَطِي حَرِيرٍ عَلَى أَسْفَلِ الثَّوْبِ وَخَطَطِي حَرِيرٍ عَلَى الْعَاتِقَيْنِ وَالثَّمَرِ يَعْنِي جِلْدَةَ الثَّمَرِ وَالثُّهْبَةَ وَالْخَاتَمَ إِلَّا لِدِي سُلْطَانٍ.

(١) تفاكه بمحدث زوجها: مغازح به.

(٢) أخرجه أبو داود برقم (١٨٥٩) وأحمد برقم (٢٦٣٠١) عن أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَعُوذُ عِنْدَهُ فَقَالَ لَعَلَّ رَجُلًا يَقُولُ مَا يَفْعَلُ بِأَهْلِهِ وَلَعَلَّ امْرَأَةً تُخْبِرُ بِمَا فَعَلَتْ مَعَ زَوْجِهَا فَأَرَمَ الْقَوْمُ فَقُلْتُ إِي وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَقْلَنَ وَإِنَّهُمْ لَيَفْعَلُونَ قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مِثْلُ الشَّيْطَانِ لَقِيَ شَيْطَانَةً فِي طَرِيقِ فَعَشِيهَا وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ .

وفي لفظ لأحمد برقم (١٨٥٩) من حديث طويل عن أبي هريرة: ...ثُمَّ حَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ ثُمَّ أَتَقَفُوا ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الرِّجَالِ فَقَالَ هَلْ مِنْكُمْ الرَّجُلُ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ فَأَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ وَأَلْقَى عَلَيْهِ سِتْرَهُ وَاسْتَرَّ بِسِتْرِ اللَّهِ قَالُوا نَعَمْ قَالَ ثُمَّ يَجْلِسُ بَعْدَ ذَلِكَ فَيَقُولُ فَعَلْتُ كَذَا فَعَلْتُ كَذَا قَالَ فَسَكُّتُوا قَالَ فَأَقْبَلَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ هَلْ مِنْكُنَّ مَنْ تُحَدِّثُ فَسَكَّتْنَ فَجَعَتْ فَتَاةٌ قَالَ مُؤَمِّلٌ فِي حَدِيثِهِ فَتَاةٌ كَعَابَ عَلَى إِحْدَى رُكْبَتَيْهَا وَتَطَاوَلَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبَازًا وَيَسْمَعُ كَلَامَهَا فَقَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُمْ لَيَتَحَدَّثُونَ وَإِنَّهُمْ لَيَتَحَدَّثُنَّ فَقَالَ هَلْ تَذَرُونَ مَا مَثَلُ ذَلِكَ فَقَالَ إِنَّمَا مَثَلُ ذَلِكَ مِثْلُ شَيْطَانَةٍ لَقِيَتْ شَيْطَانًا فِي السَّكَّةِ فَقَضَى مِنْهَا حَاجَتَهُ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ...

- ٤٤- وهي أن يجامع الرجل الأمة وفيها شركة لأحد.
- ٤٥- وهي أن يجامع الرجل الامرأة الحبلى من غيره^(١).
- ٤٦- وهي عن تزويج المرأة على عمتها، وعن تزويج العمة على بنت أخيها، وعن تزويج المرأة على خالتها، وعن تزويج المرأة على ابنة أختها^(٢).
- ٤٧- وهي صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المرأة المطلقة حتى تخرج من العدة وتغتسل من الحيضة الثالثة، إذا كانت من ذوات الحيض.

(١) وذلك نحو الأمة التي اشتراها وهي حبلى من غيره.

أخرجه الترمذي برقم (١٤٨٩)، وأبو داود برقم (١٨٤٤)، وأحمد برقم (١٦٣٨٣) بلفظ: عَنْ حَنْشِ الصَّنْعَانِيِّ قَالَ غَزَوْنَا مَعَ رُوَيْعِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ قَرْيَةً مِنْ قُرَى الْمَغْرِبِ يُقَالُ لَهَا جَرَبَةٌ فَقَامَ فِينَا خَطِيبًا فَقَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَا أَقُولُ فِيكُمْ إِلَّا مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ قَامَ فِينَا يَوْمَ حَنْشٍ فَقَالَ لَا يَحِلُّ لِمَرِيٍّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْقِيَ مَاءَهُ زَرْعَ غَيْرِهِ يَعْنِي إِيَّانَ الْحَبَالَى مِنَ السَّبَايَا وَأَنْ يُصِيبَ امْرَأَةً نَيْبًا مِنَ السَّبْيِ حَتَّى يَسْتَبْرِئَهَا يَعْنِي إِذَا اشْتَرَاهَا وَأَنْ يَبِيعَ مَغْنَمًا حَتَّى يُنْسَمَ وَأَنْ يَرْكَبَ دَابَّةً مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أُعْجِفَهَا رَدَّهَا فِيهِ وَأَنْ يَلْبَسَ ثَوْبًا مِنْ فِئَةِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى إِذَا أَخْلَقَهُ رَدَّهُ فِيهِ.

وفي لفظ آخر لأحمد برقم (١٦٥٢٧): عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ الْعِرْبَاضِ قَالَتْ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَرَّمَ يَوْمَ خَيْبَرٍ كُلَّ ذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطَّيْرِ وَلَحُومِ الْحُمْرِ الْأَهْلِيَّةِ وَالْخَلِيسَةِ وَالْمُحْتَمَةِ وَأَنْ تُوْطَأَ السَّبَايَا حَتَّى يَضَعْنَ مَا فِي بُطُونِهِنَّ.

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧١٧) بلفظ: عَنِ الشَّعْبِيِّ سَمِعَ جَابِرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُنْكَحَ الْمَرْأَةُ عَلَى عَمَّتِهَا أَوْ خَالَتِهَا. ومسلم برقم (٢٥١٤)، والنسائي برقم (٣٢٤٥)، ومالك برقم (٩٧٧)، وأحمد برقم (١٤٥٦٧)، والدارمي برقم (٢٠٨٣).

٤٨- ونهى عن الشُّغار، وهو أن يقول الرجل للرجل: زوجني ابنتك، وأزوجك بنتي ويطرحان المهر بينهما^(١).

٤٩- ونهى أن يجمع الرجل بين الأمة وابنتها وطناً، وكذلك لا يجمع بينها وبين أختها، ولا بينها وبين عمتها، ولا بينها وبين خالتها وطناً.

٥٠- ونهى أن يوطأ الرجل الأمة العاريّة، وقال: (إن الله سبحانه لم يحل غاريّة الفُرُوج، ولا يحل لمسلم أن يغشى من الإماماء إلا أمة يملك عتقها).

قال محمد بن يحيى: قد بلغنا عن بعض الجهال أن أحدهم يقول للرجال: قد أحللت لك فرجَ جاريتي تطأها. وهذا فهو الحرام المحضور، وملعون من فعله، لمكانه من العلم.

٥١- ونهى عن نكاح الأمة التي تحرم من قبل الرّضاة، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (يحرم من النكاح ما يحرم من النسب).

٥٢- ونهى أن يخُطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، أو يتزوجها بنكاح صحيح^(٢).

٥٣- ونهى المرأة أن تُنكح نفسها، ولكن يُنكحها أولياؤها.

(١) أخرجه زيد بن علي في المسند/ ٣١٥، والمؤيد بالله في شرح التحرير (مخطوط).

وأخرجه البخاري برقم (٤٧٢٠)، ومسلم برقم (٢٥٣٧)، والترمذي برقم (١٠٤٣)، والنسائي برقم (٣٢٨٢)، وأبو داود برقم (١٧٧٦)، وابن ماجه برقم (١٨٧٣)، وأحمد برقم (٤٢٩٧)، ومالك برقم (٩٨٠)، والدارمي برقم (٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٧٤٦)، ومسلم برقم (٢٧٨٧)، والترمذي برقم (١٢١٣)، والنسائي برقم (٣١٩١)، وأبو داود برقم (١٧٨٢)، وأحمد برقم (٤٤٩٢)، ومالك برقم (٩٦٥)، والدارمي برقم (٢٠٨١).

- ٥٤- وهى أن يكون النكاح إلا بولي وشاهدي عدل.
- ٥٥- وهى أن تُنكح الثيب حتى تستأذن.
- ٥٦- وهى أن تُنكح البكر البالغ حتى تستأذن، وأذنها صمئها.
- ٥٧- وهى الرجل أن ينكح أخت امرأته حتى تنقضي عدة أختها التي طلق.
- ٥٨- وهى أن تسأل المرأة زوجها الطلاق، فإن فعلت ذلك حَرَّمَ الله عليها الجنة إذا كانت ظالمة له ^(١).
- ٥٩- وهى عن بيع الرقيق من أهل دار الحرب، وعن بيع الإمام المسلمين من أهل الذمة.
- ٦٠- وهى عن بيع السلاح والدواب من أهل دار الحرب.
- ٦١- وهى عن عون الظالمين.
- ٦٢- وهى عن صحابة الخائنين.
- ٦٣- وهى عن أن ينظر الرجل إلى المرأة ليست له بمحرم لشهوة.
- ٦٤- وهى أن ينظر الرجل إلى شيء حرمه الله عليه.
- ٦٥- وهى أن يدم الرجل النظرة الأولى ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي برقم (١١٠٨) بلفظ: عَنْ ثَوْبَانَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلْتُ زَوْجَهَا طَلَاقًا مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ. وأبو داود برقم (١٨٩٩)، وابن ماجه برقم (٢٠٤٥).

(٢) أخرجه برقم (١٣٠٢) بلفظ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَوْ يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزًا مِنَ الْجَنَّةِ وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْنِهَا فَلَا تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّمَا لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ. وأخرجه الترمذي برقم (٢٧٠١)، وأبو داود برقم (١٨٣٧)، وأحمد برقم (٢١٩٤٣)، والدارمي برقم

- ٦٦- ونهى أن يكلم الرجل المرأة لشهوة أو لغير شهوة إذا لم تكن له محرماً. ونهى أن يؤاكلها. ونهى أن يخلو بها^(١).
- ٦٧- ونهى عن عقد نكاح المرأة وهي في عدتها.
- ٦٨- ونهى الرجل أن ينظر إلى عورة الرجل.
- ٦٩- ونهى المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة، وقال: (عورة المسلم على المسلم حرام).
- ٧٠- ونهى أن يدخل الحمام إلا بمئزر، وقال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر).
- ٧١- ونهى النساء عن دخول الحمام، وقال: (لعن الله داخلات الحمام).
- ٧٢- ونهى أن تقبل شهادتهن وحدهن في حدٍّ من الحدود والقصاص.
- ٧٣- ونهى أن تقبل شهادتهن في شيء إلا ومعهن رجل، إلا في الاستهلال^(٢) أو في الرضاع.
- ٧٤- ونهى أن يُردف الرجل دابته امرأة لا يملكها^(٣).
- ٧٥- ونهى المرأة تستعين بالرجل يحملها على دابتها. ونهى النساء أن يلي ذلك منهن غير رجالهن.

(٢٥٩٣).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٧٨٤)، ومسلم برقم (٢٣٩١)، وأحمد برقم (٣٠٦٢)، والترمذي برقم (

١٠٩١).

(٢) الاستهلال: رفع الصوت بالبكاء.

(٣) يعني: لا يركب الرجل مع امرأة ليست زوجته أو أمته.

- ٧٦- وهى المرأة أن تسافر إلا مع زوج أو ذي رحم مُحَرَّم^(١).
- ٧٧- وهى أن تدخل المرأة المتهمه في دينها على المرأة المؤمنة في دينها.
- ٧٨- وهى أن تدخل المذكرة^(٢) من النساء على امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.
- ٧٩- وهى أن تلبس المرأة لباس الرجال، وتشبه بهم في حال من الحال، أو تمشي مشية الرجل، أو تكلم بكلامه^(٣).
- ٨٠- وهى أن يدخل المَحْتَث من الرجال على امرأة تؤمن بالله واليوم الآخر.

(١) أخرجه البخاري برقم (١٧٢٩)، ومسلم برقم (٢٣٩١)، والترمذي برقم (١٠٩٠)، وأبو داود برقم (١٤٦٧)، وأحمد برقم (٣٠٦٢)، ومالك برقم (١٥٥٠).

(٢) المذكرة: التي تشبه بالرجال من النساء.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٤٣٥)، والترمذي برقم (٢٧٠٩)، وأبو داود برقم (٤٢٨٢)، ابن ماجه برقم (١٨٩٣) بلف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمَرْأَةَ تَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ وَالرَّجُلَ يَتَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ. وأحمد برقم (٣٢٧٩)، والدارمي برقم (٢٥٣٥).

وفي رواية لأحمد ٦٥٨٠ عَنْ عَطَاءٍ عَنْ رَجُلٍ مِنْ هَذِيلٍ قَالَ رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ وَمَنْزِلُهُ فِي الْحِلِّ وَمَسْجِدُهُ فِي الْحَرَمِ قَالَ فَبَيَّنَّا أَنَا عِنْدَهُ رَأَى أُمَّ سَعِيدٍ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ مُتَقَلِّدَةً قَوْسًا وَهِيَ تَمْشِي مِشْيَةَ الرَّجُلِ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ مَنْ هَذِهِ قَالَ الْهَذَلِيُّ فَقُلْتُ هَذِهِ أُمُّ سَعِيدٍ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ فَقَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهُ بِالرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ وَلَا مَنْ تَشَبَّهُ بِالنِّسَاءِ مِنَ الرِّجَالِ.

وأخرج البخاري.... عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَعَنَ الْمُحْتَثِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالْمُتَرَجِّلَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَقَالَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَأَخْرِجُوا فَلَانًا وَقُلَانَا يَعْنِي الْمُحْتَثِينَ.

٨١- ونهى الرجل أن يتشبه بالمرأة في لباسها وفي كلامها أو في مشيتها، وقال: (لعن الله ورسوله والملائكة من فعل ذلك من الرجال والنساء).

٨٢- ونهى المرأة أن تُقصي زوجها في شيء يهواه منها، ما لم يحملها على معصية الله.

٨٣- ونهى عن شراء الحرام، قال: (مشتري الخيانة والخائن شريكان، ومشتري النّهب والنّاهب ظهيران).

٨٤- ونهى عن التّفخ في الطعام والشراب^(١).

٨٥- ونهى عن الكهانة.

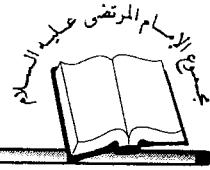
٨٦- ونهى أن يُصدّق الكاهن ويؤتى، وقال: (من تكهن أو تكهن له فليس من الله في شيء)^(٢).

٨٧- ونهى عن مجالسة المُخنث وعن إجابة دعوته، وأكل طعامه، وعن مناكحته، وقال: (من فعل شيئا من ذلك فقد برئ الله ورسوله منه).

(١) أخرجه أحمد برقم (٢٦٧٨) بلفظ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ التّفخ فِي الطّعامِ وَالشّرَابِ.

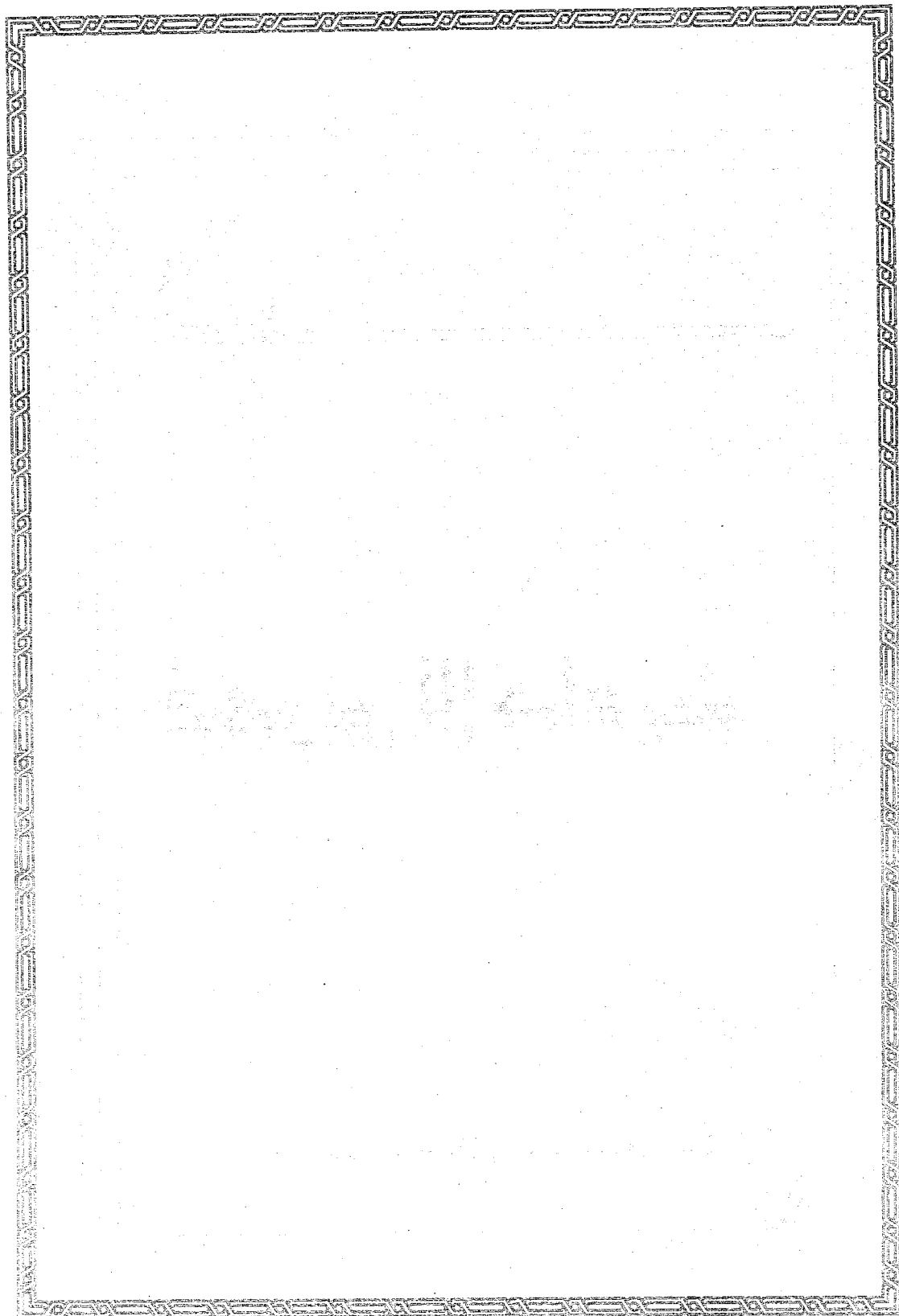
وأخرجه أبو داود برقم (٣٢٣٤) بلفظ: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ قَالَ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الشّرْبِ مِنْ ثَلَمَةِ الْقَدَحِ وَأَنْ يُنْفَخَ فِي الشّرَابِ. وابن ماجه برقم (٣٢٧٩)، والترمذي برقم (١٨٠٩)، وأحمد برقم (١١٣٣٦)، ومالك برقم (١٤٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (١٢٥)، ابن ماجه برقم (٦٣١) بلفظ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَتَى حَاتِضًا أَوْ امْرَأَةً فِي ذُبْرَهَا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ. وأبو داود برقم (٣٤٠٥)، وأحمد برقم (٩٧٧٩)، والدارمي برقم (١١١٦).



فهرس الأحاديث





فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	بداية الحديث	م
١١٩	أني بكتف شاة مشوي فأكله وهو متوضئ	١-
١٠١	أجاز الذبح بالمروة إذا فرت الأوداج	٢-
١٣٦	أخذ بيدها وأشار إلى القمر فقال: تعوذي بالله من هذا	٣-
١٩٢	إذا استغنى عن ذلك فلا يجوز له المسألة	٤-
١٠٢	إذا استغنى عن ذلك، فلا تجوز له المسألة	٥-
١٩٦	إذا التقى الختانان وجب الغسل	٦-
١٨٩	إذا بلغ السهام الحقائق فالعصبة أولى	٧-
١٩٥	إذا رأى أحدكم امرأة تعجبه	٨-
٦٠٨	إذا رأى أحدكم رؤيا تغمه فلينفث عن يمينه وعن	٩-
١٤١	إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب	١٠-
٢٨٧	إذا شهد عدلان على الرؤية فصوموا وأفطروا	١١-
٢٨٦	إذا غمي عليكم الهلال فعدوا ثلاثين يوما	١٢-
١٤٥	إذا كان المطر قيظا، والولد غيظا	١٣-
٥٩٧	إذا لم تستح فاصنع ما شئت	١٤-
١٤٧	أردد على ابنك فإنما هو سهم من كنانتك	١٥-
٥٦٧	أشد الناس محنًا الأفضل فالأفضل	١٦-
١١٨	أعيدوا الوضوء مما مست النار ولو من ثور أقط	١٧-
٢٤٧	أعينوا أولادكم على البر	١٨-
٢٤٨	أفلكل ولدك وهبت	١٩-
١٢١	أقروا الطير على مكانهما	٢٠-
٦٢١	أكبر الكبائر أن تقتل أهل صفقتك وتبدل	٢١-
١٠٣	ألا أدلك على أفضل الصدقة لبنتك	٢٢-

- ٢٣- أكل ولدك وهبت-----١٦٣
- ٢٤- أمر عبد الرحمن يوم عند تزويجه ولو بشاة-----١٣٥
- ٢٥- أمر من أراد الغائط، أن يتجنب ظل الشجرة،-----٦٣٣
- ٢٦- إن أمي ستفترق من بعدي ثلاثا وسيعين فرقة-----٢١١
- ٢٧- إن الأرض ستملأ عدلاً ويظهر-----٦٠٩
- ٢٨- إن الخراج بالضمان-----٥٩٨
- ٢٩- إن الدنيا حلوة خضرة-----١٥١
- ٣٠- أن الطريق جمعت ركبا، فجعلت امرأة أمرها إلى رجل-----٢٧٣
- ٣١- إن الله سبحانه لم يحل عارية القُرُوج-----٧٦٦
- ٣٢- أن الله سبحانه يحب معالي الأمور-----١١٥
- ٣٣- إن الله يحب الغيور-----١٤٩
- ٣٤- إن الله يذود العبد المؤمن عن الدنيا-----١٩٠
- ٣٥- إن المسجد يزوي من النخامة-----٦٢٣
- ٣٦- أن امرأة تزوجت في عهد عمر بن الخطاب بلا ولي فأبطل نكاحها-----٢٧٢
- ٣٧- إن جاءت به أصهباً أبيضاً أحمر الساقين-----١١٢
- ٣٨- إن حسنَ الخلق لينال بحسن خلقه-----١١٧
- ٣٩- إن عم الرجل صنو أبيه-----٥٩٢
- ٤٠- أن عمر الدنيا سبعة آلاف سنة-----٣٢٩
- ٤١- أن عمر حلف بأبيه فنهاه رسول الله صلى الله عليه عن ذلك-----١٠١
- ٤٢- إن قدمي على ترعة من ترع الحوض-----٦٢٤
- ٤٣- إن كان الرجل منهم في الغافلين-----٤٦٠
- ٤٤- إن من أشراط الساعة أن ترى رعاة الغنم رؤساء الناس-----١٤٦
- ٤٥- إن منبري على ترعة من ترع الجنة-----٦٢٤
- ٤٦- إن هذه البهائم لها أوابد كأوابد الوحش-----٩٩

- ٤٧- أنا فرطكم على الحوض ----- ٦٣٢
- ٤٨- إنكن أكثر أهل النار ----- ١٤٧
- ٤٩- أنه أمر النساء ألا يعذبن أولادهن بالذعر ----- ٦٢٧
- ٥٠- إنه سيدخل في حربنا هذه من في أصلاب الرجال ----- ٣٣٠
- ٥١- إنه سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي ----- ١١١، ٣٤
- ٥٢- إنه سيكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي ----- ١٩٨
- ٥٣- إني كنت فھيتكم عن زيارة القبور ----- ١٩٣
- ٥٤- أهدي إليه ثياب من حرير، فأمر علياً ----- ٦٢٢
- ٥٥- أهل الجنة إذا دخلوها، وأدخل النار أهلها، أتى بالموت ----- ١٣٩
- ٥٦- أي الصوم أفضل بعد شهر رمضان ؟ فقال: شهر الله المحرم ----- ١٥٢
- ٥٧- أي امرئ نكح امرأة بغير إذن وليها، فنكاحها باطل ----- ٢٧١
- ٥٨- أيها الناس إنه يحتج عندي الرجال منكم فيكون أحدهما ألقن ----- ١١٨
- ٥٩- اتقوا الملاعن، واعدوا النبيل ----- ٦٣٣
- ٦٠- ادروا الحدود بالشبهات ----- ٢٦٦
- ٦١- استتروا واستحيوا فإن الستر والحياء من الإيمان ----- ٧٦٣
- ٦٢- استذكروا القرآن ----- ٦١٣
- ٦٣- استتروا بيوتكم، والتوبة من ورائك ----- ٢٥٤
- ٦٤- استعيذوا بالله من طمع يهدي إلى طبع ----- ١٤٣
- ٦٥- اصنعوا به هكذا ----- ١٠٠
- ٦٦- الإحتيال بعضه يحبه الله وبعضه يكرهه الله ----- ١١٥
- ٦٧- الأخوات مع البنات عصبه ----- ١٥٦
- ٦٨- الإيمان بمان والحكمة بمانية ----- ١٢٨
- ٦٩- البغايا اللاتي يتزوجن بغير ولي ----- ٢٧٢
- ٧٠- الجار أحق بشفعته ----- ١٨٢

- ٧١- الجار أولى بشفيعته ----- ٢٢٨
- ٧٢- الحياء من الدين ----- ٢٠١
- ٧٣- الدجال جفال الشعر ----- ٦١٦
- ٧٤- الذباب ----- ١٣٩
- ٧٥- الرؤيا التي رآها رجل، فاستهاها، فقال: خلافة نبوة ----- ٦٠٨
- ٧٦- الساعة وعلامتها ----- ١٠٧
- ٧٧- الشهر يكون تسعة وعشرين وثلاثين ----- ٩٦
- ٧٨- الصوم في الشتاء غنيمة باردة ----- ١٣٤
- ٧٩- العجماء جبار، والبئر جبار ----- ٩٣
- ٨٠- العينان يزنيان، واليدان يزنيان ----- ٣٠٢
- ٨١- الغيرة من الإيمان والمذال من النفاق ----- ١٤٩
- ٨٢- القتل أن لأهله أن يتحجروا الأدي فالأدي ----- ١٢٧
- ٨٣- الكيس من دان نفسه ----- ٦١١
- ٨٤- اللهم إني أسالك غناي وغنى موالي ----- ٦١١
- ٨٥- المؤمن وقاف عند الشبهات ----- ٢٨٨
- ٨٦- المؤمن يأكل في معاء واحد ----- ٥٩٧
- ٨٧- المؤمنون تكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم ----- ٥٤٠
- ٨٨- المتشبع بما لا يملك أنه كلابس ثوبي زور ----- ١٤٨
- ٨٩- المسألة لا تحل إلا لثلاثة ----- ١٠٢
- ٩٠- المسلمون تكافأ دماؤهم ----- ١١٣
- ٩١- الواجد تحل عقوبته وعرضه ----- ١٣١
- ٩٢- الولاء لا يباع ولا يوهب ----- ٢٢٣
- ٩٣- الولاء لحمه كالنسب ----- ٢٢٣
- ٩٤- افهروا الدم بما شئتم، إلا الظفر والسن ----- ١٠١

- ٩٥- بئس ما لأحدكم أن يقول نسيت آية كيت ----- ٦١٣
- ٩٦- بايعت النبي ألا آخر إلا قائما ----- ١٢٠
- ٩٧- بحق أقول لكم يا بني إسرائيل ----- ٥٠٥
- ٩٨- بنية إن فلانا خطبك فإن رضيت فاسكتي ----- ٨٢
- ٩٩- تحرفت عنا الخرف، وأحرق بطوننا التمر ----- ٦٣٢
- ١٠٠- تحريم الصلاة التكبير وتحليها التسليم ----- ٧١
- ١٠١- تغنوا بالقرآن ----- ١٢٢
- ١٠٢- تنكح المرأة لنفسها ولحسنها ولما لها ----- ١١٠
- ١٠٣- ثلاثون يوما، وتسعة وعشرون يوما ----- ٢٨٦
- ١٠٤- حتى تقدم الصدقة، فإما أعناك في حملتك، وإما حملناها عنك ----- ١٠٢
- ١٠٥- حجاباه النور لو كشف لأحرقت سبحات وجهه ----- ٦٢٠
- ١٠٦- خذي قرصة فتطهري بها ----- ٦٣٣
- ١٠٧- خروج ثلاث رايات حتى تلتقي بمكة فيلتقون، ثم يسلمون لصاحب اليمن ----- ٢١٠
- ١٠٨- خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه ----- ٦٢٥
- ١٠٩- خير هذه الأمة النمط الأوسط، يلحق بهم التالي ----- ١٩١
- ١١٠- دخل على عائشة وهو عندها مرخى عليها سترة ----- ٦٣٣
- ١١١- ذو السهم أحق ممن لا سهم له ----- ٢٢٩، ١٠٦
- ١١٢- رأى رجلا يمشي بين المقابر بنعلين فنهاه ----- ١٢٤
- ١١٣- رخص في التحزين بالقرآن ----- ١٢١
- ١١٤- رض الله فاك ----- ٧٥٩
- ١١٥- زملوهم في دمائهم وثيابهم ----- ١٩٤
- ١١٦- سئل عن امرأة نكحت بغير ولي فأبطل نكاحها ----- ٢٧٢
- ١١٧- سيظهر رجل من أهل بيتي باليمن يملأ الأرض عدلا ----- ١٢٨
- ١١٨- شر النساء المحتالة المتبرجة ----- ٦٠٨

- ١١٩- شر ما أعطي العبد شح هالع، وجبن هالع-----٦١٥
- ١٢٠- شينان تحضرهما الملائكة السباق والرمي بالنبل-----١٢٣
- ١٢١- شيطان يتبع شيطاناً-----٧٥٦
- ١٢٢- صلاة العشاء إذا سقط نور الشفق-----١٢٠
- ١٢٣- صلوا في الجماعة بصلاة أضعفكم-----٨١
- ١٢٤- صلى إلى بيت المقدس سبعة عشر شهرا-----٣٤٩
- ١٢٥- صلى وعليه فروخ من حرير-----٦٢٢
- ١٢٦- صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته-----٢٨٦، ٩٤
- ١٢٧- ضباب فلم يأكلها، وأكلها أصحابه، فلم ينههم عنها-----٦٠٨
- ١٢٨- ضحى بكيشين أملحين-----١٣٨
- ١٢٩- علاماتهم؟ التشييد-----٩٠
- ١٣٠- على المسلمين أن لا يتركوا مقدوحا في قدى-----٦٢٨
- ١٣١- عليكم بالباه فإنه أغض للبصر-----١٩٥
- ١٣٢- عورة المؤمن على المؤمن حرام-----٢٩٩
- ١٣٣- عورة المسلم على المسلم حرام-----٧٦٨
- ١٣٤- فإن لسعته دابة وأصابه كذا وكذا فهو شهيد-----١٩٣
- ١٣٥- فالثلث والثلث كثير، لأن تترك ولدك أغنياء-----١٠٣
- ١٣٦- فجعل للبشر أربعين ذراعا، وجعل للغيل خمسمائة ذراع-----١٥٠
- ١٣٧- فقضى(ص) بميرائه لابن أخته-----١٠٥
- ١٣٨- في الرضاع-----١٢٣
- ١٣٩- قافية رأس أحدكم ثلاث عقد، فإذا-----٦١٩
- ١٤٠- قد كانت إحداكن تمكث في شرى إجلاسها-----١١٠
- ١٤١- قطعت ظهره لو سمعها ما أفلح-----١٤١
- ١٤٢- قف حتى تقدم الصدقة، فيما أعناك في حالتك-----١٩٢

- ١٤٣- كان يصوم شعبان ----- ١٥٣
- ١٤٤- كان يصوم شعبان ورمضان يصلهما ----- ٩٥
- ١٤٥- كان (ص) يسابق بين الخيل والإبل والرجال ----- ١٢٣
- ١٤٦- كان إذا استفتح القرآن قال: أعوذ بالله السميع ----- ٦٠٣
- ١٤٧- كان إذا صلى بالليل فمر بآية فيها ذكر الجنة سأل ----- ٦٠٤
- ١٤٨- كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يُقَبِّلُ رأسه ويده ----- ٨٣
- ١٤٩- كان يجيب إذا دعي ويأمر بذلك ----- ٨٤
- ١٥٠- كان يعوذ على الحسن والحسين ----- ٦١٠
- ١٥١- كان يقنت حتى يقال: لا يتركه ----- ٦٠٦
- ١٥٢- كان ينهى أن يصلى في الحرير ----- ٦٢٢
- ١٥٣- كان: يصوم رجب وشعبان ورمضان ----- ١٥٣
- ١٥٤- كره حمل الحمير على الخيل ----- ٢٩٦
- ١٥٥- كره عشر خلال فمناها تغيير النسب ----- ٦١٨
- ١٥٦- كل ما كان المأكول منه يسكر فالذوق له حرام ----- ١٣٣
- ١٥٧- كل مولود فهو على فطرة الإسلام ----- ٧٢
- ١٥٨- كل نكاح بغير ولي وشاهدين فهو زنا ----- ٢٧٧
- ١٥٩- كل نكاح بلا ولي فهو زنا ----- ٢٧١
- ١٦٠- كوى رسول الله سعدا بمشقص في أكحله حتى حمه ----- ١٤٨
- ١٦١- لأن أصوم يوما من شعبان أحب إلي من أن أفطر يوما من رمضان ----- ٩٥
- ١٦٢- لأن أصوم يوما من شعبان، أحب إلي من أن ----- ٢٨٨
- ١٦٣- لأن أفطر يوما من رمضان أحب إلي من أن ----- ٢٨٨
- ١٦٤- لأن أفطر يوما من رمضان، أحب إلي ----- ٩٦
- ١٦٥- لئن أمكنني الله من قريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم ----- ٣٦٠
- ١٦٦- لا أربح الله تجارتك ----- ٧٥٩

- ١٦٧- لا بد له من يد يأكل بها ويميط بها الأذى ----- ٤٩٧
- ١٦٨- لا تأخذ من حزازات أنفس الناس ----- ١٠٨
- ١٦٩- لا تحل المسألة إلا لثلاثة ----- ١٩٣
- ١٧٠- لا تدخلوا عليه ولا تفروا منه ----- ٣٦٨
- ١٧١- لا تردوا الأكفاء ----- ٢٧٠ ، ١٤٣
- ١٧٢- لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق ----- ١٢٩
- ١٧٣- لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر ----- ١٢٣
- ١٧٤- لا تشتملوا الصماء في الصلاة ----- ١١٤
- ١٧٥- لا تصلوا رمضان بيوم من شعبان ----- ٩٥
- ١٧٦- لا تقبل الصدقة من غلول ----- ٥١٤
- ١٧٧- لا تقوم الساعة حتى يظهر الفحش ----- ٦٠٩
- ١٧٨- لا تمككوا على غرماكم ----- ٦١٤
- ١٧٩- لا جزية على مسلم ----- ٥٩٩
- ١٨٠- لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع ----- ١٨٩
- ١٨١- لا حد على معترف بعد بلاء ----- ١٥٩
- ١٨٢- لا حد على معترف بعد بلاء ----- ٤٩٩
- ١٨٣- لا حصر بعد يحى ولا سياحة بعد عيسى ----- ٣٨٣
- ١٨٤- لا ضرر في الإسلام ----- ٦٠٧
- ١٨٥- لا قطع في الذعرة ----- ٦٢٨
- ١٨٦- لا قطع في خلصة ----- ٦٢٨
- ١٨٧- لا نقيصة في ميراث إلا ما حمل القسم ----- ١٥٤
- ١٨٨- لا نكاح إلا بولي وشاهدين ----- ٢٦٧
- ١٨٩- لا نكاح إلا بولي، فإن عدم فالسلطان ----- ٢٧٢
- ١٩٠- لا يأخذن أحدكم متاع أخيه لاعبا جادا ----- ٦٠٢

- ١٩١- لا يجوز شهادة الخائن ولا الخائنة-----١٢٥
- ١٩٢- لا يغفر قریش بعدها-----٦٢٣
- ١٩٣- لا يقولن أحدكم إذا حكمت له بما ليس له-----٢٠٣
- ١٩٤- لا يموت لمؤمن ثلاثة أولاد فمسته النار-----٥٩٣
- ١٩٥- لا يوردن ذو عاهة على مصح-----١٤٤
- ١٩٦- لصاحب الحق اليد واللسان-----١٣٢
- ١٩٧- لعلك أرعبتها؟ قال: لقد كان بعض ذلك-----١٥٩
- ١٩٨- لعن الله الواشمة والموشومة، والنامصة-----٨٢
- ١٩٩- لعن الله اليهود حُرمت عليهم الشحوم-----٢٩٦
- ٢٠٠- لعن الله داخلات الحمام-----٧٦٨
- ٢٠١- لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه قبره-----١٠٤
- ٢٠٢- لك أجران أجر السر وأجر العلانية-----١٤١
- ٢٠٣- له: وارث غيرك؟ فقال: لا. قال: فميراثه لك-----١٥٦
- ٢٠٤- لو لا بنو إسرائيل ما خثر الطعام-----٦١٦
- ٢٠٥- ليس أحد يدخل بعمله الجنة. قيل: ولا أنت-----٦١٦
- ٢٠٦- ليس البر أن تعطي من أعطاك-----٤٦٠
- ٢٠٧- ليس الفضل أن تعطي من أعطاك-----١١٦
- ٢٠٨- ليس منا من فعل ذلك-----٧٥٩
- ٢٠٩- ما أوجب الحد أوجب الغسل-----١٩٧
- ٢١٠- ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة-----٦٢٤
- ٢١١- ما قرأت على مريض إلا شفاه الله-----٦١٢
- ٢١٢- ما له رحمة الله لقد أذكرني آيات كنت نسيته-----٦١٤
- ٢١٣- ما يحملكم على أن تتابعوا في الكذب-----٦٢٥
- ٢١٤- مانع الزكاة، وأكل الربا حربي-----٣٠٥

- ٢١٥- مانع الزكاة، وأكل الربا، حربي ----- ٥١٤
- ٢١٦- مثل المؤمن والإيمان كمثلي القرين ----- ٦١٤
- ٢١٧- مشتري الخيانة والخائن شريكان، ومشتري النّهب ----- ٧٧٠
- ٢١٨- مظل الغني ظلم ----- ١٣١
- ٢١٩- معه سقاؤه وحذاؤه ----- ١٣٨
- ٢٢٠- ملعون من انتفى من نسبه وإن دق ----- ٦١٨
- ٢٢١- من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ----- ١٥٢
- ٢٢٢- من أحبنا أهل البيت فليعد للفقير جلبابا ----- ١٩٠
- ٢٢٣- من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً ----- ٦١٧
- ٢٢٤- من أدخل فرسا بين فرسين ----- ١٢٢
- ٢٢٥- من أعتق عبداً له وله مال فماله له ----- ٢٨٤
- ٢٢٦- من أقال نادماً أقاله الله ----- ١٦٥
- ٢٢٧- من الإدهان بالزيت ----- ٩٦
- ٢٢٨- من بنى مسجداً ولو مثل مفحص قطاة ----- ٦٢٠
- ٢٢٩- من تعلم القرآن ونسيه حشر يوم القيامة أجدم ----- ٦٠٠
- ٢٣٠- من تكهن أو تكهن له فليس من الله في شيء ----- ٧٧٠
- ٢٣١- من صام ثلاثة أيام من كل شهر فكأنما صام الدهر ----- ٦٠٠
- ٢٣٢- من صلى صلاة لا يقرأ فيها بفتحها ----- ٧٦١
- ٢٣٣- من ضحك في صلاته أعاد ----- ٧٦١
- ٢٣٤- من فعل ذلك فمثله كمثلي من غشي امرأته ----- ٧٦٤
- ٢٣٥- من قتل دون ماله فهو شهيد ----- ٥٨٦
- ٢٣٦- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل ----- ٧٦٨
- ٢٣٧- من كتم أخاه نصيحة أو فضلاً ----- ٧٥٨
- ٢٣٨- من كتم علماً سئل عنه جاء يوم القيامة مغلولاً ----- ٧٥٨

- ٢٣٩- من منحه المشركون أرضاً فلا أرض لهم ----- ٦١٩
- ٢٤٠- من يسره أن يذهب وحر صدر ----- ٥٩٩
- ٢٤١- منبري موضوع على ترعة من ترع الجنة ----- ٦٢٥
- ٢٤٢- منع الماء ليمنع الكلاء ----- ٦٠٢
- ٢٤٣- هي عن الذبح بالظفر والشظاط ----- ١٠١
- ٢٤٤- هي عن جذاذ الليل وحصاد الليل ----- ١٥٣
- ٢٤٥- هي أن تُجعل المساجد طرقاً ----- ٧٥٩
- ٢٤٦- هي أن تحدث المرأة المرأة بما تخلو به من زوجها ----- ٧٦٤
- ٢٤٧- هي أن تدخل المذكرة من النساء على امرأة ----- ٧٦٩
- ٢٤٨- هي أن تدخل المرأة المتهمه في دينها على المرأة ----- ٧٦٩
- ٢٤٩- هي أن تسأل المرأة زوجها الطلاق ----- ٧٦٧
- ٢٥٠- هي أن تفاكة المرأة بمحدث زوجها ----- ٧٦٤
- ٢٥١- هي أن تقبل شهادتهن في شيء إلا ----- ٧٦٨
- ٢٥٢- هي أن تقبل شهادتهن وحدهن في حد ----- ٧٦٨
- ٢٥٣- هي أن تقول المرأة غشيني زوجي كذا ----- ٧٦٤
- ٢٥٤- هي أن تلبس المرأة لباس الرجال ----- ٧٦٩
- ٢٥٥- هي أن تُنكح البكر البالغ حتى ----- ٧٦٧
- ٢٥٦- هي أن تُنكح الثيب حتى تستأذن ----- ٧٦٧
- ٢٥٧- هي أن يُبَال على قبر أو بين المقابر ----- ٧٦٢
- ٢٥٨- هي أن يبول الرجل عريانا أو قائما ----- ٧٦١
- ٢٥٩- هي أن يتَلَقَّت في صلاته تلفت الثعلب ----- ٧٥٨
- ٢٦٠- هي أن يجامع الرجل الأمة وفيها شركة ----- ٧٦٥
- ٢٦١- هي أن يجامع الرجل المرأة الحبلى من غيره ----- ٧٦٥
- ٢٦٢- هي أن يجعل الرجل يده على يده على صدره في الصلاة ----- ٧٦٠

- ٢٦٣- هـى أن يجمع الرجل بين الأمة وابنتها وطنا ----- ٧٦٦
- ٢٦٤- هـى أن يُحدّث الرجلُ الرجلَ بحديث أهله----- ٧٦٤
- ٢٦٥- هـى أن يخطب الرجل على خطبة أخيه----- ٧٦٦
- ٢٦٦- هـى أن يدخل الحَمَّام إلا بمنزر ----- ٧٦٨
- ٢٦٧- هـى أن يدخل الرجل يده في الإناء إذا قام من نومه----- ٧٦٣
- ٢٦٨- هـى أن يدخل المُخَنَّث من الرجال على امرأة ----- ٧٦٩
- ٢٦٩- هـى أن يديم الرجل النظرة الأولى----- ٧٦٧
- ٢٧٠- هـى أن يذبح الرجل في الصلاة كما يذبح الحمار ----- ١٥٠
- ٢٧١- هـى أن يُردف الرجل دابَّته امرأة----- ٧٦٨
- ٢٧٢- هـى أن يسافر المقيم يوم الجمعة إذا ----- ٧٦١
- ٢٧٣- هـى أن يستقبل الرجل الرِّيح وهو يبول ----- ٧٦١
- ٢٧٤- هـى أن يُصدِّق الكاهن ويؤتى ----- ٧٧٠
- ٢٧٥- هـى أن يصلي الرجل في ثوب غير طاهر ----- ٧٦١
- ٢٧٦- هـى أن يصلي الرجل متوكيا ----- ٧٦١
- ٢٧٧- هـى أن يطأ الرجل الأمة العارية----- ٧٦٦
- ٢٧٨- هـى أن يفتش الرجل - إذا صلى - ذراعية افتراش السَّبْع ----- ٧٥٧
- ٢٧٩- هـى أن يقضي الرجل حاجته من الغائط والناس ينظرون----- ٧٦٢
- ٢٨٠- هـى أن يكتم الرجل ما علمه الله إذا ----- ٧٥٨
- ٢٨١- هـى أن يكلم الرجل المرأة لشهوة أو لغير ----- ٧٦٨
- ٢٨٢- هـى أن يكون النكاح إلا بولي وشاهدي عدل----- ٧٦٧
- ٢٨٣- هـى أن يكون في قبلة المسجد حَمَّام أو حُشٌّ----- ٧٦٠
- ٢٨٤- هـى أن ينام الرَّجُل إلى جَنبِ الرَّجُل ليس بينهما ثوب----- ٧٦٣
- ٢٨٥- هـى أن يُنشد الشعر في المسجد ----- ٧٥٩
- ٢٨٦- هـى أن ينظر الرجل إلى شيء----- ٧٦٧

- ٢٨٧- هـى أن يَنقُر الرجل في صلاته نقر الديك-----٧٥٧
- ٢٨٨- هـى الرجل إذا رفع رأسه من الركوع أن يسجد حتى يستوي قائما-----٧٦١
- ٢٨٩- هـى الرجل أن يتشبه بالمرأة في لباسها وفي-----٧٧٠
- ٢٩٠- هـى الرجل أن ينظر إلى عورة الرجل-----٧٦٨
- ٢٩١- هـى الرجل أن ينكح أخت امرأته حتى تنقضي عدة-----٧٦٧
- ٢٩٢- هـى المرأة أن تسافر إلا مع زوج أو-----٧٦٩
- ٢٩٣- هـى المرأة أن تُقصي زوجها في شيء يهواه-----٧٧٠
- ٢٩٤- هـى المرأة أن تنظر إلى عورة المرأة-----٧٦٨
- ٢٩٥- هـى المرأة أن تُنكح نفسها-----٧٦٦
- ٢٩٦- هـى المرأة تستعين بالرجل يحملها على دابتها-----٧٦٨
- ٢٩٧- هـى النبي عن بيع الرجل ما ليس عنده-----٢٨٣
- ٢٩٨- هـى النساء عن دخول الحمام-----٧٦٨
- ٢٩٩- هـى رسول الله عن المثل بالبهايم-----١٠٠
- ٣٠٠- هـى رسول الله(ص) أن يصلي الرجل وبه حاجة إلى البول والغائط-----٧٧
- ٣٠١- هـى صلى الله عليه وآله وسلم أن يستنجي الرجل بيمينه-----٧٦٣
- ٣٠٢- هـى صلى الله عليه وآله وسلم عن كتمان العلم-----٧٥٨
- ٣٠٣- هـى صلى الله عليه وآله وسلم عن نكاح المرأة المطلقة حتى-----٧٦٥
- ٣٠٤- هـى صلى الله عليه وآله وسلم عن: التَّخْتُم بالذهب للرجال-----٧٥٦
- ٣٠٥- هـى عما كانوا يتعاملون به في المزارعة-----٥٩٩
- ٣٠٦- هـى عن لقمة الشيطان-----٢٠٢
- ٣٠٧- هـى عن أخذ الطير في أوكارها-----١٢١
- ٣٠٨- هـى عن أكل ذبائح الجن-----١٤٤
- ٣٠٩- هـى عن أكل ما قتل البندق-----٧٥٧
- ٣١٠- هـى عن أن ينظر الرجل إلى المرأة ليست له-----٧٦٧

- ٣١١- هـى عن اتأاذ الآنية من الدبا ----- ١٣٤
- ٣١٢- هـى عن اختنات الأسقية ----- ١٥١
- ٣١٣- هـى عن الأذان بالأجرة ----- ٧٥٩
- ٣١٤- هـى عن الإقعاء ----- ٧٦٠
- ٣١٥- هـى عن البع والشراء فى المسجء ----- ٧٥٩
- ٣١٦- هـى عن الثوب المصمت ----- ٦٢٨
- ٣١٧- هـى عن الذبع بالعظم والقرن ----- ١٠١
- ٣١٨- هـى عن الركوب على الثمور ----- ٧٥٦
- ٣١٩- هـى عن الشغار ----- ٧٦٦
- ٣٢٠- هـى عن الصلاة بين المقابر ----- ٧٦٠
- ٣٢١- هـى عن الصلاة حيث تنزغ الشمس ----- ٦٢٦
- ٣٢٢- هـى عن الصلاة خلف النائم ----- ٧٥٨
- ٣٢٣- هـى عن الصلاة فى الحمام ----- ٧٦٠
- ٣٢٤- هـى عن الصلاة فى ثلاثة أوقات ----- ٧٥٥، ٦٢٦
- ٣٢٥- هـى عن الصيام يوم الفطر ----- ٧٥٥
- ٣٢٦- هـى عن الصيام يوم النحر، وأيام التشريق ----- ٧٥٥
- ٣٢٧- هـى عن الضحك فى الصلاة ----- ٧٦١
- ٣٢٨- هـى عن الغائط على الطريق ----- ٧٦٢
- ٣٢٩- هـى عن الغرر ----- ٥٩٩
- ٣٣٠- هـى عن الكهانة ----- ٧٧٠
- ٣٣١- هـى عن اللعب بالحمام ----- ٧٥٦
- ٣٣٢- هـى عن النخامة فى المسجء ----- ٧٦٠
- ٣٣٣- هـى عن التّفخ فى الطعام والشراب ----- ٧٧٠
- ٣٣٤- هـى عن بيع الرقيق من أهل دار الحرب ----- ٧٦٧

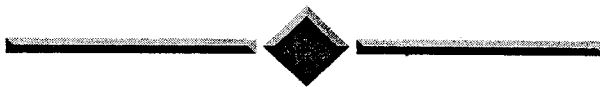
- ٣٣٥- فهمى عن بيع السلاح والدواب من أهل دار الحرب-----٧٦٧
- ٣٣٦- فهمى عن تزويج المرأة على عمتها، وعن-----٧٦٥
- ٣٣٧- فهمى عن تعليم القرآن بالأجرة-----٧٥٩
- ٣٣٨- فهمى عن جرّ الإزار-----٧٥٦
- ٣٣٩- فهمى عن شراء الحرام-----٧٧٠
- ٣٤٠- فهمى عن صحابة الخائنين-----٧٦٧
- ٣٤١- فهمى عن عقد نكاح المرأة وهي في عدتها-----٧٦٨
- ٣٤٢- فهمى عن عون الظالمين-----٧٦٧
- ٣٤٣- فهمى عن قيل وقال-----٩٧
- ٣٤٤- فهمى عن لبستين، إشتمال الصماء-----١١٤
- ٣٤٥- فهمى عن مجالسة المخنث وعن-----٧٧٠
- ٣٤٦- فهمى عن نكاح الأمة التي تحرم من قبل الرضاعة-----٧٦٦
- ٣٤٧- فهمت عن القراءة في الركوع والسجود-----١٣٦
- ٣٤٨- هو الطهور ماؤه، والحل ميتته-----٦٣٠
- ٣٤٩- هي لما قرأت له-----٦١٢
- ٣٥٠- يأتي على الناس دهر ينور فيه الإسلام بين الحرمين-----٦٠٧
- ٣٥١- يأتي على الناس زمان يكون أسعد الناس بالدنيا لكع-----١٤٤
- ٣٥٢- يا رب أي عبادك أشعر عندك؟ قال: يا موسى-----٣٥٧
- ٣٥٣- يا رسول الله إنا نصيب هوامّ الإبل، فقال ٩ ص ٩ حرق النار-----٦٢٧
- ٣٥٤- يا رسول الله يقال: يسأل الرجل في الجماعة أو الفتن-----١٠٢
- ٣٥٥- يا علي رجب شهرك-----١٥٣
- ٣٥٦- يا علي لأن يهدي الله بك رجلاً-----٣٩١
- ٣٥٧- يا عم، قل لا إله إلا الله-----٢١٧
- ٣٥٨- يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب-----١٢٤

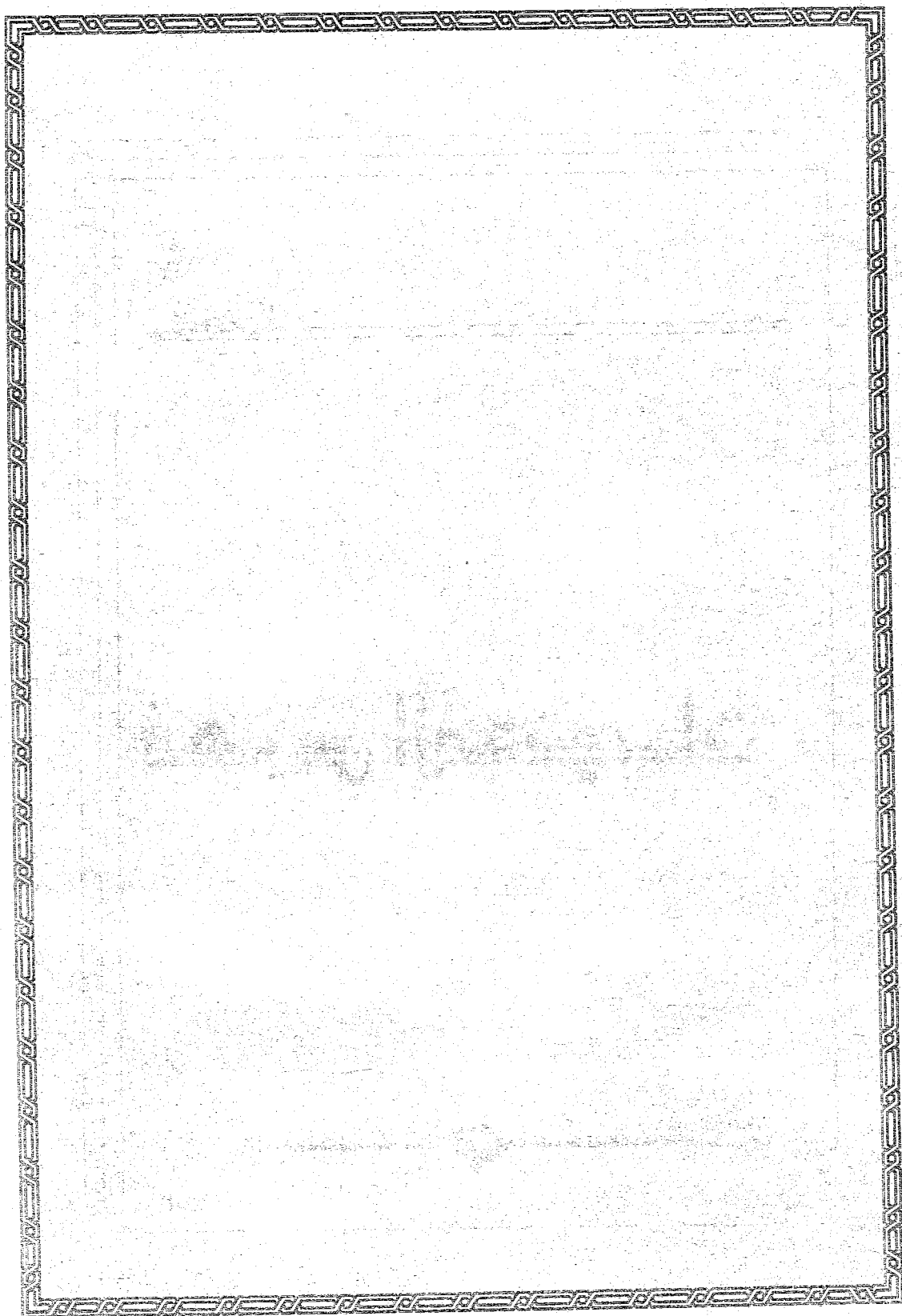
- ٣٥٩- يحرم من النكاح ما يحرم من النسب ----- ٧٦٦
- ٣٦٠- يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء ----- ٦٢١
- ٣٦١- يخرج منها قوم إلى اليمن والشام والمدينة ----- ٦٠٧
- ٣٦٢- يسأل الرجل في المجاعة أو الفيق فإذا استغنى استعف ----- ١٩٢
- ٣٦٣- يقتل بالمدينة رجل من أهل بيتي اسمه كاسمي، واسم أبيه ----- ٢٠٨
- ٣٦٤- يقتل فيهم ذو الثدية ----- ٩١
- ٣٦٥- يكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي ----- ٥٩٢
- ٣٦٦- يكذب علي كما كذب على الأنبياء من قبلي، فما أتاكم عني فاعرضوه -- ٣٤
- ٣٦٧- يهلك في رجلان، محب مفرط، ومبغض مفتر ----- ١٩٢





فهرس المحتويات





فهرس المحتويات

رقم الصفحة

الموضوع

٩	مقدمة التحقيق
٩	المؤلف
٩	أبوه
٩	أمه
٩	مولده
١٠	نشأته
١٠	أولاده
١١	علمه
١١	مؤلفاته
١٣	شعره
٣١	نظرته للقرآن
٣٢	محكم القرآن ومتشابهه
٣٣	نظرته للسنة
٣٥	نظرته لأهل البيت
٣٥	نظرته للصحابة
٣٦	نظرته للحجة
٣٦	أهمية كتب الإمام المرتضى
٣٧	الأولى: نقاء الفكرة!
٣٧	الثانية: تناول مواضيع ساخنة:
٣٧	الثالثة: أصالة الحجة:

٣٨	جهاده
٣٨	أسره وجبسه
٤٤	تعزية المرتضى للناس في الهادي
٤٧	بيعته وإمامته
٤٧	اعتزاله الحكم
٥٠	وفاته
٥٠	توثيق الكتب
٥٠	أولا: الأسانيد
٥٣	التحقيق
٥٣	منهج التحقيق
٥٤	توزيع النص
٥٤	ترتيب الكتاب
٥٤	التعليقات
٥٥	النسخ المعتمدة
٥٥	الأولى
٥٦	الثانية
٥٦	الثالثة
٥٨	نماذج من المخطوطات
٦٤	كلمة أخيرة
٦٥	الإيضاح
٦٧	الإيضاح
١٩٦	[اختلاف القاسم والهادي]

٣١٠	[مسائل عبد الله بن الحسن]
٣٧٧	ومن سورة آل عمران
٣٨٩	[التحريف لكتب الهادي وهو حي]
٤٧٢	ومن سورة المائدة
٥٢٦	ومن سورة الأنعام
٦٣٥	تفسير سورة الكهف
٦٣٧	تفسير سورة الكهف
٦٧٣	الغفلة
٧٠٣	الأصول
٧٠٥	الأصول
٧٠٥	باب التوحيد
٧٠٦	باب القول في العدل
٧٠٨	باب القول في الوعد
٧٠٩	باب القول في الوعيد
٧١٠	باب القول في فضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٧١٠	باب القول في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بن عبد المطلب عليه السلام
٧١١	[فضل الحسن والحسين]
٧١١	باب القول في الإمامة
٧١٢	باب القول في أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم
٧١٣	باب القول في الجهاد
٧١٧	باب وجوب طاعة أولي الأمر من ولد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أجمعين
٧١٩	باب النازل

٧٢٠	باب معاداة الظالمين والبراءة منهم
٧٢٢	باب التوحيد
٧٢٤	باب الرد على من قال إن الله يُبصر بعين كأعين العباد
٧٢٩	الفصل
٧٣٢	[جواب على بعض قرايته]
٧٥٥	المناهي
٧٧٣	فهرس الأحاديث
٧٩٠	فهرس المحتويات



